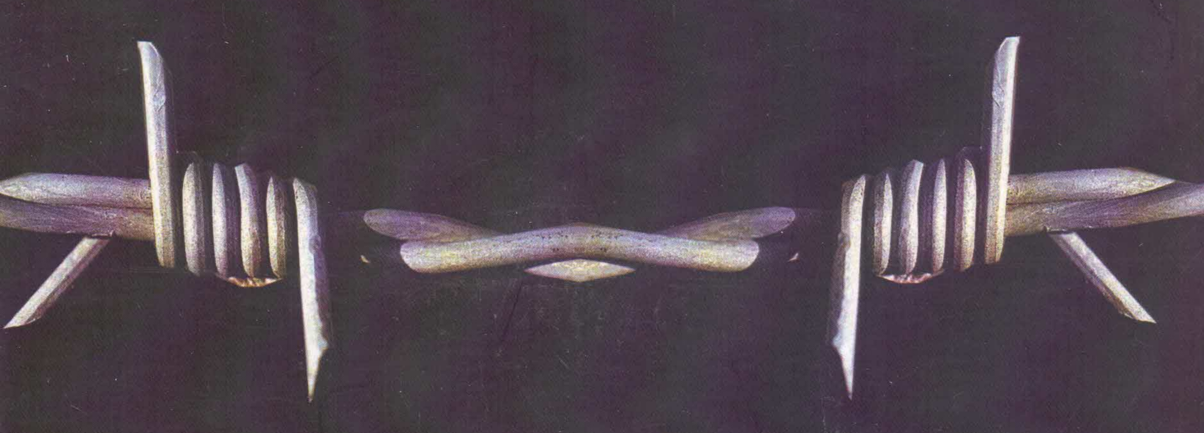


معسكر اعتقال تريبلينكا

رمسيس عوض



يذهب الدارسون إلي أن استحداث النظام النازي لبرنامج القتل الرحيم المعروفة باسم T4 أي الإجهاز علي الألمان ذوي العاهات العقلية والجسدية مهد الطريق لنشوء فكرة إبادة ألمانيا النازية ليهود أوربا .

وفي كتاب هتلر المعروف "كفاحي" نراه يعلن بكل وضوح وجلاء أنه ليس هناك مكان للضعفاء في الدولة النازية يقول: "سوف تقوم الأنواع القوية بطرد الأنواع الضعيفة لأن الرغبة في الحياة، في شكلها النهائي، سوف تحطم القيود المضحكة المفروضة علي من يسمى بالفرد المعطوف الرحيم لتفسح الطريق أمام الطبيعة البشرية، ولتحطم كل ما هو ضعيف وتمكين الأقوياء من أن تكون لهم الغلبة".

تصميم الغلاف : أحمد بلال





معسكر الاعتقال النازى فى بولندا المحتلة

تريبلينكا

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عوض، رمسيس

معسكر الاعتقال النازى في بولندا المحتلة: «تريبلينكا»/ رمسيس عوض.

القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٢

١٦٠ ص؛ ٢٤ سم.

١ - بولندا - تاريخ

٢ - النازية

(أ) العنوان ٩٤٣,٨

رقم الإيداع ١٦٠٠٨/ ٢٠١٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 - 977 - 704 - 22 - 2

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التي تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هي اجتهادات أصحابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 27352396 Fax : 27358084.

www.scc.gov.eg

معسكر الاعتقال النازى في بولندا المحتلة

تريبلينكا

رمسيس عوض



المجلس الأعلى للثقافة

الأمين العام

أ.د. سعيد توفيق

رئيس الإدارة المركزية

د. طارق النعمان

المشرف على التحرير والنشر

أشرف عامر

الإشراف الطباعى والمالى

ماجدة البربرى

السكرتارية التنفيذية

عزة أبو اليزيد

الإخراج الفنى

أحمد بلال

التدقيق اللغوى

شيرين صلاح الدين - محمد عبد الجواد محمد

الفهـــرس

مقــدمة

يذهب الدارسون إلى أن استحداث النظام النازي لبرنامج القتل الرحيم المعروفة باسم T4 أي الإجهاز على الألمان ذوي العاهات العقلية والجسدية مهَّد الطريق لنشوء فكرة إبادة ألمانيا النازية ليهود أوربا.

وفي كتاب هتلر المعروف «كفاحي» نراه يعلن بكل وضوح وجلاء أنه ليس هناك مكان للضعفاء في الدولة النازية. يقول الفوهرر بالحرف الواحد في كتابه المشار إليه:

«سوف تقوم الأنواع القوية بطرد الأنواع الضعيفة لأن الرغبة في الحياة في شكلها النهائي سوف تحطم القيود المضحكة المفروضة على من يسمي بالفرد العطوف الرحيم لتفسح الطريق أمام الطبيعة البشرية لتحطم كل ما هو ضعيف وتمكين الأقوياء من أن تكون لهم الغلبة».

في ١٤ يولية ١٩٣٣م استخدم النظام النازي مرسومًا بمنع الأفراد الذين يعانون من العيوب الوراثية والخلقية من الإنجاب، وهو الأمر الذي مكن الأطباء النازيين من مزاولة القتل الرحيم.

وعند تقديم الدكتور كارل براندت Karl Brandt في أغسطس ١٩٤٧م إلى المحكمة الأمريكية لجرائم الحرب اعترف في شهاداته بأنه تحدث إلى الدكتور جيرهارد فاجنر Gerhard Wagner كبير الأطباء في الرايخ الألماني، وأخبره بأنه في حالة نشوب حرب بين ألمانيا والدول المعادية فإنه ينبغي إبادة أصحاب العاهات العقلية. وكان هتلر مقتنعًا بسهولة تنفيذ برنامج القتل الرحيم أثناء الحرب نظرًا لأن هذه الحرب من شأنها أن تخرس ألسنة رجال الكنيسة وغيرهم من المعترضين على سياسة النظام النازي.

والجدير بالذكر أن الدكتور فاجنر ركز جهوده على إنتاج فيلم يروج لبرنامج القتل الرحيم بعنوان «الميراث» Heritage، فضلاً عن أنه تم إنتاج فيلم آخر عام ١٩٣٧م، أي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بنحو عامين يحمل عنوان «ضحايا الماضي». وإلى جانب الأفلام السينمائية المدافعة عن برنامج القتل الرحيم نرى الإعلام النازي يبرز مدى الخطر الذي يمثله المصابون بالأمراض العقلية على المجتمع. وفيما يلي بعض الإحصائيات التي أعدها الباحث أدولف بورنر Adolf Borner وقام بنشرها عام ١٩٣٥م. يقول أدولف بورنر في هذا الشأن: «كان هناك في إحدي مناطق الرايخ أربعة آلاف مريض مصابون بالأمراض العقلية نزلاء في مؤسسات الدولة، وأربعة آلاف وخمسمائة في مؤسسات الرعاية الاجتماعية، وألف وستمائة في المؤسسات المحلية، وألفان في بيوت المصابين بالصرع، وألف وخمسمائة في بيوت البر والإحسان. والجدير بالذكر أن الدولة تنفق سنوياً ما لا يقل عن عشرة مليون مارك ألماني على إدارة هذه المؤسسات. ولنسأل أنفسنا كم يكلف علاج المريض الواحد كل سنة؟! إن إقامة مستشفى جديد للأمراض العقلية يتكلف ستة ملايين مارك ألماني. فكم عدد الشقق الجديدة التي يمكن بناؤها إذا علمنا أن الشقة الواحدة لا تتكلف أكثر من خمسة عشر ألف مارك ألماني»؟

واستمرت هذه الحملة الدعائية المدافعة عن برنامج القتل الرحيم حتى نهاية عام ١٩٣٨م عندما وقعت حادثة أكدت عزم وتصميم هتلر على تنفيذ هذا البرنامج. فقد كتب إليه أب اسمه كنور Knaur طالبًا منه السماح له بإزهاق حياة ابنه المتخلف عقلياً. ووافق الفوهرر على الطلب بعد أن استشار مجموعة من الأطباء، كما أنه أوصي مكتبه الاستشاري بالموافقة في المستقبل على كل طلب من هذا النوع. ثم عادت مشكلة القتل الرحيم إلى الظهور عام ١٩٣٩م أثناء استعدادات ألمانيا لشن الحرب على بولندا. فقد اتصل هتلر بالدكتور براندت Brandt والدكتور ليونارد كونتي Leonard Conti الذي يشغل وظيفة أقرب ما تكون إلى وزير الصحة، وفيليب بوهلر Philip Bouhler رئيس مكتب الفوهرر وأخبرهما بضرورة إجلاء بعض أصحاب الأمراض العقلية من غرف المستشفى.

وفي نهاية أكتوبر ١٩٣٩م وبعد انتهاء العمليات العسكرية الألمانية ضد بولندا أصدر هتلر أمراً آخر بتاريخ سابق هو أول سبتمبر ١٩٣٩م فيما يلي نصه:

«إنني آمر ريخسليتر بوهلر Reichsleter Bouhler والطبيب الدكتور براندت وأحملهما مسئولية تخويل الأطباء سلطة اتخاذ القرارات الخاصة باستخدام القتل الرحيم مع المرضى الميئوس من شفائهم وفقًا لتقارير أفضل الأطباء والخبراء».

والغريب أن النازيين استبعدوا كونتي نفسه من الاشتراك في تنفيذ برنامج القتل الرحيم.

والجدير بالذكر أن هتلر لم يصدر أوامره بخصوص القتل الرحيم بطريقة رسمية حتى لا يثير ثائرة المعارضين له. وقد أُسندت إلى ثلاث جهات قانونية مهمة تطبيق برنامج القتل الرحيم هي: تعاونيات الدولة للرعاية الصحية، ومؤسسة المرفق العام لمشروع الرعاية الصحية، وجمعية المرفق العام لنقل المرضى. ويتلخص عمل الجهة الأولى في البحث عن المرضى عن طريق بعض الاستبيانات والأسئلة المطروحة عليهم وتحليل إجاباتهم عنها، في حين يتلخص عمل الجهة الثانية في الصرف المالي على برنامج القتل الرحيم وتجهيز مراكز الموت، وكانت مهمة الجهة الثالثة نقل المرضى إلى هذه المراكز.

وأيضًا تم تكليف نحو ١٥ طبيبًا لتشخيص حالات المرضي من بينهم الدكتور فريتز مينيك Fritz Mennecke الذي أدانته المحكمة أثناء محاكمة العاملين في مركز إيخبرج Eichberg الطبي. وقد ترك لنا مينيك وصفًا لأول اجتماع لمجموعة الأطباء هذه مع المشرفين على عملية رينهارد للقتل الرحيم جاء فيه ما يلي:

«ضم الاجتماع ما بين عشر إلى اثني عشر طبيبًا لا أعرفهم. وأعلن الأطباء هيفلمان Hevelmann وبوهن Bohne وبراك Brack أن السلطات النازية في البلاد أصدرت مراسيم خاصة بوضع حد لحياة من لا يستحق الحياة، وسُئلنا نحن المجتمعين إذا كنا نرغب في العمل كأطباء خبراء. وأكدوا لنا أن الأمر ذو طابع قومي وسري للغاية.

وفي أثناء انعقاد المؤتمر قام مستر براك بقراءة خطاب لا أذكر فحواه علي وجه التحديد. ولكن أذكر على أية حال أن الأطباء المشتركين في تطبيق برنامج القتل الرحيم سوف يتمتعون بحصانة كاملة ضد الملاحقة القضائية. ثم تمت مناقشة الأنشطة المطلوبة منا بوصفنا أطباء، أي القيام بتشخيص حالات المصابين بالأمراض العقلية. وباستثنائي كان الأطباء الآخرون في منتصف العمر. وكما علمت فيما بعد كان هناك بعض المشاهير بين الحاضرين. وبالنظر إلى أن جميع الحاضرين وافقوا دون إبداء أي اعتراض فقد وافقت مثلهم على أن أكون أحد الخبراء».

وقام المشرف رايخسليتر فيليب بوهلر بتعيين فيكتور براك أعلى مسئول عن تنفيذ برنامج القتل الرحيم. وتم إنشاء قسم خاص يعرف بالقسم رقم (٢). كي يكون تحت إدارته. وأصدر هتلر تعليمات إلى بوهلر بعدم الزج بمكتب الفوهرر في هذا الأمر حتى يكون الفوهرر بمنأى عن برنامج القتل الرحيم في نظر عامة الناس. وبالنظر إلى أن منظمي عملية رينهارد للقتل الرحيم كانوا يشغلون أحد مباني وزارة الداخلية الألمانية في برلين يحمل رقم (٤) في شارع تيرجارتن Tiergarten فقد أُطلق على المشروع كله اسم سري أو حركي هو T4.

وفي خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٠ و١٩٤١م أصبحت المراكز الطبية التالية تلبي احتياجات هذا المشروع:

١- كان مركز جرافينيك Grafeneck في فيرتمبرج Wirtemberg أول مركز للقتل الرحيم يعمل برئاسة الدكتور هورست شومان Horst Schumann حتى نهاية عام ١٩٤٠م.

٢- ظل مركز براندبنرج Brandenburg يعمل تحت رئاسة الدكتور إرمفرايد إبارل Irmfried Ebarl في نهاية عام ١٩٤٠م حتى خريف عام ١٩٤١م.

٣- ظل مركز برنبرج Bernburg تحت رئاسة الدكتور هنريش بونك Heinrich Burke يعمل في نهاية عام ١٩٤٠م حتى خريف ١٩٤١م.

٤- مركز هادامار Hadamar في لمبرج Limburg تحت رئاسة الدكتور برنر Berner الذي ظل يعمل في نهاية عام ١٩٤٠م حتى نهاية أكتوبر ١٩٤١م.

٥- مـركـز سـوننشـتين Sonnenstein في درسـدن الذي تولى رئاسـتـه كل من الدكتور بول نيتشه Paul Nietsche والدكتور هورست شومان. وظل يعمل حتى خريف عام ١٩٤١.

٦- مـركـز هـارتهـايم في لينز Linz الذي ظل يعـمل تحت رئاسـة رودلف لونور Rudolf lonauer من ربيع عام ١٩٤٠م حتى خريف عام ١٩٤١م.

علمًا بأنه تم قتل عدد معين من المصابين عقليًا خارج هـذه المؤسسات. فعلى سبيل المثال قتل في معسكر دزيالدوفو Dzialdowe الفرعي بعض أصحاب العاهات الذهنية في شاحنات مزودة بغرفة للغاز السام، وكان لانـج Lange مسئولاً عن مثل هـذه العمليات.

وقد طلب النظام النازي من مكتب الأمن المركزي رقم ٥ استحداث طريقة مناسبة لقتل هؤلاء المرضى. وكان المكتب رقم (٥) يضم مؤسسة الشئون الإجرامية. واقتراح البروفيسور ألبرت ويدمان Albert Widmann رئيس قسم الكيمياء والفيزياء استخدام غاز الكاربون مونوكسيد في التخلص من الضحايا. ووعد بالقيام بتزويد بعض مركز القتل الرحيم بهذا الغاز. وأيضًا اقترح استخدام وسائل قتل أخرى مثل المورفين والسكوبولامين Scopolamine وحامض البروسيك Prusic acid. ولم يكن بمقدور غرف الغاز الصغيرة أن تقتل أكثر من خمسة عشر معتوها. ولكن هذا العدد على أية حال كان كافيًا لأداء الغرض منها.

حدثت أول عملية قتل بالغاز السام في براندبنرج في شهر ديسمبر ١٩٣٩م في غرفة غاز تشبه الحمام كان كريستيان فيرث Christian Wirth وفيكتور براك Victor Brack قد قاما بتشييدها. وبعد الزج بأربعة ضحايا فيها يغلق بابها بإحكام شديد ثم تبدأ مضخة خاصة عملها فتضخ غاز الكاربون مونوكسيد بداخلها. وبعد عشرة دقائق يكون

الأربعة ضحايا قد أسلموا الروح. ثم يتم تهوية غرفة الموت وتحضر فرقة خاصة لنقل الجثث وتنظيف الغرفة. وكان بعض الضيوف المدعوين أمثال براندت Brandt وبوهلر Bouhler وكونتي Conti وعدد ضئيل من الأطباء والكيميائيين مثل ويدمان بيكر Widmann Becker يراقبون إجراء مثل هذه العمليات. واستمر إجراء عمليات القتل الرحيم حتى أغسطس ١٩٤١م. غير أن الهجوم العسكري الذي شنه هتلر على الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤١م. والمعروف باسم عملية بارباروسا Barbarossa كان سببًا في تعطيل سير هذه العمليات. ولهذا أصدر هتلر أمرًا شفويًا إلى براندت لاستكمال عمليات القتل الرحيم المعروفة باسم T4. ويبدو أن عمليات القتل الرحيم للمعاقين ذهنيًا استمرت حتى نهاية الحرب رغم صدور الأوامر بإيقافها. ومن الطبيعي أنه لم يكن من الممكن أن يستمر إجراء هذه العمليات بدون موافقة هتلر. ولهذا يذهب جان ميكوسكي Jan Mikwski في كتابه «الطب النازي في خدمة الرايخ الثالث» إلى أن أمرًا صدر لبراندت بعدم إيقاف برنامج القتل الرحيم ولكن بضرورة إجرائه في أضيق الحدود من أجل التعمية والتمويه وإخفائه عن العالم الخارجي على نحو أفضل». وكانت نتيجة إصدار هذا الأمر إغلاق معظم مراكز القتل الرحيم ونقل العاملين إلى مكتب الرايخ.

وفي بداية فصل الربيع في عام ١٩٤١م اتصل هملر بالدكتور إرنست جرافيتز Ernst grawitz التابع لوحدة البوليس الخاصة فاقترح عليه هذا الطبيب تكوين فريق على درجة عالية من المهارة التقنية من العاطلين مؤقتًا والعاملين أصلاً في برنامج القتل الرحيم. وقد تولي كريستيان فيرث المدير السابق لمصحة هارتهاريم الإشراف على هذا الفريق. وكان هؤلاء الناس رغم انتهاء عملهم في برنامج القتل الرحيم يتبعون مباشرة مكتب هتلر. ويجدر بالذكر أن ريخسليتر فيليب بوهلر عهد إلى فكتور براك بمسئولية تنفيذ البرنامج برمته نيابة عن مكتب هتلر بحيث ينفذه دون أية إشارة إلى الفوهرر. وأيضًا صدرت إليه تعليمات بضم أفضل الكفاءات العاملة بوحدة البوليس الخاصة.

وأيضًا تم اختيار مجموعة مكونة من ٩٢ عاملاً بالهيئة الطبية لبرنامج القتل الرحيم. وضمت هذه المجموعة كلاً من فيرث، وفرانز ستانجل، وفرانز سوخونل Franz Suchonel، وأوتو هورن Otto Horn، وجوستاف مونزبرجر Gustav Munzbeirger وجوستاف فاجنر، وكيرت فرانز، وهم جميعا من أصحاب الخبرة ويتحلون بالإحساس الشديد بالمسئولية والولاء المطلق للفكر النازي. فضلاً عن امتلاكهم المعدات والأجهزة الطبية اللازمة المرسلة إليهم بالقطار من برلين عقب إغلاق مراكز القتل الرحيم. وأيضاً أرسلت برلين إلى معسكر اعتقال لوبلين Lublin المعدات والتجهيزات اللازمة لتشغيل غرف الغاز.

وأسند هنريش هملر إلى جلوبوكنيك مسئولية إدارة عمليات القتل الرحيم التي نفذها بكفاءة واقتدار. ومن ثم تم تعيينه رئيسًا عامًا لمعسكرات الموت تحت إشراف هملر المباشر الأمر الذي يؤكد حرص السلطات الألمانية على إقامة مراكز إبادة جماعية لليهود تتميز بالكفاءة الشديدة.

وفي ٣١ يونية عام ١٩٤١م أي قبل نحو أسبوع واحد من غزو القوات النازية للأراضي الروسية تلقى رينهارد هيدريش Reinhard Heydrich أمرًا من هيرمان جورنج جاء فيه ما يلي:

«حتى يمكنك إتمام المهمة التي أسندت إليك بتاريخ ٢٤ يناير - وهي حل المشكلة اليهودية عن طريق التهجير والإجلاء - فإني هنا أصدر إليك الأمر بعمل كافة الاستعدادات الإدارية الخاصة بما يتعلق بمشكلة اليهود الموجودين في المناطق الأوروبية الواقعة تحت الاحتلال النازي. وينبغي إجراء هذه الاستعدادات بالاشتراك مع السلطات المركزية. وإني أوصي في نفس الوقت بتقديم خطة الإجراءات الإدارية العامة لتنفيذ الحل النهائي لمشكلة اليهود إليّ.

وفي نهاية شهر نوفمبر ١٩٤١م أمر جورنج بعقد اجتماع في مكتب إيخمان في برلين حضره جميع مندوبيه عن كافة الأراضي الأوروبية المحتلة. وكان القومندان هوس Hoss حاضرًا في هذا الاجتماع. تولى المندوبون تبليغ رئيسهم إيخمان

بالاستعدادات الخاصة بالحل النهائي لمشكلة اليهود التي اتخذوها في الأراضي التي تقع في نطاق سيطرتهم. وفي هذا الاجتماع تم حل المشكلات الخاصة بنقل الأفواج المرّحلة بالقطارات وبجداول مغادرتها ووصولها وإيواء السجناء المرحلين.

وفي نفس الوقت أسند النظام النازي إلى فيرث مهمة إقامة أول مركز إبادة تجريبي في تشيلم على نهر نير Ner. وكان من المفترض أن يقام هذا المركز على غرار مصحة هارتهايم Hartheim (أو سوننشتين Sonnenstein) مع فارق واحد هو استخدام غرف الغاز المتنقلة والمقامة على ظهر شاحنات متحركة تعرف باسم شاحنات روش Rousch على اسم المهندس الذي صممها. وكان المرضى القادمون من منطقة فارتا Warta يحطون رحالهم في تشيلم. وكان فيرث مسئولاً مسئولية كاملة عن تشغيل معسكر تشيلم في نوفمبر ١٩٤١م. وكان مركز تشيلم للإبادة الجماعية أول مبنى أُنشئ لهذا الغرض على الأراضي البولندية. ولا شك أن مركز تشيلم للإبادة استفاد من التجارب السابقة المبذولة في تنفيذ برنامج القتل الرحيم للمرضى والمعوقين. فضلاً عن أنه بذل مجهودات لزيادة عدد الضحايا تمثلت في التجارب التي أجريت على اليهود القادمين من جيتو لودز Lodze والغجر والمصابين بالتيفوس والضباط السياسيين الروس.

كان معسكر الإبادة السالف الذكر يقع في منزل قديم تحيط به حديقة صغيرة. وتم اقتياد الضحايا تحت الحراسة إلى غرف خلع الملابس المقامة تحت الأرض. وكان الحرس يرتدون ملابس بيضاء ويتظاهرون بأنهم يعملون في الجهاز الطبي. وصدرت الأوامر إلى السجناء بترك كل نقودهم وممتلكاتهم ذات القيمة وتسليم ملابسهم للتطهير. ثم يذهب السجناء عرايا في مجموعات يتراوح عددها بين الخمسين والستين سجينا إلى رصيف حيث تنقلهم من هناك شاحنات صنعت أرضياتها من الصلب وبنيت عليها حوائط. وبعد أن يدخل آخر ضحية الشحنة يُحكم إغلاق بابها. ثم يقوم السائق – وهو رجل تابع لوحدة البوليس الخاصة – بقيادة السيارة باتجاه الغابة حيث حفرت فيها مؤخراً هاوية سحيقة. ويترك السائق موتور الشاحنة يعمل ويضغط على زرار يجعل الغاز يتدفق في مضخة داخل الشاحنة المغلقة بإحكام. وفي العادة كانت الغازات السامة

تقضي على حياة الضحية في نحو خمس دقائق. ولكن في بعض الأحيان لم تكن الشاحنة محكمة الغلق، الأمر الذي جعل عملية القتل بالغاز أكثر بطئًا. وعندما يتوقف صراخ الضحايا المروع يتجه السائق بشاحنته إلى حافة الهاوية ويفتح بابها ويقوم أحد رجال الوحدة الخاصة برفع مؤخرة الشاحنة باستخدام رافعة فتسقط الجثث في الهاوية تمامًا كما تسقط شحنة من الرمل في مستودع رمال. ثم يتولى الأوكرانيون نزع أسنانهم وخواتيمهم الذهبية. وفي تلك الأثناء يعود السائق من حيث أتى إلى شاحنته ليحمل شحنة أخرى من الضحايا. وبوجه عام كان هناك في معسكر تشيلم ثلاث شاحنات تستخدم خصيصًا لهذا الغرض، وكان القتل بالغاز يبدأ يوميًا في الساعة السابعة صباحًا وينتهي في الغسق.

ولم تكن هذه الشاحنات تتمتع بكفاءة عالية لأن اليهود في بعض الحالات استطاعوا كسر أبوابها الخلفية والهرب منها. أضف إلى هذا أن بعض السائقين ضاقوا ذرعًا بعملهم البغيض فآثروا الهرب من أداء مهمتهم المقيتة التي اقتضت منهم الجلوس في قمرة القيادة والانتظار حتى يسلم الضحايا في مؤخرة الشاحنة أرواحهم. وهم يسمعون الصرخات الأليمة ومحاولة هؤلاء الضحايا اليائسة فتح الباب والتشبث بجدران غرفة الغاز المتنقلة.

غير أن التجربة في تشيلم أثبتت عدم نجاعة غرف الغاز المتحركة وأنه لا محيص عن استخدام غرف غاز ثابتة في معسكرات الموت في تريبلينكا وبلزيك وصوبيبور. كما اتجه التفكير إلى استخدام نوع من الغاز أشد فتكًا.

كانت غرف الغاز المجهزة تماثل غرف الغاز المستخدمة في مستشفيات الأمراض العقلية أثناء إجراء عمليات القتل الرحيم المعروفة باسم T4. واضطلع بالإشراف على تشغيل موتور الشاحنة وخلطة الوقود رجل بوحدة البوليس الخاصة تلقى تدريبًا خاصًا في هذا المجال. ولكن اتضح بعد ذلك أن خلطة الوقود شابتها بعض العيوب، الأمر الذي أدى إلى تعطيل عمل الموتور. فضلاً عن أن جبهة القتال كانت في أمس الحاجة إلى وقود يخلو من الشوائب، الأمر الذي جعل النازيين يسعون ***** وسعهم السعي إلى إيجاد خلطة وقود جديدة أكثر كفاءة وأقل تكلفة.

وقد عثر النازيون على حل لمشكلة عدم نجاعة الغاز حين أمدت هيئة تشك وستبنوف Tesch and Stebnow معسكر أوشفيتز بغاز الزيكلون بـ (بلورات حامض البروسيك) المستخدم في قتل الحشرات. وقد اقترح فريتزخ - نائب هوس - فكرة استخدام هذا الغاز على السجناء السوفيت. وحدثت أولى هذه التجارب في بدروم البلوك رقم ١١ في معسكر أوشفيتز. يقول القومندان هوس في هذا الشأن:

«لم تصل إلى أسماعنا غير صرخة قصيرة تكاد أن تكون مكتومة انتهى بعدها كل شيء. وتصورت هذا النوع من الموت كحالة اختناق مؤلم. ولم تحمل جثث الموتى أى أثر من آثار الانقباض أو التصلب. كان حمض البروسيك يشل الرئتين. وعلى أية حال كان مفعوله سريعًا وقويًا لدرجة أنه لم يظهر على المختنق أية أعراض اختناق كما يحدث في حالة استخدام الغاز الضوئي Photic gas أو إبعاد الخراطيم التي تقطع الأوكسجين عن الإنسان. وبعد أن ثبتت نجاعة القتل بغاز حمض البروسيك قرر النازيون تزويد معسكرات الاعتقال في أوشفيتز وماجدانيك بمحارق أضخم وغرف غاز جديدة وأكثر كفاءة يتم قتل اليهود فيها بغاز زيكلون ب.

وأصدر فيرث أمرًا بتجهيز مراكز الإبادة المتصلة بعمليات رينهارد بتركيبات تستخدم البترول كوقود. وفي البداية لم تكن هناك أية قرارات خاصة بعدد الناس الذين يُبادون بهذه الطريقة المروعة. ولكن الإحصائيات الحذرة تقدر عددهم اليومي بنحو عشرة آلاف إلى عشرين ألف ضحية في كل معسكر من معسكرات المَوت المستقبلية.

قلنا إن الاستعدادات النازية لإبادة يهود بولندا (الحكومة العامة) بدأت قبل شهور من انعقاد مؤتمر وانسي، وذلك عندما أنشأ النازيون «عملية رينهارد» للتخلص من ذوي العاهات الذهنية والجسدية في منطقة لوبلن. وعُين هملر أوديلو جلوبوكنيك Odilo Globocnic الذي أسماه جلوبوس Globus قائدًا لها.

كان جلوبكنيك رجلاً نمساويًا وعضوًا في الحزب النازي. وفي عام ١٩٣٣م صُدر ضده حكم بالسجن للدور الذي لعبه في مقتل أحد يهود فيينا. وحظى هذا الرجل باحترام هملر الشديد بسبب الدور الذي لعبه في ضم النمسا إلى ألمانيا حين أصبح رئيسًا للحزب النازي في فيينا. وفي يناير ١٩٣٩م وجُهت إليه تهمة المضاربة غير المشروعة

في العملات الأجنبية. وطرد من وظيفته التي سحبها الحزب منه، وهي أرفع وظيفة بوحدة البوليس الخاصة في منطقة لوبلن بأسرها. ولكن هملر مالبث أن أعاده إلى سابق مكانته.

وبطبيعة الحال شعر جلوبوكنيك بالامتنان نحو هملر لإعادة الاعتبار إليه، مما جعله شديد الولاء له. كان جلوبوكنيك صاحب شخصية غير عادية، فهو يملك زمام المبادرة، كما أن صلته الحميمة بهملر مكنته من استخدام منطقة لوبلن لرسم الخطط للانقضاض على اليهود بمجرد احتلال القوات النازية للأراضي البولندية. ومن هذه الخطط تخصيص إقليم لوبلن لتوطين اليهود والمرحلين من أراضي الرايخ الألماني. وفي الفترة الواقعة من ديسمبر ١٩٣٩م حتى فبراير ١٩٤٠م تم ترحيل عشرات الآلاف من اليهود إلى هذه المنطقة. ولكن النازي هانز فرانك Hans Frank تدخل فيما بعد لدى هيرمان جورنج Hermann Goring لوقف هذه الترحيلات الجماعية التي قام بها رجال الوحدة الخاصة دون التنسيق مع السلطات البولندية ودون عمل أية استعدادات في هذا الشأن. وعلى أية حال راقت منطقة لوبلن في عين النظام النازي واعتبرها أفضل مكان للحل النهائي، أي إبادة اليهود بشكل كامل. فلا غرو إذا رأيناه يقوم عام ١٩٤١م بترحيل آلاف اليهود في ألمانيا والنمسا وسلوفاكيا إلى هناك.

وأيضًا استطاع جلوبوكينك من خلال مبادرته أن يجعل إقليم لوبلن مركزًا لمشروعات وحدة البوليس الخاصة الاقتصادية.

وفي ديسمبر ١٩٤٠ أنشأت الشركة الألمانية المعروفة باسم DAW فرعًا لها في منطقة لوبلن. واستخدم هذا الفرع أكثر من خمسة آلاف سجين من بينهم سجناء حرب يهود منضوين تحت لواء الجيش البولندي في أعمال السخرة في مشاريع شركة DAW الاقتصادية الكائنة في شارعي ليبوفا Lipowa وتشلمسكا Chelmska في كل من لوبلن وبولاڤي Pulawy. وفي صيف عام ١٩٤١م افتتحت الوحدة الخاصة مصانع الملابس التابعة لها في لوبلن في شارع تشليمسكا مستخدمة نظام سخرة سجناء الحرب.

وفي منتصف عام ١٩٤١م استحدث جلوبوكنيك خططًا للتوسع في استعمار الألمان للأراضي المحتلة. وتتضمن هذه الخطط إقامة مستعمرات في إقليم لوبلن

تكون بمثابة حلقة وصل بين هذا الإقليم وبين الأراضي السوفيتية الواقعة تحت الاحتلال النازي.

وفي ١٧ يولية ١٩٤١م قام هملر بتعيين جلوبوكينك مندوبًا ساميًا مهمته تنظيم حياة عائلات الشرطة ووحدة البوليس الخاصة في الأراضي الجديدة التي احتلتها القوات النازية في شرق أوروبا. وفي يوم ٢٠/٢١ يولية ١٩٤١م قام هملر بزيارة جلوبوكينك في لوبلن، وقرر توسيع نطاق مشروعات الوحدة الخاصة الاقتصادية فيها. وتقرر في نهاية عام ١٩٤١م توسيع مهام لوبلن (ماجدانيك) بحيث يصبح معسكرًا لإيواء سجناء الحرب الروس، إلى جانب نشاطه في إمداد المشروعات الاقتصادية التابعة لوحدة البوليس الخاصة بالعمالة المطلوبة وبحيث تصبح تبعيته إلى وحدة البوليس الخاصة وليس إلى الجيش الألماني.

وعندما بدأت معالم عملية رينهارد تتضح كلَّف هملر صديقه جلوبوكينك بمهمة الإعداد لإبادة يهود بولندا (أي يهود الحكومة العامة). وكان جلوبوكينك يخضع لسلطة هملر مباشرة. ولكن رئيس جلوبوكينك المباشر كان فردريش كروجر **Friedrich Kruger** العميد بوحدة البوليس الخاصة. لم يكن السبب في اختيار هملر منطقة لوبلن كمركز إبادة في عملية رينهارد يرجع فقط إلى الصداقة التي ربطته بجلوبوكينك وإلى اعتماده على صديقه في إدارة المشروعات الاقتصادية هناك، بل كان هناك هدف آخر، فقد صرح هيدريش في مؤتمر وانسي ببولندا بما يلي:

«في أثناء تنفيذ الحل النهائي لا بد من تمشيط كل أوروبا من الغرب إلى الشرق (بحثا عن اليهود)». وسوف يتم إحضار مجموعات اليهود (مجموعة تلو الأخرى) إلى جيتوهات ترانزيت (مؤقتة) لنقلها إلى مكان أبعد في أوروبا الشرقية».

ولعل اختيار منطقة لوبلن كمركز إبادة يرجع إلى الرغبة في الخداع والتمويه حتى يظن الناس أن الأشخاص الذين أبعدوا واختفوا عن أنظارهم قد تم ترحيلهم إلى المناطق الشرقية النائية للعمل في الأراضي السوفيتية الشاسعة التي قامت القوات النازية باحتلالها.

وكلف هملر صديقه جلوبوكينك والعاملين معه في إطار عملية رينهارد بما يلي:

- وضع الخطط لعمليات الترحيل والإبادة.
- بناء معسكرات الموت.
- التنسيق بين عمليات ترحيل اليهود في شتى المناطق إلى معسكرات الموت.
- قتل اليهود في المعسكرات.
- الاستيلاء على أرصدة الضحايا وممتلكاتهم وتسليمها إلى السلطات المسئولة في الرايخ الألماني.

وضعت عملية رينهارد الإرشادات والتوجهات المتعلقة بترحيل أفواج السجناء وتنسيق جداول التراحيل وفقًا للقدرة الاستيعابية والإيوائية الخاصة بكل معسكر. وفي واقع الأمر لم يكن جلوبوكينك والعاملون معه المسئولين مباشرة عن تنظيم وحراسة أفواج اليهود المرحلين من جميع أنحاء بولندا (الحكومة العامة)، وكذلك المرحلين في الأقطار الأوروبية الأخرى إلى معسكرات الإبادة حيث إن مكتب الأمين الرئيسي للرايخ وفروعه وكبار ضباط الشرطة ووحدة البوليس الخاصة في المحليات اضطلعوا بهذه المسئولية. ورغم ذلك فقد أرسل النازيون فرقًا من الضباط وصف الضباط ووحدات الحراسة الخاضعة لعمليات رينهارد للمساعدة في ترحيل السجناء إلى معسكرات الموت.

ولم تصدر إلى جلوبوكينك أية تعليمات مكتوبة بشأن عملية رينهارد وإبادة اليهود بل كانت هذه التعليمات شفهية. وهو نفس ما حدث في عمليات القتل التي تمت في أراضي الاتحاد السوفيتي المحتلة. كان هملر يعترض على إصدار الأوامر المكتوبة والوثائق الخاصة بإبادة اليهود. فقد قال هملر في خطاب ألقاه على جمهور من كبار ضباط الوحدة الخاصة والشرطة في بوزن Posen يوم ٤ أكتوبر ١٩٤٣م ما يلي:

«إنني أشير إلى إجلاء اليهود وإبادة الشعب اليهودي... وهذه صفحة من المجد والغار في تاريخنا غير مكتوبة ولن تكتب أبداً».

«من الواضح أن السبب في هذا يرجع إلى أن هملر لم يرغب أن يترك وراءه أي دليل يدينه أو يدمغه أمام التاريخ. وهكذا بدأ تنفيذ عملية رينهارد للإبادة استنادًا إلى أوامر شفوية فقط».

كانت مهمة أوديلو جلوبوكينك الأولى تتمثل في توفير وتنظيم العمالة اللازمة لبناء وتشغيل مراكز القتل المتعلقة بعملية رينهارد. وجاءت هذه العمالة التي استعان بها جلوبوكينك من الجهات التالية:

١- رجال شرطة ووحدة البوليس الخاصة العاملين تحت إمرة جلوبوكينك في منطقة لوبلن حتى بدء تنفيذ عملية رينهارد	١٥٣
٢- أعضاء بوحدة البوليس الخاصة والشرطة والوحدات	٢٠٥
٣- مستشارية الفوهرر - برنامج القتل الرحيم	٩٢
	٤٥٠ عاملاً

وجاءت أهم مجموعة في عملية رينهارد في برنامجها الخاص بالقتل الرحيم، فقد امتلكوا المعرفة والخبرة اللازمة لإنشاء وتشغيل غرف الغاز لإبادة السجناء إبادة جماعية في معسكرات بلزيك وصوبيبور وتربيلينكا. وقد أدلى فكتور براك Viktor Brack أثناء المحاكمة التي عقدت له بعد الحرب العالمية الثانية باعتراف حول تحويل العاملين في برنامج القتل الرحيم للعمل في عملية رينهارد بعد تحولها إلى إبادة جماعية لليهود جاء فيه:

«في عام ١٩٤١م تلقيت أمرًا بإيقاف برنامج القتل الرحيم. وحتى يمكن الاحتفاظ بالعمالة التي تم تسريحها وإعفاؤها من واجباتها لتشغيلها بعد بدء الحرب في مشروع جديد للقتل الرحيم طلب من بوهلر Bouhler (وأظن أن هذا حدث بعد انعقاد اجتماع مع هملر) أن أقوم بإرسال هذه العمالة إلى لوبلن وضمها تحت تصرف جلوبوكينك قائد الوحدة الخاصة».

وصلت أول مجموعة من العاملين في برنامج القتل الرحيم والذين لا يزيد عددهم عن اثني عشرة رجلاً إلى لوبلن في الفترة من نهاية أكتوبر حتى نهاية ديسمبر ١٩٤١م وكانت هذه المجموعة الأولي تضم قوميسار الشرطة كريستبان ورث الضابط الأعلى رتبة في برنامج القتل الرحيم والذي تم نقله في هذا البرنامج إلى عملية رينهارد للإبادة الجماعية. وكذلك وصل إلى لوبلن أثناء الشهور الأولى من عام ١٩٤٢م عاملون آخرون في برنامج القتل الرحيم. وقام فكتور براك بزيارة لوبلن في بداية مايو ١٩٤٢م وناقش مع جلوبوكينك الدور الذي يمكن لتنظيم برنامج القتل الرحيم أن يلعبه في إبادة اليهود. وطلب منه جلوبوكينك بوضع عمالة أكبر في برنامج القتل الرحيم تحت إمرته فأجابه إلى طلبه. وبعد هذا الاجتماع كتب براك إلى هملر يقول:

«تنفيذاً للأوامر التي تلقيتها من بوهلر وضعت جانبًا من القوة التابعة لي تحت تصرف جلوبوكينك لمساعدته في انجاز المهمة التي أنيط بالقيام بها. وانتهز جلوبوكينك الفرصة ليشرح لي فكرته بضرورة تعمد الإسراع في تنفيذ الإجراءات ضد اليهود لتحاشي أية عراقيل قد تنشأ يومًا ما في المستقبل، الأمر الذي قد يضطرنا إلى التوقف عن إتمامها. وقد عبرت سيادتك عن رأيك في أن مقتضيات السرية تتطلب منا سرعة التنفيذ بقدر المستطاع».

ويجدر بالذكر أن بعض العاملين في برنامج القتل الرحيم وصلوا إلى لوبلن في مايو/يونية ١٩٤٢م بعد فترة خدمة قضوها بالوحدة الطبية على الجبهة الشرقية في منطقة كيرسك Kursk. وأثناء وجودهم على الجبهة كانوا جميعًا يحملون ورقة حمراء موقعة من قيادة الجيش الألماني تحظر استخدامهم في الخطوط الأمامية. وكان الهدف من وراء ذلك منع تعرضهم للخطر وسقوطهم أسرى وسجناء حرب في يد الجيش السوفيتي وحتى لا يعرف العدو شيئًا عن برنامج القتل الرحيم. وفي حالة نشوء أي احتياج إليهم لإبادة اليهود في عملية رينهارد يتم سحبهم إلى المناطق التي تحتاج إلى خدماتهم وخبرتهم في عمليات الإبادة.

وعند نقل العاملين في برنامج القتل الرحيم إلى عملية رينهارد لإبادة اليهود أصبحوا تابعين لوحدة البوليس الخاصة لابسين نفس زيهم الرمادي كما أنهم حصلوا على نفس رتبهم وألقابهم العسكرية. ورغم أنهم كانوا تحت إمرة جلوبوكينك فإنهم في الأمور الخاصة كانوا تابعين لمركز قيادتهم في برلين، فضلاً عن أنهم كانوا يقضون إجازاتهم في مركز استجمام خاص بالعاملين في برنامج القتل الرحيم في النمسا. وكان يصل إلى لوبلن كل أسبوع مراسلة خصوصي تابع لعيادة القتل الرحيم حاملاً إليهم الخطابات والمكافآت الإضافية. ويكاد أن يكون كل العاملين في برنامج القتل الرحيم والذين انتقلوا للعمل في عملية رينهارد لإبادة اليهود من المعينين في معسكرات الموت.

وتعين على رجال الوحدة الخاصة الذين يشملون المنقولين من برنامج القتل الرحيم للعمل في عملية رينهارد لإبادة اليهود أن يتلقوا تعليماتهم من هرمان هوفل Herman Hofle بمركز القيادة في لوبلن. كما تعين على كل واحد منهم التوقيع على تعهد بالحفاظ على سرية أعمالهم. وفيما يلي نموذج للتعهد الذي يوقعون عليه:

«قام هوفل بوصفه قومندانا للقسم الرئيسي في عملية رينهارد التابعة لوحدة البوليس الخاصة ورئيساً للشرطة في منطقة لوبلن بتبليغي بما يلي:

١- يتعين عليّ تحت أية ظروف عدم البوح شفاهة أو كتابة بأية معلومات من العمليات والترحيلات التي تحدث لليهود إلى أي شخص خارج دائرة العاملين في عملية رينهارد.

٢- تندرج عملية إجلاء اليهود تحت بند «وثائق الرايخ السرية» الخاضعة لقانون الحظر المسمى Vershl Va.

٣- يحظر حظراً باتًا تصوير المعسكرات الخاصة بعملية رينهارد.

وإني على معرفة جيدة بالقواعد والقوانين السالفة الذكر كما أني أدرك المسئوليات التي تفرضها عليّ واجباتي الواقعة على كاهلي. وإني أعد بالمحافظة عليها قدر علمي

ووفقًا لما يمليه عليّ ضميري. كما إني أدرك التزامي بالمحافظة على السرية حتى بعد تركي للخدمة».

وكان للخبرة التي اكتسبها جلوبوكينك خلال الشهور الثلاثة في عمله في إبادة الضحايا - وهي تمتد من مارس إلى مايو ١٩٤٢م - أثرها في كيفية تنظيمه لعمليات الإبادة في كل من بلزيك وصوبيبور وتريبلينكا إلى جانب معسكر التدريب في ترافيكي. وفي مارس ١٩٤٢م أصبحت محلات صنع الملابس تتبع عملية رينهارد بعد أن كانت تابعة لسلطات وحدة البوليس الخاصة المركزية. وكان مصنع وحدة البوليس الخاصة للملابس يقع في مطار لوبلن القديم. وأرسلت إلى هذا المعسكر ممتلكات وملابس الضحايا لمعالجتها والانتفاع بها. وكان مقر عملية رينهارد يقع في كلية ستيفان باتوري Stefan Batory سابقًا في ١١ بيراد زكيجو Pieradzkiego بلوبلن. أما مقر جلوبوكينك نفسه فكان منفصلاً عن مقر عملية رينهارد. غير أن عملية رينهارد لم تكن تخضع لجلوبوكينك وحده بل كانت خاضعة لهوفل أيضًا.

والتحق بالعمل في كل معسكر من معسكرات الموت نحو عشرين إلى خمسة وثلاثين رجلاً من رجال الوحدة الخاصة جاءوا كما أسلفنا من برنامج القتل الرحيم. ومنح رجال الوحدة الخاصة العاملون في عملية رينهارد لإبادة اليهود مكافأة يومية إضافية قدرها ١٨ ماركًا ألمانيًا. كما منحوا إجازة مدتها ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع كل ثلاثة شهور.

وكان القائمون بعملية رينهارد يضمون نمساويين كثيرين أمثال جلوبوكينك وهوفل المسئولين عن قيادة المعسكر. إلى جانب ثلاثة من ضباط الوحدة الخاصة الستة الذين تبوأوا مراكز قيادية فيه وهم الدكتور إرمفريد إيبرل Irmfried Eberl وفرانز ريخلتز وفرانز ستانجل.

وقد اكتمل تنظيم عملية رينهارد خلال شهور إبادة اليهود الأولى. ورأى قادتها أنه لن يكون باستطاعتهم تنظيمها على نفس المنهج الذي أديرت به معسكرات الموت الأخرى. وكانت معسكرات الموت في بلزيك وصوبيبور وتريبلينكا فريدة من نوعها حيث

أن التجربة المكتسبة في المرحلة الأولى من تنفيذ عمليات الإبادة في معسكرات الموت الثلاثة هذه هي التي حددت نموذج العمل فيها. كانت وحدة البوليس الخاصة المخصصة لكل معسكر موت لا تستطيع لضآلة عددها أن تلبي احتياجاته من أمن وحراسة وإبادة سهلة لآلاف الضحايا في كل فوج من الأفواج المرحلة. ولهذا ظهر الاحتياج لقوة أمن إضافية. وكانت هذه الوحدة الإضافية المساعدة تتكون في معظمها من القوميين الأوكرانيين المتعاونين معها.

كانت هناك وشائج تربط بين الأوكرانيين القوميين (الذين يسعون إلى استقلال أوكرانيا) والنظام النازي. وهي علاقة استمرت لعدة سنوات. فلا غرو إذا رأينا المهاجرين الأوكرانيين القوميين يجدون ملاذًا آمنا في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وأن نرى المنظمات الأوكرانية المشروعة وغير المشروعة تنشط في الجزء الغربي من أوكرانيا البولندية وتتطلع إلى ألمانيا النازية كي تساعدها في إقامة دولة مستقلة في كل من أوكرانيا البولندية والسوفيتية. ومن ناحيتها استخدمت ألمانيا النازية هذه العناصر الأوكرانية المتمردة للقيام بأعمال تخريبية عندما قامت باكتساح الأراضي البولندية في بداية الحرب العالمية الثانية.

وعندما أعدت ألمانيا النازية العُدة للهجوم على الاتحاد السوفيتي في صيف عام ١٩٤١م أحيا هذا أمل القوميين الأوكرانيين في تحقيق تطلعهم إلى إنشاء دولة مستقلة عن الاتحاد السوفيتي. والجدير بالذكر أن المخابرات الألمانية نظمت كتيبتين أوكرانيتين عسكريتين تحملان اسمي «الكروان» و«رولاند». وأقامت المخابرات النازية صلات سرية بالمنظمات والجماعات الأوكرانية التي تعمل في الخفاء في أوكرانيا السوفيتية.

وفي يوم ٢٢ يونية عام ١٩٤١م ومع الغزو الألماني للأراضي السوفيتية قام القوميون الأوكرانيون في غرب جاليسيا بثورة مناهضة للسوفيت. وأعلن جمع كبير من الزعماء القوميين الأوكرانيين احتشد في مدينة لفوف قيام دولة وحكومة أوكرانية مستقلة في ٣٠ يونية ١٩٤١. وهو اليوم الذي سقطت فيه هذه المدينة في يد الألمان. واستقبل كثير من الأهالي الأوكرانيين المحليون القوات الألمانية بالتهليل والتكبير.

وتقدم عشرات الآلاف من هؤلاء الأوكرانيين للتطوع في صفوف البوليس المحلي وقوات الأمن الألمانية. وكانت غالبية هؤلاء الأوكرانيين مجندين سابقين في الجيش الأحمر ممن سُقطوا في أسر الغزاة الألمان. وشجعت ألمانيا النازية سجناء الحرب الأوكرانيين والليتوانيين والإستونيين وآخرين على الانضمام إلى صفوف القوات النازية فاستجاب الآلاف منهم لهذا التشجيع. ويجدر بالذكر أن البعض منهم فعل هذا للتهرب من الظروف المعيشية الفظيعة التي عاشها سجناء الحرب السوفيت الذين سقطوا في يد القوات النازية، في حين آثر بعض الأوكرانيين الانضواء تحت لواء القوات النازية لأسباب قومية محضة ورغبتهم في الحِصول على دولة أوكرانية مستقلة في إطار أوروبا الواقعة تحت الاحتلال النازي. وأيضًا انضم كثير من الأوكرانيين إلى صفوف الألمان بسبب كراهيتهم للسامية. وهي كراهية انتشرت بين الأوكرانيين وغيرهم من الأمم الواقعة في شرق أوروبا. وكذلك التحق أوكرانيون محليون آخرون بقوات الأمن الألمانية معظمهم من سكان غرب أوكرانيا البولندية. والتحق الأوكرانيون بالعمل في وحدات خاصة في الجيش الألماني ووحدة البوليس الخاصة وجهاز الشرطة كما تم تنظيم وحدة خاصة منهم للعمل في عملية رينهارد لإبادة اليهود. وضمت هذه الوحدة إليها أوكرانيين وألمانا ممن يعيشون في أوكرانيا. وينحدر هؤلاء الألمان من أسلاف لهم جاءوا من ألمانيا إلى بروسيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وقد بلغ عددهم أربعمائة ألف شخص عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية. ونظرًا لأن هؤلاء الألمان كانوا يعرفون اللغتين الألمانية والأوكرانية ويحملون بطاقة هوية ألمانية فقد كان من السهل عليهم الخدمة في الوحدات العسكرية النازية وشغل بعض المناصب شبه القيادية. ويجدر بالذكر أن معظم هؤلاء الألمان كانوا جنودًا سابقين في الجيش الأحمر قبل سقوطهم أسرى في أيدي الألمان.

وتم إرسال المتطوعين من أسرى الحرب السوفيت ومن الأوكرانيين المحليين من غرب أوكرانيا للعمل في عملية رينهارد إلى معسكر تدريب تابع لوحدة البوليس الخاصة في بلدة ترافنيكي. وفي أكتوبر ١٩٤١م عُين كارل سترمبل Karl Streimel في منطقة لوبلن وكيف ثم سافرا إلى منطقة جاليسيا للبحث عن متطوعين أوكرانيين وألمان للعمل في معسكر ترافينيكي.

وأدلى الأوكراني وسجين الحرب السوفيتي السابق فيدور فيدرونكو Feodor Fedorenko بشهادة أمام محكمة ألمانية أوضح فيها أنه التحق بخدمة النازيين وتلقى تدريبًا في ترافيكي ثم التحق بالعمل كحارس في معسكر تريبلينكا. وقد جاء في ملف قضيته ما يلي:

المرشد إلى سلوك المتهم في الفترة من عام ١٩٤١م حتى عام ١٩٤٩م:

بدأ تجنيد المتهم في ٢٣ يونية ١٩٤١ تقريبًا مباشرة بعد غزو ألمانيا النازية للاتحاد السوفيتي. وكان هذا المتهم يعمل سائقًا على شاحنة تم ضمها أيضًا إلى القوت النازية. ولم تكن له أية خبرة سابقة. وبعد مضي أسبوعين أو ثلاثة أسابيع استطاع الجيش الألماني محاصرة مجموعته مرتين. وفي المرة الأولى تمكن من الهرب. ولكن الجيش الألماني نجح في إلقاء القبض عليه بعد مرور ثلاثة أيام.

قام الألمان بترحيل عدة أفواج من السجناء في شاحناتهم إلى معسكر تدريب سوفيتي سابق هو معسكر زيتمور Zhitomir. ويصف المتهم أحوال هذا المعسكر المعيشية بالسوء وعدم توفر الماء أو الطعام. وكانت سعته الإيوائية بين خمسين ألف ومائة ألف سجين دون توفير ثكنات لهم. وبعد مضي أسبوعين أو ثلاثة تم نقل المدعي عليه إلى روفنو Rovnow. وفيما بعد نقل إلى معسكر تشيلم في بولندا. وهو معسكر تحيط به لفائف الأسلاك الشائكة. ويقدر المتهم عدد سجناء معسكر تشيلم بنحو ثمانين ألف سجين. ويصف المتهم أحوال تشيلم بأنها بالغة السوء وأن السجين الذي يداهمه المرض لا يبل من مرضه إلا نادراً.

وكانت إدارة معسكر تشيلم توزع على نزلائه الحد الأدنى من الطعام. والجدير بالذكر أن ما يقرب من أربعين ألف سجين فيه لقوا حتفهم في شتاء عام ١٩٤١/١٩٤٢م.

وفي أحد الأيام قام الألمان في تشيلم باستدعاء سجناء الحرب السوفيتي للاصطفاف في طابور واختاروا منهم نحو مائتي أو ثلثمائة سجين أرسلوهم إلى ترافينيكي

حيث كان معظم الحراس من الألمان. والمدعى عليه ليس من أصل ألماني بل أوكراني. وفي ربيع عام ١٩٤٢م تم إرسال المدعي عليه إلى لوبلن حيث كان السجناء في باديء الأمر يقومون بحراسة هذا المعسكر، وذلك قبل الزج بهم في جيتو اليهود. وفي لوبلن تولى السجناء السوفيت حراسة المنازل والأثاث وكل ما تبقى. ووزعت عليهم غدارات غير مزودة بزخيرة حية. وفي معسكر لوبلن تم تحويل السجناء السوفيت إلى حراس. ومن لوبلن تم إرسال المدعي عليه إلى وارسو بصحبته نحو ثمانين أو مائة سجين آخر. وفي حوالي سبتمبر ١٩٤٢ تم ترحيل المتهم إلى تريبلينكا حيث كُلف بالقيام بأعمال الحراسة.

وأطلق الأهالي المحليون على وحدات المتطوعين العاملين في صفوف الجيش النازي عدة أسماء فهم يشيرون إليهم: تارة بالأوكرانيين وتارة برجال ترافنييكي وتارة ثالثة باسم الاسكاريين Askaries. وكان الألمان يطلقون عليهم اسم القوات المساعدة.. كما يطلقون اسم الحراس على المتطوعين. وفي معسكر ترافينيكي تلقى الحراس تدريبًا عسكريًا مختزلاً وبعض التدريبات الرياضية. وكذلك اشتملت تدريباتهم على تكتيكات ترحيل اليهود. وشهد أحد هؤلاء الحراس واسمه إنجلهاند Engelhand بشأن هذه التدريبات التكتيكية التي يتلقاها المتعاونون مع النازيين في قرية ترافينيكي فيقول:

«قمت بالاشتراك في أول عمل ضد اليهود بعد وصولي إلى ترافينيكي.. وأخبرونا أن هذا تدريب تكتيكي. وحاصرنا كل القرية.. وأخبرنا المترجم أن اليهود يقيمون هناك، كما أخبرنا بالتوجه إلى هناك في مجموعات يتكون كل منها من رجلين لتبليغهم بضرورة ارتداء ملابسهم واصطحاب كل ما يمكنهم حمله معهم. وسرعان ما تصل الشاحنة لترحيلهم جميعًا إلى لوبلن».

دخل نحو ألفين أو ثلاثة آلاف حارس معسكر ترافينيكي للتدريب في فترة نشاط هذا المعسكر التي وصلت إلى عامين ونصف. وتم تنظيمهم إلى فرقتين تتكون كل فرقة منهما من أربعة أقسام يصل عدد مجنديها جميعًا إلى ألف مجند. وكان حجم القسم

يبلغ ما بين مائة ومائتي مجند. وكانت إحدى الكتائب عبارة عن فرقة تدريب لتخريج قواد الفرق. وكانت فرقة أو فرقتان ترابطان بشكل دائم في معسكر لوبلن لدواعي الأمن. وكانت الوحدات الأخرى تقوم بأداء واجب الحراسة في المؤسسات والمشروعات ومعسكرات العمل في إقليم لوبلن. وشكلت هذه الوحدات القوة الرئيسة المتحركة إلى جانب وحدات الشرطة المحلية المتضافرة معها على ترحيل السجناء اليهود من الجيتوهات وتنفيذ حكم الإعدام فيهم. وأُلحقت بكل معسكرات الموت التي تجري فيها عمليات رينهارد - وهي بلزيك وصوبيبور وتريبلينكا - وحدة يتراوح عددها من ٩٠ شخصًا إلى مائة وثلاثين شخصًا: «وكان معظم قواد الفرق من أصل ألماني ويعرفون اللغتين الألمانية والأوكرانية. غير أن بعض قواد هذه الفرق كانوا من الأوكرانيين. وأيضًا تم تعيين بعض رجال الوحدة الخاصة كقادة فرق. ورغم أن الحراس تلقوا أوامرهم من قادة معسكرات الموت فإن هؤلاء الحراس ارتبطوا بروابط تنظيمية مع معسكر تدريب ترافينيكي، كما أنهم تلقوا إمدادتهم العسكرية وزيهم الرسمي ورواتبهم من هذا المعسكر. أما الحراس من سجناء الحرب المرضى والسكارى والخارجين على القانون فقد أعيدوا إلى ترافينيكي لاستبدالهم بحراس آخرين.

مؤتمر وانسي Wannsee

في ٢٠ يناير ١٩٤٢م عقد مؤتمر بمنطقة وانسي في مكتب الأمن الرئيسي للرايخ الثالث في العمارة رقم ٥٨/٥٣ الكائنة في شارع أم جروسن Am Grossen وانسي برئاسة رينهارد هيدريش Reinhard Heydrich بوحدة البوليس الخاصة ورئيس المكتب الرئيسي للأعراق وإعادة التوطين المعروفة اختصاراً باسم RUSHA.

وقد انصرفت جميع مكاتب الرايخ الثالث الرئيسة لما يقرب من عام إلى اتخاذ الاستعدادات الخاصة بحل مشكلة وجود اليهود في أوروبا، علماً بأن مكتب الأمن هو الذي اضطلع بكل همة ونشاط بتخطيط كل العمليات الهادفة إلى استئصال شعب إسرائيل في جميع أنحاء العالم. وتصدى ألفريد روزنبرج Alfred Rosenberg وزير الأراضي الواقعة في شرق أوروبا وهانز فرانك Hans Frank حاكم الحكومة العامة (أي الأراضي الواقعة تحت الاحتلال النازي في وسط وشرق بولندا) لحل المشكلة اليهودية بنفسيهما دون تدخل جهاز الجستابو في هذا الأمر.

ومن ناحيته لم يوافق روزنبرج على فكرة التصفية الجسدية لليهود بل اعترض عليها بشكل متكرر في كل الأوامر التي قام بإصدارها. وفي مايو ١٩٤١م أصدر أمراً دافع فيه عن الإجراءات القمعية التي اتخذت ضد اليهود الذين يقطنون في البلاد الواقعة على بحر البلطيق وبولندا الشرقية. وخلا هذا الأمر من أية إشارة إلى التصفية الجسدية لليهود. فكلامه يشير إلى حل هذه المشكلة بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها. ولهذا السبب قرر هيدريش يوم ١٠ يناير ١٩٤٢م أن يسطر خطاباً موجزاً إلى روزنبرج يطلب منه تغيير الأمر الذي قام بإصداره. يقول هيدريش في خطابه «إن مكتب الأمن الرئيسي للرايخ الثالث هو الذي أرسى مبادئ السياسة التي ننتهجها

إزاء قضية اليهود. وسوف يتولى إيخمان تنفيذها... وتحت هذه الظروف أجد نفسي مضطرًا إلى أن أطلب منك مراجعة الأمر الذي أصدرته».

وسرعان ما تلقى روزنبرج مجموعة من التعديلات التي أعدها إيخمان واقترح بإدخالها على الأمر الذي أصدره روزنبرج. وتمثل الفقرة التالية جانبًا من هذه التعديلات:

«ينبغي النظر إلى الإجراءات التي اتخذت في المناطق المحتلة في أوروبا الشرقية من منظور الحل الشامل لمشكلة اليهود في جميع أرجاء القارة الأوروبية. ولهذا السبب ينبغي عدم فرض أية قيود في الأراضي الشرقية المحتلة على أية إجراءات تهدف إلى المساهمة في إيجاد حل نهائي لمشكلة اليهود (أي التخلص منهم). وينبغي على الفور اتخاذ كافة الإجراءات لحل المشكلة اليهودية في الأراضي الشرقية المحتلة على وجه الخصوص. ولهذا السبب ينبغي إزالة كل العراقيل التي تعوق الإجراءات التي يتخذها السكان المحليون في محاربة اليهود. وحتى يحين الوقت لاتخاذ الإجراءات المناسبة لاستبعاد اليهود يتعين عزل اليهود المحليين بكل شدة وحزم عن بقية الشعوب. وينبغي فرض حظر على حرية حركة جميع اليهود. ويجب نقل اليهود وعزلهم في الجيتوهات. ولا ينبغي لأى دوافع واعتبارات اقتصادية فرض أية قيود على الإجراءات التي تُتخذ لاستبعاد اليهود، كما يجب تسجيل كافة ممتلكات اليهود وعدم السماح بنقلها من مكانها أو تحويلها».

ونظرًا لأن هذه العملية برمتها واجهت مشكلات متزايدة فقد ظهرت الحاجة الملحة لعقد مؤتمر لمناقشة القضايا الخلافية والاتفاق على إيجاد حل لمشكلة وجود ما يقرب من ١١ مليون يهودي في أوروبا. وتحقق هذا الاجتماع بفضل مبادرة إيخمان الذي كان مرءوسًا لهيدريش. كما يرجع إليه الفضل في إعداد جدول أعمال مؤتمر وانسي وتحديد أسماء المدعوين للاشتراك فيه والإيحاء لهم بأن حضور هذا المؤتمر إجباري بسبب الأهمية غير العادية للمشكلة وضرورة الوصول إلى موقف متفق عليه إزاءها.

وإلى جانب هيدريش كان مولر Muller رئيس الشرطة السري التابع لوحدة البوليس الخاصة ضيفًا رئيسًا على مؤتمر وانسي. وتعين على القيادة السياسية على أعلى مستوي وعلى الوزراء حضور هذا المؤتمر، فقد حضره الدكتور ماير Meyer والدكتور ليبراندت Leibbrandt ممثلاً عن وزارة الأراضي الشرقية المحتلة والدكتور ستوكارت Stuckart وزير الداخلية ونيومان Neumann وزير الطيران والدكتور فريزلر Freisler وزير العدل في الرايخ الثالث والدكتور بوهلر Buhler نائب وزير الدولة في مكتب المحافظ العام والدكتور لوثر Luther نائب وزير الدولة بوزارة الخارجية وكلوبفر Klopfer رجل الوحدة الخاصة بوصفه ممثلاً عن الحزب النازي وكريتزنجر Kritzinger بوصفه ممثلاً عن مكتب الرايخ ورجل الوحدة الخاصة هوفمان Hoffmann ممثلاً عن مؤسسة Rusha وكبار المسئولين في الحكومة العامة (بولندا) وهم رؤساء مصالح تابعون لجورنج وهملر بالإضافة إلى فريك Frick ولامرز Lammers وبورمان Bormann وروزنبرج Rosenberg وفون ريبنتروب Ribbentrop وهانز فرانك Hanz Frank حاكم الحكومة العامة (بولندا) والمسيطر على مقدراتها.

وإلى جانب الاثنى عشر موظفًا حضر مؤتمر وانسي ضابطان شابان من رجال الوحدة الخاصة تمت ترقيتهما مؤخرًا هما: أدولف ايخمان والدكتور ردولف لانج رئيس مكتب أمن الرايخ في وزارة الأراضي الشرقية الذي نجح في إبادة يهود جيتو ريجا Riga قبيل ساعات قليلة من اجتماع مؤتمر وانسي. وبسبب هذا الإنجاز العظيم والحاجة الملحة إلى اشتراك لانج في أعمال هذا المؤتمر قام هيدريش بتأجيل موعد انعقاده مرتين. ولا غرو فقد كان لانج خبيرًا في الإبادة الجماعية واستخدام الشاحنات التي أقيمت عليها غرف الغاز.

افتتح هيدريش المؤتمر بكلمة تُذَكّر الحاضرين بالأمر الذي كان جورنج قد أصدره يوم ٣١ يونية ١٩٤١م بخصوص الحل النهائي لمشكلة اليهود. وذَكَّر هيدريش الحاضرين بأن مؤسسة Rusha هي المنوط بها تنفيذ عمليات الإبادة بغض النظر عن مواقع الحدود

الجغرافية، وذلك بالتعاون مع بعض المكاتب الأخرى التي اضطلعت بدور ثانوي في إجراء عمليات الإبادة. وقدم هيدريش تقريراً موجزاً عن وسائل محاربة يهود ألمانيا وأوصى بالتالي:

١- إقصاء اليهود من جميع مجالات الحياة الاجتماعية في ألمانيا.

٢- ترحيل اليهود من جميع أراضي الرايخ الألماني.

وحتى تؤتي هذه التوصيات ثمارها تعين تسريع وتيرة ترحيل اليهود من ألمانيا. والجدير بالذكر أن النظام النازي أنشأ مكتب الرايخ الرئيسي لتهجير اليهود بناء على الأوامر التي أصدرها جورنج إلى هيدرتش في يناير ١٩٣٩م. وتنص هذه الأوامر على التالي:

١- بذل كل الجهود الممكنة للإعداد لزيادة هجرة اليهود من الأراضي الألمانية.

٢- التحكم في سير عملية التهجير.

٣- الإسراع في إنهاء إجراءات التهجير.

ومعني هذا باختصار تطهير الأراضي الألمانية من اليهود باتباع الطرق الشرعية والقانونية. ونجم عن هذا الإسراع في عملية التهجير نوع من الارتباك في المكتب الذي يتقدم إليه اليهود بطلبات الهجرة. وزاد من ارتباك مكاتب الهجرة أنها كانت تعاني من مشكلات مالية وعدم توفر وسائل النقل اللازمة لترحيل اليهود واعتراض بعض الدول على استقبالهم. ورغم هذا الارتباك فقد اضطرت المكاتب الألمانية المعنية بتهجير اليهود إلى الاستمرار في عملها، الأمر الذي أدى إلى نجاح مؤسسة Rusha في تهجير ٥٣٧ ألف يهودي من ألمانيا في الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤١م. وهذا العدد يشمل:

- ما يقرب من ٣٦٠ ألف يهودي في ألمانيا عام ١٩٣٣م.

- ١٤٧ ألف يهودي كانوا في النمسا قبل ١٥ مارس ١٩٣٩م.

- ما يقرب من ٣٠ ألف يهودي كانوا في محمية التشيك وموارفيا في ١٥ مارس ١٩٣٩م.

والمفارقة أن مشروع ترحيل اليهود من ألمانيا اعتمد في تمويله: إما على اليهود أنفسهم أو على المنظمات السياسية اليهودية. وخوفًا من عدم مقدرة اليهود الفقراء على تحمل نفقات تهجيرهم إلى البلاد الأجنبية فرضت ألمانيا النازية ضريبة هجرة على أغنياء اليهود للصرف منها على هجرة فقرائهم. وأيضًا حتى لا يتمكن اليهود من سحب العملات الأجنبية وتفريغ بنك الرايخ منها تَعيَّن على المنظمات اليهودية الأجنبية أن تكون مسئولة عن توفير العملات الأجنبية اللازمة لهجرة بني إسرائيل من ألمانيا. وحتى ٣٠ أكتوبر عام ١٩٤١، قامت المنظمات اليهودية الأجنبية بدفع تسعة ونصف مليون دولار أمريكي لصالح المهاجرين من يهود ألمانيا.

وفي مايو عام ١٩٤١، قام هنريش هملر بناء على أوامر هتلر بوقف هجرة اليهود من أراضي الرايخ الثالث بسبب نشوب الحرب من ناحية واحتمالات تهجيرهم إلى أوروبا الشرقية من ناحية أخرى.

ولكن إرغام يهود ألمانيا على الهجرة خارجها لم يكن كافيًا لحل المشكلة اليهودية من جذورها. وذهب هيدريش إلى أن الحل الناجح لهذه المشكلة يكمن في التخطيط المنظم لإبادة بني إسرائيل الذين يعيشون في الأراضي الألمانية والأراضي التي نجح النازيون في احتلالها.

وحتى يوضح هيدريش جسامة المشكلة وضخامتها قال: إن خمسة مليون يهودي يعيشون في الاتحاد السوفيتي، ومليونين ومائتين وأربعة وثمانين ألف يهودي في الحكومة العامة (بولندا)، ومليونا ومائة وأربعة وأربعين ألف وسبعمائة يهودي في بلاد أوروبا الغربية وشمالها الواقعة تحت الاحتلال النازي، وسبعمائة واثنين وأربعين ألف وثمانمائة يهودي في كل من المجر وإيرلندا وبريطانيا العظمى وسويسرا وأسبانيا وتركيا والسويد.

وطبقًا للقائمة التي أعدها هيدريش كانت استونيا البلد الوحيد الخالي من اليهود. ومعنى ذلك أن ما يقرب من ١١ مليون يهودي باتوا معرضين لخطر الإبادة، وفيما يلي جدول يوضح عدد اليهود في وسط وشرق أوروبا في الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٣١م.

اسم البلد	الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٥م	الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣١م
بولندا	٢,٨٥٥٣٦٨ (١٠٪)	٣,١١٣٩٣٣ (٩,٨٪)
تشيكوسلوفاكيا	٣٥٤٣٤٢ (٢,٤٢٪)	٣٥٦٨٣٠ (٢,٤٢٪)
المجر	٤٧٣٣٥٥ (٥,٩٪)	٤٤٤٥٦٧ (٥,١٪)
رومانيا	-	٧٥٦٩٣٠ (٤,٢٪)
لتوانيا	١٥٧٥٢٧ (٧,٢٦٪)	-
لاتفيا	٩٦٦٧٥ (٥,٢٪)	-
استونيا	٤٥٦٦ (٤٪)	-

وهذه الاحصائيات مبنية على التعدادين اللذين أجريا في الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٥م والفترة من ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣١م. علمًا بأن التعداد أُجرى مرة واحدة في رومانيا ودول البلطيق.

وطبقًا لما يقوله هيدريش كانت المشكلة الرئيسية تكمن في التحقق من أصالة هوية اليهودي وتميزها عن اليهود غير الأصليين. وانطبق هذا بوجه خاص على يهود المجر ورومانيا حيث كان باستطاعة اليهودي بشيء من العناء والتعب الحصول على وثائق هوية مزورة تثبت انتماءهم إلى قطر أو آخر.

والرأي عند هيدريش أن الاتحاد السوفيتي بلد فريد من نوعه نظرًا للأثر العميق الذي تركه اليهود في الحياة الاجتماعية هناك. وفي الجزء الشرقي من الاتحاد السوفيتي بلغ عدد مواطنيه من اليهود نحو خمسة مليون في حين عاشت في الجزء الآسيوي منه أقلية يهودية لا يتجاوز عددها ربع مليون نسمة.

وأوضح هنريش أن هناك احتمالاً بترحيل يهود غرب أوروبا إلى شرقها إشارة إلى المجازر الوحشية التي ارتكبتها القوات النازية ضد اليهود في الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الألماني والتي يمكن لمخطط «الحل النهائي» لقضية اليهود الاستناد إليها.

وكان هذا المخطط الجديد يهدف إلى توطين اليهود في جيتوهات مؤقتة كما ذهب النازي إيخمان في مذكراته الرسمية تمهيداً لنقلهم وإبعادهم إلى أقصى موقع في الشرق. كما اقترح إيخمان تشغيل اليهود الأصحاء المرِّحلين في بناء الطرق وشق القنوات. يقول إيخمان في هذا الشأن:

«ليس هناك أدنى شك في أن عدداً كبيراً منهم سوف يقضي نحبه نتيجة شدة الإنهاك. ولن يبقى على قيد الحياة سوى الأشداء منهم الذين يتعين اتخاذ إجراءات خاصة ضدهم حتى لا يتحولوا إلى مجموعة من الأفراد الأقوياء الذين يستمرون في الحياة طبقًا للانتخاب الطبيعي، الأمر الذي سيؤدي إلى إحياء العرق اليهودي. وسوف نمشط جميع أرجاء أوروبا من غربها إلى شرقها».

وكبداية اقترح هيدريش إزاحة اليهود من الأراضي الألمانية ومحمية سيشيا Czechia ومورافيا إلى أماكن إيواء لمعالجة مشكلات المنطقة على حد قوله. ولكنه أعلن أن اليهود العاملين في مصانع الذخيرة آنذاك لن يتعرضوا للتهجير أو الإجلاء تنفيذاً للطلب الذي تقدم به سكرتير جورنج.

وتنفيذاً لرغبة هتلر الخاصة. تم إنشاء وتنظيم جيتو نموذجي لإيواء اليهود الذين تزيد أعمارهم عن خمسة وستين عامًا القادمين قبل نشوب الحرب من أراضي الرايخ الألماني والنمسا والمحميات واليهود الحاصلين على وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولي من منطقة تيرزين Terezin (أوثير سينستدات) في الأراضي التابعة لمحمية سيشيا ومورافيا. وفي ٣١ أكتوبر ١٩٤١م كانت هذه الشروط تنطبق على نحو ٣٠٪ من المائتي والثمانين ألف يهودي المقيمين في ألمانيا والنمسا. وفي واقع الأمر وقع اختيار النازيين لهذا المكان حتى يكون نموذجًا للإبادة البطيئة التي تصيب كبار السن غير القادرين على العمل وتحمل مشقة الترحيل.

لم يتوقع المشاركون في مؤتمر وانسي حدوث أية مشكلات أثناء ترحيل اليهود. ولكن نائب وزير الشئون الخارجية اعتلى المنصة ليقول إن بعض الدول الاسكندنافية على سبيل المثال سوف تواجه مشكلات عندما يتم الانتهاء من التخلص من اليهود.

ولهذا السبب اقترح تأجيل ترحيل اليهود من تلك البلاد مؤكداً أن هذا التأجيل لن يؤثر بحال من الأحوال بشكل سلبي على نجاح مشروع إبادتهم حيث إن عدد اليهود الموجودين في هذه البلاد الاسكندنافية ضئيل للغاية. ثم أضاف أن وزارة الخارجية الألمانية لا تتوقع أن تواجه أية مشكلات من هذا القبيل في بلاد جنوب شرق وغرب أوروبا.

وصرح هوفمان أنه ينوي أن يرسل خبيراً من مؤسسة Rusha إلى المجر للحصول على صورة واضحة للموقف هناك. وتقرر أن يقوم هذا الخبير بمساعدة الملحق الأمني في المجر. وفيما يتعلق بالحل النهائي فإن من شأن قوانين نورمبرج تنظيم وتحديد مسألة الزواج المختلط والنسل المختلط. وقال هوفمان إنه يتوقع استخدام تعقيم اليهود على نطاق واسع لأنه إذا خُيروا بين التهجير والتعقيم فسوف يفضلون التعقيم على التهجير بطبيعة الحال.

وأوضح وزير الدولة الدكتور ستوكارت أن تطبيق الإجراءات لحل مشكلة الزواج المختلط من شأنه أن يجر في أذياله مشكلات إدارية لا تُعد ولا تحصى، كما أنه من الأفضل تنفيذ نظام التعقيم الإجباري طالما أنه لا محيص عن أخذ عنصر الوراثة البيولوجية في الاعتبار. وسوف تصبح التصفيات القانونية والشرعية لهذه الزيجات المختلطة المشكلة الإدارية القادمة التي سيواجهها النظام النازي.

وأيضاً تحدث في المؤتمر الدكتور جوزيف بوهلر الممثل الإداري للحكومة العامة (بولندا) حيث يعيش أكبر عدد من اليهود الواقعين تحت الاحتلال النازي. وحيث كان تنفيذ خطة الإبادة قد بدأ بالفعل. وطلب بوهلر إسراع وتيرة إبادة يهود الحكومة العامة لأن معظهم على حد قوله لا يُصلحون لأداء أي عمل. ووافق بوهلر على أن تتولى مؤسسة Rusha التنسيق لإنجاح هذاالمشروع مؤكداً نجاحه لوفود الحاضرين، وهكذا اتخذ مؤتمر وانسي قراره النهائي بضرورة إبادة اليهود على المستوي البيولوجي. ولم تكن فكرة التعقيم أو الإبادة البيولوجية جديدة لأن هيدريش أشار إليها في مؤتمر برلين الأول المنعقد في ٢٩ سبتمبر ١٩٣٩م وضمنها تعليماته التي أصدرها إلى

قومندات القوة الخاصة التابعة لقوات الأمن حيث إن الألمان آنذاك لم يكونوا يملكون وسائل النقل اللازمة لترحيل اليهود إلى أماكن إبادتهم فهتلر لم يسيطر على معظم القارة الأوروبية إلا في يناير ١٩٤٢م. وهو الأمر الذي جعل فكرة إبادة يهود أوروبا ممكنة التنفيذ.

كانت المشكلة الأخيرة التي تناولها المؤتمر هي الوسيلة التي ينبغي اتباعها لإبادة أحد عشر مليون يهودي. والجدير بالذكر أن النازي أدولف إيخمان الذي ظل صامتًا حتى ذلك الوقت تحدث لأول مرة ليقول: إنه تم افتتاح معسكر تجريبي للإبادة الفورية في بلدة تشيلم على نهر نير في وارثجو Warthegau يوم ٨ ديسمبر ١٩٤١م حيث تم قتلهم بغاز عادم الشاحنات. وهي نفس الطريقة التي استخدمها لانج Lange في روسيا. وأكد إيخمان فائدة هذه الطريقة ونجاعتها. غير أنه اقترح استخدام طريقة مختلفة في الإبادة لكثرة المشكلات والإحباطات النفسية التي عانى منها سائقو شاحنات الغاز المتحركة والعاملون عليها.

وذكر إيخمان زيارته إلى معسكر اوشفيتز في صيف عام ١٩٤١م عندما كان رودلف هوس قومندانا له. وفي مايو عام ١٩٤١م أُستدعى إيخمان إلى برلين لمقابلة هملر والتحدث معه على انفراد. وذكر هوس جانبًا من الحديث الذي دار بينه وبين هملر الذي قال له: «لقد أمرني الفوهور بإيجاد حل نهائي لمشكلة اليهود». وجاء على لسان هملر ما يلي:

«يتعين علينا نحن رجال الوحدة الخاصة تنفيذ هذا الأمر. ولن تكون أماكن الإبادة الواقعة في شرق أوروبا كافية نظرًا لاتساع نطاق المشروع. إن اليهود أعداء الأمة الألمانية إلى الأبد، ويجب القضاء المبرم عليهم. وسوف نقوم بإبادة جميع اليهود الذين يقعون في أيدينا بلا استثناء في فترة الحرب».

وبعد ذلك يروي هوس زيارة إيخمان إلى معسكر أو شفيتز قائلاً:

«أخبرني إيخمان بخطة إبادة اليهود في بعض الدول بعينها... الجزء الشرقي من سيلسيا العليا ومناطق الحكومة العامة القريبة، وبالتالي وطبقًا للموقف يهود ألمانيا

وتشيكوسلوفاكيا، وأخيراً يهود أوروبا الغربية في فرنسا وبلجيكا وهولندا. ثم ناقشنا عقب ذلك أسلوب تنفيذ عملية الإبادة. ولم يكن هناك محيص من استخدام الغاز بسبب قدرته على إبادة التجمعات البشرية الضخمة التي يستحيل التخلص منها باستخدام طلقات الرصاص، ولأن النساء والأطفال سوف يشكلون عبئًا على كاهل ضباط الوحدة الخاصة لا طاقة لهم به. وأخبرني إيخمان بأسلوب القتل عن طريق استخدام شاكمنات العادم الموجودة في الشاحنات، كما يحدث في دول شرق أوروبا. غير أن هذا الأسلوب على أية حال لم يكن بالإمكان تنفيذه في القضاء على الأفواج الكبيرة المرحلة مثل الأفواج التي توقعنا وصولها في أوشفيتز. وتطلبت الإبادة بغاز الكاربون مونوكسيد عن طريق دشات الاستحمام (كما كان يحدث في حالة المعتوهين والمعاقين ذهنيًا في بعض مناطق الرايخ المحلية) استخدام عدد كبير من المباني وإمدادات الغاز للإجهاز على كل هذا العدد الغفير من الناس الأمر الذي قد يشكل عقبة... وأراد إيخمان العثور على نوع من الغاز يسهل إنتاجه ولا يتطلب استخدامه أية معدات خاصة. ولكن إيخمان لم يستطع أن يحدد لي التاريخ المضبوط لبدء هذه العملية لأنها كانت لا تزال في مراحلها التمهيدية. كما أن رئيس وحدة البوليس الخاصة لم يكن بعد قد أصدر أمراً بالشروع فيها».

واسترسل إيخمان في شرح وجهة نظره فتحدث عن الدور الذي يمكن لمعسكرات الاعتقال أن تلعبه في تنفيذ مخطط الإبادة. ولهذا فكر إيخمان في إنشاء شبكة فعالة من معسكرات الإبادة. وقد اكتسب إيخمان تجربة عندما استخدم بعض وحدات القوات الألمانية في القضاء على يهود روسيا خلال السنة الأولى من نشوب الحرب. ولكنه قرر ضرورة تغيير التكتيك المستخدم لأن الممارسين لهذه الإبادة لم يتحملوا بشاعة ما يقترفون من وزر. ويشير هوس إلى حدوث حالات انتحار كثيرة في صفوف قوات الأمن كما أن البعض منهم أصابته لوثة أو أدمن معاقرة الخمور.

وبعد إيخمان قام الدكتور لانج بقراءة تقرير موجز عن الأساليب المختلفة لإبادة اليهود في شرق أوروبا. وردد نفس الرأى الذي نادى به إيخمان المتمثل في ضرورة

إقامة مراكز إبادة دائمة، وأوضح العقبات التي واجهت عمليات الإبادة في أراضي الاتحاد السوفيتي المحتلة، وأن إبادة اليهود زادت من عنفوان المقاومة ضد الاحتلال النازي كما زادت من ضراوة حرب العصابات ضد الاحتلال.

وألقى المندوب هانز فرانك كلمة ردد فيها رأي رئيسه القائل بضرورة البدء في ترحيل أفواج اليهود من جيتوهات الحكومة العامة وغيرها في أرجاء بولندا إلى مراكز الإبادة. وأيضًا ركز بوهلر على سهولة ترحيل أفواج اليهود من بولندا حيث إنها تقع في مركز الأقطار التي احتلتها القوات النازية. وبطبيعة الحال بات من الواضح لجميع المشتركين في مؤتمر وانسي أن يهود بولندا يمثلون أكبر جالية على الإطلاق. وختم بوهلر كلمته بالحديث عن العداوة التقليدية التي يحملها البولنديون ضد السامية والتي يمكن لألمانيا أن تستغلها لصالحها. وتوقع بوهلر من البولنديين أن يتعاونوا مع النظام النازي في إبادة اليهود.

ووافق الحاضرون بالإجماع أن يتولى هيدريش رئاسة عمليات الإبادة التي تتم عن طريق إنشاء مؤسسة تحت إدارته. وقام هيدريش بتخويل مساعده إيخمان كافة الصلاحيات الخاصة بترحيل كل يهود أوروبا إلى معسكرات الموت النازية. وأيد كافة المسئولين في النظام النازي مقترحات هيدريش. ونبذ الجميع فكرة تهجير اليهود وحبذوا فكرة تعقيمهم لمنعهم من التناسل، أي أنهم فضلوا الحل البيولوجي على التصفية الجسدية. واضطلع إيخمان بإرسالهم إلى أماكن الإبادة. وأيضًا بدأ النازيون في إنشاء مراكز إبادة دائمة هدفها الإجهاز على أكبر عدد من بني إسرائيل. وأخيرًا تقرر إنشاء معسكرات الإبادة هذه وأجمع الحاضرون في المؤتمر على اختيار بولندا كأنسب بلد لارتكاب هذه الفظاعات.

وفيما يتعلق بالعاملين في مشروع رينهارد للقتل الرحيم تم نقل معظمهم إلى لوبلن (ماجدانيك). وأصدر هتلر تعليماته بعدم إلحاقهم بصفوف الجنود الألمان الذين يحاربون على جبهة القتال خشية وقوعهم أسرى في قبضة الروس فيميطون اللثام عن الوحشية النازية، مما قد يؤثر سلبًا على الاستقرار الداخلي في الرايخ الألماني.

ونظرًا لأن هملر لم يعين عمالة إضافية للقيام بعمليات الإبادة فإنه لم يكن تحت تصرف جلوبوكنيك سوى ٩٢ شخصًا من المشاركين السابقين في عملية رينهارد للقتل الرحيم الذين قامت على عاتقهم المهمة الجبارة المتمثلة في ترحيل ٢ مليون يهودي إلى معسكرات الموت. ولكن جميع وحدات الشرطة والبوليس الخاص في منطقة لوبلن كانت تحت إمرته. وبين جميع هذه الوحدات لم يصلح للقيام بهذه المهمة العسيرة سوى ألف وخمسمائة جندي.

وفي ظل هذه الظروف أصبح من الضروري إسناد هذه المهمة الشاقة إلى فرقتين إضافيتين وعلى وجه الخصوص إلى «القسم الخاص» المكون من وحدات صغيرة منتمية إلى الفرقة الألمانية التي كان أفرادها يقطنون بولندا قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى بعض سجناء الحرب التابعين للجيش الأحمر والذين نجح الألمان في أسرهم في ترافينيكي. وأيضًا سمح هملر لجلوبوكينك بصفة شخصية تجنيد بعض مواطني الاتحاد السوفيتي ممن سقطوا في قبضة القوات النازية. وقام جلوبوكينك بتجنيد العناصر القادمة من أوكرانيا وجمهوريات البلطيق لما عرف عنهم من كراهية السامية والشيوعية معًا. ولإغراء هذه العناصر بالعمل في إبادة اليهود سمح لهم النازيون بحرية الحركة ووفروا لهم ظروفًا معيشية أفضل مع وعد بعدم إرسالهم إلى الجبهة الشرقية. وتم إرسال المتطوعين إلى معسكر ترافينيكي الذي صار معسكرًا للتعليم والتدريب وتم تقسيمهم إلى جماعات حسب قومياتهم. وأُسندت إلى كارل ستريبل مهمة تجنيد المتطوعين وتدريبهم.

ووقع اختيار جلوبوكينك على الضابط هيرمان هوفل كي يكون مسئولاً عن توجيه العاملين السابقين في برنامج القتل الرحيم المعروف اختصارًا بـT4. وأصبح هملوت بوهل Helmutt Pohl مساعدًا له ومسئولاً عن استقبال الأفواج المهجرة. واضطلع كريستيان فيرث Wirth بمهمة الإشراف التقني على معسكرات الإبادة. وواقع الأمر أن فيرث أصبح المفتش العام على جميع معسكرات الاعتقال والمسئول عن كفاءة عمليات الإبادة.

وكان النازيون يطلبون من القائمين بهذه العمليات أن يقسموا على الحفاظ على سريتها. وتحدث هوفل شخصيًا إلى كل عامل ومتطوع في هذا المشروع وطلب منه التوقيع ليتعهد بعدم إفشاء أي شيء عنه.

وتشكلت قوات عسكرية من الشرطة ووحدة البوليس الخاصة والوحدات الأوكرانية الفرعية تعرف باسم قوات التطهير مهمتها إخراج اليهود بالقوة من الجيتوهات. وكانت هذه القوات تحت إشراف ثلاثة ضباط من رجال الوحدة الخاصة هم: جورج ميشالسن **Georg Michalsen** وكيرت كلاسن **Kurt Clasen** وإرنسث ليرتش **Ernst Lerch**. وأيضًا كان جورج ويبرن **Georg Wippern** مسئولاً عن الإشراف على جمع الغنائم والأسلاب المنتزعة من اليهود وإرسالها إلى الرايخ أو إلى لوبلن مباشرة.

معسكر تريبلينكا في الفترة

من ٢٣ يولية ١٩٤٢م حتى ٢٨ أغسطس ١٩٤٢م

كان القطار الذي يحمل الأفواج المرحلة إلى معسكر الموت في تريبلينكا يقف في محطة سكة حديد هذه القرية. وكانت قاطرة هذا القطار تجر في العادة نحو ستين عربة بضائع انقسمت فيما بعد إلى ثلاثة أقسام كل منها منفصل عن الآخر إلى داخل المعسكر. وعند وصول القطار إلى هذه النقطة - كما يحدث في معسكري بلزيك وصوبيبور - تولى سائقان ألمانيان قيادة القاطرة. ويصف لنا رجل بولندي يدعي فرانسيزيك Franciszek Zabecki وصول أول فوج من اليهود المرَّحلين من جيتو وارسو إلى تريبلينكا بقوله:

«غادر أول فوج من المرَّحلين بلدة مالكينيا Malkinia في ساعات الصباح يوم ٢٣ يولية ١٩٤٢م. وأعلن القطار عن اقترابه بصوت قرقعة عجلاته أثناء عبور جسر نهر البرج، إلى جانب صوت زخات الرصاص المنطلق من رشاشات وغدارات حرس الأمن. كان القطار مكتظًا باليهود القادمين من جيتو وارسو. وكان في انتظار الفوج أربعة من رجال وحدة البوليس الخاصة الذين سبق وصولهم بالسيارة. واستفسروا منا عن المسافة بينهم وبين قطار تريبلينكا الخاص الذي ينقل المرَّحلين. وكان قد ترامى إلى أسماعهم موعد مغادرة القطار ورحيله إلى وارسو. وكانت هناك قاطرة أصغر حجمًا تنتظر في المحطة كي تنقل جزءًا من حمولة عربات البضائع إلى داخل المعسكر. كان كل شيء معدًا ومخططًا له من البداية. وكان القطار يتكون من قرابة ستين عربة مغلقة ويكتظ بالمرَّحلين من الشباب والشيبة والرجال والنساء والأطفال الرضع.

وكانت أبواب العربات موصدة بأقفال من الخارج، كما كانت فتحات الهواء في العربات مغطاة بالأسلاك الشائكة. وعلى السلالم الموجودة في جانبي العربات وعلى أسقف هذه العربات وقف نحو اثني عشر من الجنود التابعين لوحدة البوليس الخاص أو رقدوا بمدافعهم الرشاشة على أهبة الاستعداد. كان الجو حاراً كما كان معظم الناس المكدسين في عربات البضائع في حالة أشبه ما تكون بالإغماء. وما أن اقترب القطار حتى سادت روح شريرة بين رجال وحدة البوليس الخاصة. فقد أخرجوا مسدساتهم من غمدها. ثم أعدوها للاستعمال كما لو كانوا يتلهفون على إطلاق النار. واقتربوا من عربات البضائع، وحاولوا تهدئة الضجة والبكاء ثم أخذوا يزعقون ويصرخون ويلعنون اليهود وهم يحثون طيلة الوقت عمال القطار على الإسراع في أداء عملهم. وبعد ذلك عادوا إلى المعسكر لاستقبال المرّحلين. وعند اقتراب القطار من معسكر الموت في تريبلينكا أطلقت القاطرة التي تجر عربات البضائع صفارة طويلة لتنبيه المرّحلين بقرب وصلوهم إلى المحطة. وكان هذا بمثابة إشارة إلى الأوكرانيين ليحتلوا مواقع الحراسة المحيطة بمنطقة الاستقبال وأسطح المباني المطلة عليها. وقامت مجموعة من رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيين باتخاذ مواقعهم على رصيف المحطة. ويصف أحد المرّحلين اقتراب القطار من معسكر تريبلينكا بقوله:

«تحرك القطار ببطء ليجتاز منطقة ريفية تجمع بين الحزن والغرابة. وبعد لحظة توقف انفتح الباب محدثًا جلبة وضجة. وانقشع الحزن المخيم على الريف ثم اعترانا في لحظات خوف غريب. وجاءت صيحات (الحراس) المعتادة (اخرجوا... اخرجوا). وبدأ الناس يتدافعون. وأمسكنا بأيدي بعضنا البعض وقفزنا فوق الرمال... وذهب كل واحد منهم في اتجاه أشجار الأناناس الكثيفة، وفجأة خطرت لي فكرة غريبة. هذه الأشجار لا تنمو لأنها أشجار ميتة. غير أن هذه الأشجار كونت سوراً محكما بدا وكأنه غابة كثيفة تكونت من أشجار مقطوعة. شخصت ببصري نحو السور ورأيت شيئًا آخر - الأسلاك الشائكة بين أفرع الشجر. فكرت أنه معسكر اعتقال. وفي تلك اللحظة اجتزنا بوابة واسعة من السور. وكان أمامنا ميدان. وانقض علينا

عدة رجال بسياطهم صائحين: «(اسرعوا... اسرعوا). ليذهب النساء إلى الثكنة ويكوّن الرجال مجموعات تضم كل مجموعة منها ستة أشخاص. وسادت الفوضى العارمة التي يصعب وصفها، وجرينا».

استخدم النازيون العنف في إخراج المرّحلين من عربات البضائع إلى الرصيف. ثم قاموا بدفعهم إلى ميدان مسور داخل المعسكر. وما أن اجتازوا بوابة المعسكر حتى تم عزل الرجال على اليمين والنساء والأطفال على اليسار. وكان هناك إعلان كبير مكتوب باللغتين البولندية والألمانية فيما يلي نصه: تنبيه موجه إلى يهود وارسو.

«أنتم الآن في معسكر ترانزيت (مؤقت) سترسلون منه إلى معسكر عمل. وتحاشياً لانتشار الأوبئة يتعين عليكم تسليم ملابسكم ومتعلقاتكم الشخصية لتطهيرها على الفور. كما يتعين عليكم تسليم الذهب والنقود والعملات الأجنبية والجواهر إلى الصرّافين مقابل إيصال استلام. وسوف تعاد إليكم فيما بعد عند تقديم إيصال الاستلام. وتتطلب نظافة البدن من كل واحد منكم الاستحمام قبل استكمال رحلته».

وتم فرز النساء والأطفال إلى الجانب الأيسر في الميدان حيث خلعن ملابسهن قبل استحمامهن تحت دش (الغاز). وقمن بوضع ملابسهن في صرة احتفظن بها بجوارهن. وكذلك قمن بتسليم الأشياء القيمة التي امتلكنها في نهاية الكوخ. وأعطت طريقة النازيين في ترتيب وتنظيم ملابس السجناء وممتلكاتهم القيّمة الانطباع الواهم لدي السجناء بأنهم سوف يستردونها فيما بعد. وتعيّن على الرجال الانتظار بالخارج حتى ينتهي النساء والأطفال من الاستحمام. وأيضاً وقع اختيار إدارة المعسكر على عشرات السجناء وتكليفهم بتنظيف عربات البضائع والعناية بملابس وحقائب الضحايا.

وأرغم النازيون النسوة والأطفال على الجري عرايا في النفق أو الممر الضيق السور المؤدي إلى غرف الغاز. وبعدئذ صدرت الأوامر إلى الرجال بخلع ملابسهم وإيداع ممتلكاتهم القيّمة قبل اقتيادهم إلى غرف الغاز.

وبعد الانتهاء من إبادة فوج اليهود المرحَّلين إلى معسكر تريبلينكا قام النازيون في نفس اليوم بتطويق السجناء المكلفين بأداء الأعمال المختلفة والإجهاز عليهم عن طريق ضربهم بالرصاص أو إرسالهم إلى غرف الغاز أو دفنهم في الحفر.

وفي خلال الأسابيع الأولى من إبادة السجناء اليهود في معسكر تريبلينكا نجح الألمان في خداعهم وإيهامهم بأن بقاءهم في معسكر تريبلينكا مؤقت. وهو ما يؤكده لنا السجين دافيد نوفود فورسكي David Novodvorski القادم من وارسو ونزيل محبس تريبلينكا الذي تمكن من الهروب منه في الأسبوع الأول من شهر أغسطس ١٩٤٢م والذي قال إن أحداً من فوجه القادم إلى تريبلينكا لم يشك أبداً في أن بقاءه في هذا المعسكر مؤقت. ولكن الغشاوة ما لبثت أن زالت عن عين دافيد نوفود فورسكي الذي اكتشف أن معسكر تريبلينكا معسكر موت وإبادة بعد يومين فقط من وصوله إليه.

وأثناء الفترة المبكرة قبل حلول منتصف أغسطس عام ١٩٤٢م وصل إلى معسكر تريبلينكا ما بين خمسة آلاف وسبعة آلاف سجين كل يوم. ثم تغير الموقف بعد ذلك فزاد عدد أفواج اليهود القادمين إلى هذا المعسكر. وفي بعض الأيام ارتفعت أعداد المرحَّلين يوميًا إلى نحو عشرة آلاف واثني عشر سجينا. وساعدت هذه الزيادة الكبيرة في عدد اليهود المهجَّرين على تبديد الوهم بأن بقاءهم في معسكر تريبلينكا مؤقت، وخاصة لأن النازيين كالوا لهم اللكمات. وأحيانا أطلقوا عليهم الرصاص لإرغام السجناء على مغادرة عربات البضائع والاتجاه نحو الميدان وثكنات خلع الملابس. يقول أبراهام جولد فارب Abraham Goldfarb يوم ٢٥ أغسطس ١٩٤٢م في هذا الشأن:

«عندما وصلنا إلى تريبلينكا وفتح الألمان عربات البضائع كان المنظر مروعًا. كانت هذه العربات مليئة بالجثث. وتحللت هذه الجثث جزئيًا بفعل الكلورين. وتسبب العفن المنبعث من العربات في اختناق السجناء الباقين على قيد الحياة. وأصدر الألمان أمرًا إلى جميع السجناء بالنزول من العربات. وكان القادرون على الهبوط نصف موتى كما انهال علينا رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيون الذين ينتظرون على مقربة بالضرب وإطلاق النار علينا».

وامتلأ الرصيف والميدان القريب بالجثث التي أنزلت من العربات وجثث المقتولين بالرصاص في الحال. ويصف أوسكار بيرجر Oskar Berger الذي زُج به في معسكر تريبلينكا يوم ٢٢ أغسطس ١٩٤٢م المنظر بقوله: «بمجرد أن هبطنا من عربات القطار رأينا منظرًا مروعًا. كانت مئات الجثث راقدة في كل مكان. وتراكمت أكوام الصرر، الصرة فوق الصرة. وكان الجنود التابعون لوحدة البوليس الخاصة والألمان الأوكرانيون يقفون على أسطح الثكنات ويطلقون النار دون تمييز على الجموع.. وسقط الرجال والنساء والأطفال مضرجين في دمائهم. وامتلأ الجو بالصرخات وأصوات البكاء والنشيج. وأرغم الذين لم تصبهم الطلقات على اجتياز بوابة مفتوحة واضطروا إلى القفز فوق جثث الموتي وأجساد الجرحي إلى ميدان مسور بالأسلاك الشائكة. ويعطينا إبراهام كازيبكي Abraham Kszpicki وصفا تفصيليًا لما كان يحدث في هذا الميدان:

«كان الحراس يحيطون بالميدان الذي جلسنا فيه من كل جانب. وعُلق إعلانان على عامود التليفونات. وقرأت الإعلانين المعلقين والمكتوبين بأحرف كبيرة: (تنبيه موجه إلى يهود وارسو) وكان الإعلانان يحملان تعليمات صادرة إلى السجناء الذين وصلوا إلى معسكر العمل لتسليم ملابسهم لتطهيرها مع وعد لهم باسترداد نقودهم وممتلكاتهم القيّمة. وجاء رجل من وحدة البوليس الخاصة ليختار عشر شبان ينتمون إلى مجموعتنا. وامتنع عن استخدام من يكبرونهم سنًا. وبعد مضي برهة اختار رجل آخر من وحدة البوليس الخاصة مجموعة سجناء تتكون من ستين شخصًا كنت أنا واحدًا منهم. وجعلونا نجتاز الميدان في طابور اثنين اثنين عندما غادرنا عربات البضائع، ثم سرنا إلى اليمين حتى وصلنا إلى ميدان كبير حيث وقعت أبصارنا على منظر مفزع. شاهدنا عددًا هائلاً من الجثث ملقاة على الأرض ومتراصة بعضها تلو الأخرى. وقدر عدد هذه الجثث بعشرين ألف جثة... اختنق معظم أصحابها في عربات البضائع. وظلت أفواههم مفتوحة كما لو كانت تلهث لالتقاط أنفاسها... وعلى بعد مئات الأمتار رأينا الحفر التي أُزيلت عنها كميات هائلة من التراب. ورأينا عددًا كبيرًا من اليهود يحملون الجثث لدفنها في هذه الحفر الضخمة. وقام بعضهم بنقل هذه الجثث في عربات يد لإلقائها في الحفر الواقعة على حافة الميدان. وكان هؤلاء اليهود يفعلون كل

شيء وهم يهرولون. وتم وضع الجثث في الحفرات في صفوف متراصة. وقامت مجموعة العمال بإلقاء مادة الكلورين على الجثث. وينبغي عليّ أن أذكر أن الذين تم دفنهم في الميدان لم يكونوا من ضحايا غرف الغاز بل كانت الجثث المبعدة عن أفواج المرّحلين المتوجهين إلى تريبلينكا. إلى جانب جثث المقتولين بالرصاص في هذا المعسكر. وكنا في معظم الوقت نسمع أصوات طلقات المسدسات وأزيزها. ولكننا لم نسمع صرخات المضروبين بها. فقد كان الألمان يطلقون الرصاص على قفا رقبة الضحية فيسقط ميتا دون أن يتأوه.

وخُيل للألماني الذي اقتادنا إلى العمل أن شابا في مجموعتنا يتكاسل في العمل فسحب بندقيته من كتفه ليقتل بها الشاب قبل أن يدرك ما كان يحدث. وبعد مضي دقائق قلائل حدث نفس الشيء مع يهودي آخر أرداه الحارس الأوكراني قتيلاً. ثم استولى على نقوده. وفي خلال وقت قصير لم يبق في كل مجموعتنا سوى عشر رجال أحياء يرزقون.

«وعند هبوط الليل وصل فوج آخر إلى المعسكر. وجرينا صوب عربات القطار فصدمت عندما تبين لي أن جميع الركاب المرّحلين في عربات القطار قضوا نحبهم مختنقين. وكان هؤلاء الموتى يرقدون فوق بعضهم البعض حتى وصلت جثثهم إلى سقف عربات البضائع. كان المنظر مروعًا ومن العسير وصفه. وسألت عن المكان الذي جاء منه هذا الفوج فاتضح أنه جاء من ميدزرزيك Miedzyrzec. ولم يكن هناك مكان يتسع لهذه الجثث المتراكمة. وبالقرب من قضبان السكك الحديد كانت هناك أكوام كبيرة من الملابس ترقد تحتها جثث لأشخاص لم يتم دفنهم بعد. وقمنا برص الجثث في طبقات يعلو بعضها البعض بالقرب من السكك الحديد. وبين الحين والآخر سمعنا أنينًا ينبعث من تحت أكوام الملابس حيث إن بعض الراقدين استعادوا وعيهم وطلبوا جرعة ماء بصوت واهن ضعيف. ولكن لم يكن بمقدورنا أن نفعل أي شيء لمساعدتهم لأننا كنا أنفسنا نموت من شدة الظمأ. وقمنا بإبعاد من لا تزال الحياة تنبض فيهم. وبالقرب من أكوام الملابس فعلنا هذا تحت جنح الظلام فلم يلاحظ الألمان ما نفعل. وبين الأحياء

وجدت طفلاً يبلغ من العمر عامًا واحدًا أو عامًا ونصف عام استرد وعيه ويبكي بصوت عال: فقمت بتنحيته جانبًا ولكنه أسلم الروح في الصباح. وفي اليوم التالي كانت مهمتنا الأولى نقل الجثث الآتية من كيلك Kielce من الثكنة. وفيما بعد تعين علينا نقل جثث الغارقين في بئر. ولست أعرف كيف غرقوا وماذا حدث لهم. وأخبروني بأن هؤلاء الغرقى ماتوا منتحرين».

ويصف لنا إبراهم جولدفارب Abraham Goldfarb ما حدث للذين قيض لهم البقاء على قيد الحياة.

«وبينما السجناء في طريقهم إلى غرف الغاز وقف الألمان بكلابهم على جانبي السور. وانهالوا على السجناء ضربًا بالسياط والقضبان الحديدية لدفعهم إلى الجري والتدافع للوصول بسرعة إلى دشات الاستحمام. ووصلت صيحات النساء إلى الأسماع في أرجاء المعسكر الأخرى. وجاءهم صوت يزجرهم بضرورة الانتهاء من الاستحمام بسرعة لأن هناك آخرين ينتظرون دورهم في الاغتسال».

وحتى يتجنب الضحايا الضرب جروا بأسرع ما يستطيعون لدخول غرف الغاز. وكان الأقوياء يزيحون الضعفاء من طريقهم. وعلى مدخل غرف الغاز وقف الحارسان الأوكرانيان إيفان دومنيوك Ivan Demaniuk ونيكولاي Nikolai. وكان أحدهما مسلحًا بقضيب حديدي والآخر مسلحًا بسيف. وأيضًا انهال هذان الحارسان على السجناء بالضرب كي يحشروا أنفسهم (ما بين ٢٠٠ إلى ٢٥٠ شخص) في غرفة مساحتها ١٦ مترًا مربعًا. وعندما امتلأت غرف الغاز بالسجناء قام الحرس الأوكراني بإغلاق الباب وتشغيل موتور ضخ الغاز. وبعد مرور نحو عشرين إلى خمس وعشرين دقيقة يقوم أحد رجال الوحدة الخاصة أو الحرس الأوكراني بالتلصص من خلال فتحة الباب داخل غرف الغاز. وعندما يطمئنون إلى اختناق جميع الموجودين يأمرون السجناء واليهود بفتح الأبواب الخلفية ونقل الجثث. وعند فتح الأبواب كانت جميع الجثث واقفة بسبب شدة الاكتظاظ. ولأن السجناء الضحايا تشبثوا ببعضهم البعض تحولوا إلى شيء شبيه بكتلة لحم واحدة.

«وأمر رجال الوحدة الخاصة فرقة الموسيقى بالعزف حتى يطغى عزفها على صيحات الضحايا المتجهين إلى غرف الغاز. يقول كزيبيكي في هذا الشأن:

«أثناء وقوفي بالقرب من دش الغاز في معسكر تريبلينكا اكتشفت شيئًا جديداً. لقد ظننت بعض الوقت أني استمع إلى الموسيقى وظننت كذلك أنها مبثوثة من مذياع تولى الألمان تركيبه حتى لا ينسوا ثقافتهم القومية في هذا المكان النائي البعيد. غير أنه تبين لي الآن أن اهتمامهم بالثقافة الموسيقية يفوق اهتمامهم بالثقافة القومية. فعلى مبعدة أربعين متراً من غرف الغاز وقريباً من الممر الذي أقتيد فيه اليهود إلى الدشات، اجتمعت فرقة موسيقية صغيرة تحت إحدى الأشجار. وكانت هذه الفرقة الصغيرة تتكون من ثلاثة يهود يلبسون شاراتهم الصفراء المميزة لهم وثلاث عازفين آخرين. كانوا يعزفون بحماس. وكان من العسير معرفة المقطوعات الموسيقية التي سيقومون بعزفها. وكانت هذه المقطوعات فيما يبدو الأغاني الموضة الشهيرة التي راقت مؤخراً للألمان والأوكرانيين على حد سواء».

ورغم أن عملية القتل بالغاز تمت بيسر وسلاسة فإن بعض المعوقات كانت تعترضها أحيانا. ففي البداية لم يكن عامل تشغيل جهاز ضخ الغاز يعرف المدة التي يستغرقها الضحية حتى تختنق وتسلم الروح، مما جعل الحراس يفتحون أبواب هذه الغرف في وقت باكر ليجدوا أن الضحايا لا يزالون أحياء، مما اضطرهم إلى إغلاق غرف الغاز مرة أخرى وإعادة تشغيلها. وفي بعض الأحيان كانت مضخة الغاز تتعطل الأمر الذي أدى إلى تعطيل عمليات القتل بالغاز واضطرار الضحايا إلى البقاء في غرف الغاز لحين اصلاح العطب وإعادة تشغيل محطة ضخ الغاز. وكذلك كان هناك إبطاء في إزاحة الجثث من غرف الغاز ونقلها في ترولِيهات إلى حفر الدفن. وقد نجم عن هذا الإبطاء تأجيل دخول الأفواج الجديدة غرف الغاز لتلقى نفس المصير. وكثيراً ما كانت العربة التي تجر باليد (الترولي) والتي تنقل الجثث تخرج عن مسارها على القضبان وتنقلب بمحتوياتها. ولهذا تقرر عدم استخدام هذه الترولِيهات وأن يقوم السجناء بجر الجثث من أقدامها وإلقائها في الحفر.

وخلال الخمسة أسابيع الأولي من عمليات الإبادة في تريبلينكا في الفترة ٢٣ يولية حتى ٢٨ أغسطس ١٩٤٢م تم ترحيل نحو ٢٤٥ ألف يهودي من جيتو وإقليم وارسو إلى معسكر تريبلينكا و ٥١ ألف يهودي من إقليم رادوم Radom وستة عشر ألف وخمسمائة يهودي من إقليم لوبلن. وبذلك وصل مجموع اليهود المرحّلين في تلك الفترة إلى نحو ٣١٢٥٠٠ يهودي وشهد أوجست هنجست August Hingst بوحدة البوليس الخاصة والعامل في تلك الفترة في معسكر تريبلينكا بأن طموح الدكتور إبيرل تمثل في زيادة معدلات الإبادة في عهده بحيث تفوقت على معدلات الإبادة في سائر المعسكرات الأخرى. ووصل إلى معسكر تريبلينكا وإلى غرف الغاز فيه عدد هائل من الأفواج أصبح من كثرته خارج نطاق السيطرة. وبذلك أصبح هذا المعسكر من الناحيتين التقنية والتنظيمية عاجزًا عن استيعاب كل هذا العدد الغفير من الضحايا.

وتمثل عنق الزجاجة في عمليات الإبادة في غرف الغاز الثلاث في تريبلينكا في كثرة الأعطال التقنية، الأمر الذي اضطر إدارة المعسكر إلى قتل من لم تستوعبهم غرف الغاز بالرصاص. وظهرت الحاجة إلى حفر المزيد من الحُفر لدفن الآلاف الذين ماتوا ضربًا بالرصاص، بالإضافة إلى الآلاف المؤلفة التي قضت نحبها من الاختناق في عربات البضائع المكتظة. وتمكنت إدارة المعسكر في إيجاد حل جزئي لمشكلة حفر الحُفر لدفن الجثث فيها عن طريق الاستعانة بجراف ضخم تابع لمحجر قريب من معسكر العقوبات. وبوجه عام ظلت مشكلة دفن الجثث بلا حل بسبب كثرة الأفواج التي وصلت إلى أرض المعسكر كل يوم.

وبالقرب من الثكنات والميدان المجاور تناثرت وتكاثرت بسرعة أكوام متعلقات الضحايا الشخصية لأنها لم تجد من يقوم بترتيبها وحفظها. وامتلأت الثكنة المخصصة لمخزن حفظ متعلقات الضحايا حتى حافتها مما اضطر إدارة المعسكر إلى استعمال الثكنة التي يخلع فيها الرجال ثيابهم وتحويلها إلى مخزن إضافي امتلأ هو الآخر بالملابس. وكانت أكوام الملابس تتزايد بتزايد أفواج السجناء القادمة. ولم تبذل إدارة المعسكر أية محاولة منظمة لإبعاد متعلقات الضحايا الشخصية من المعسكر.

سـادت الفوضي الشـاملة منطقة استقبال الأفواج في المعسكر. بل حدث نوع من الاسـترخـاء والتـهـاون في قيود المعـسكر الأمنيـة فـاغتنم بعض السـجناء هذه الفـرصـة للهـرب. وهكذا أصـبح الدكتـور إبيـرل - قـومـندان تريبلينكا - عـاجزًا عن التـحكم في الموقف. ومع استمرار قدوم الأفواج المتعاقبة طيلة الوقت إلى الأماكن التي تضـم أكوام الجثث والمـلابس في منطقة الاستقبـال لم يكن هناك بـد من تأجيل وصـول هذه الأفـواج وانتظارها في محطات فرعية. ونجم عن ذلك بطبيعة الحـال ارتفاع نسبة الوفيات داخل عربات البضائع، مما زاد من حجم المشكلات التي جابهـها هذا المعسكر عند وصـول جثث هؤلاء المـوتي إليـه.

وأخيـراً عـرف جلوبوكينك مـا يـحـدث في مـعسكر تريبلينكا . وأيضًـا وصلت تقارير إلى إدارة عملية رينهارد للقتل الرحيم عن استيلاء حراس المعسكر على أموال الضـحايا ومقتنياتـهم بدلاً من إرسـالها إلى أجهــزة الدولة المسئولة ومسـتشارية هتلر في برلين، مما دفع جـهـاز عملية رينـهـارد للقتل الرحـيم إلى التدخل السـريع لوضـع حد لعـمليات سلب ممتلكات الضـحايا الجارية على قدم وساق.

إعادة تنظيم معسكر تريبلينكا

في النصف الثاني من يولية ١٩٤٢م كانت معسكرات الموت الثلاث في تريبلينكا تعمل رغم كل ما جابهته من مشاق وصعاب. وأصبح لزامًا على جلوبوكينك إنشاء سلطة في مقر عملية رينهارد للقتل الرحيم مسئولة عن إدارة هذه المعسكرات الثلاث. ونص الأمر الذي أصدره هملر في ١٩ يولية ١٩٤٢ على ضرورة الإجهاز على جميع يهود الحكومة العامة في بولندا باستثناء بعض الحالات القليلة. وتمثلت المشكلة الأولى في التمكن من إبادة الفوج الواحد في أقل وقت مستطاع وزيادة قدرة غرف الغاز على استيعاب الضحايا. وفي أول أغسطس ١٩٤٢ تم تعيين كريستيان ويرث مفتشًا على معسكرات الموت الثلاث لضمان إدارتها بكفاءة واقتدار. وهذا ما تحقق بعد قيام ويرث بإعادة بناء غرف الغاز في معسكر بلزيك.

كانت أولى المشكلات التي واجهت ويرث تلك الفوضى الضاربة أطنابها في معسكر تريبلينكا. وفي الأسبوع الأخير من أغسطس ١٩٤٢ قام كل من جلوبوكينك وكريستيان ويرث بزيارة معسكر تريبلينكا. ويشهد جوزيف أوبرهاوزر Josef Oberhauser – مساعد ويرث الذي رافقه أثناء زيارته لتريبلينكا بالتالي:

كان كل شيء في تريبلينكا في حالة انهيار. فضلاً عن اكتظاظ هذا المعسكر. وخارج المعسكر وقف القطار الواصل على الرصيف عاجزًا عن تفريغ حمولته من السجناء المرحّلين بسبب عدم وجود أي مكان خال لنزولهم. وكانت جثث كثير من اليهود ملقاة داخل المعسكر وقد ظهر عليها الانتفاخ. وإني أذكر بوجه خاص الجثث الكثيرة الملقاة بجوار السور. والواقع أن الرصاص أُطلق عليهم من أبراج الحراسة.

ويضيف شاهد أخر قوله:

«سمعت آنذاك في تريبلينكا عن اقتسام جلوبوكينك ووبرث العمل فيما بينهما بحيث يبقي ويرث في تريبلينكا بعض الوقت ويتم طرد إبيرل على الفور ليحل محله ستانجل كقائد للمعسكر قادم من معسكر صوبيبور. وذكر جلوبوكينك في حديث له إنه كان سيلقي القبض على الدكتور إبيرل ويقدمه للمحاكمة أمام محكمة رجال الشرطة ووحدة البوليس الخاصة لولا أنه مواطن ألماني».

غادر الدكتور إبيرل معسكر تريبلينكا في نهاية عام ١٩٤٢. ووصل ستانجل إليه في بداية شهر سبتمبر في نفس العام. ويصف ستانجل وصوله إلى هذا المعسكر بقوله:

«عندما وصلت إلى تريبلينكا للمرة الأولى رأيت يافطة كبيرة في ميدان الاستقبال. وبقدر ما أذكر كانت هذه اللوحة تحتوي على عشرة بنود. واتضح لي من الإعلانات المكتوبة أن الغموض يكتنف هذا المعسكر بعض الشيء. وربما أشارت هذه الإعلانات إلى أنه معسكر إعادة توطين. ولكني أعرف أن هذه الإعلانات تضمنت حقيقة مفادها أنه يتعين علينا جميعًا التوجه إلى الحمامات. كما تعين في نفس الوقت تطهير ملابسنا من الحشرات. وفي إطار أوامره الخاصة بإعادة تنظيم المعسكر طلب ويرث استبعاد اللوحة المكتوبة وطلب عوضًا عن ذلك أن يقوم رجال وحدة البوليس الخاصة بإبلاغ المرَّحلين شفاهة بالتوجيهات التي كانت مكتوبة على اللوحة. وقد قام العمال اليهود بترجمة هذه التعليمات الموجزة كي يفهمها بقية السجناء. ثم تم تعيين كيرت فرانز Kurt Franz نائبًا لستانجل. ووصل هذا النائب إلى معسكر تريبلينكا بعد أيام قلائل من وصول رئيسه ستانجل. علمًا بأن كليهما كانا يعملان فيما مضى في برنامج رينهارد للقتل الرحيم. وقبل التحاقه بالعمل في تريبلينكا كان كيرت فرانز يعمل في معسكر بلزيك تحت إدارة كريستيان ويرث حيث عامل ضحاياه اليهود بوحشية بالغة.

ويرجع الفضل إلى ويرث في نقله إلى معسكر تريبلينكا وترقيته إلى منصب نائب القومندان. ويصف كيرت فرانز وصوله إلى معسكر تريبلينكا بقوله:

«جئت من بلزيك إلى تريبلينكا في أواخر صيف أو بداية خريف عام ١٩٤٢. وذهبت سيرًا على الأقدام من محطة سكة حديد مالكينيا إلى تريبلينكا. وعند وصولي خيم الظلام على المكان. وكانت الجثث تنتشر في أرجاء المعسكر. وأذكر انتفاخ هذه الجثث. وأسندت إلى العمال اليهود مهمة جر هذه الجثث وسحبها خارج المعسكر. وكان هؤلاء اليهود يعملون تحت إمرة الحراس الأوكرانيين والألمان... وتسلمت عملي في المعسكر بعد أن قدمت أوراقي إلى ويرث الذي تصادف وجوده في قاعة الطعام. وبقدر ما أتذكر وجدت ستانجل وأوبرهاوزن معه. وحتى يتمكن ويرث وستانجل من استبعاد آلاف الجثث المتراكمة في منطقة استقبال المعسكر طلبنا من إدارة عملية رينهارد التوقف مؤقتًا عن ترحيل الأفواج إلى تريبلينكا، ووافق القومندان جلوبوكينك على هذا الطلب. وفي يوم ٢٨ أغسطس ١٩٤٢ توقفت بالفعل الترحيلات القادمة من وارسو والأماكن الأخرى. ومع توقف قدوم الأفواج إلى معسكر تريبلينكا بدأ العمل في تنظيف المكان من أكوام الجثث القريبة من رصيف المحطة ومن محيط منطقة الاستقبال. واضطلع بمهمة التنظيف هؤلاء اليهود الذين أبقتهم إدارة معسكر تريبلينكا على قيد الحياة لحين انتهائهم من عمليات التنظيف. ويصف لنا كيربيكي ظروف السجناء المعيشية بقوله:

«انعقد طابور النداء على الأسماء في الساعة السابعة مساء. وقاموا بإحصاء عددنا البالغ نحو خمسمائة شخص. وكان المشرف علينا كابو يهودي هو المهندس جالفسكي Galewski. واستغرق طابور النداء في ذلك اليوم ساعتين. مثلما كان الحال كل يوم. وفي صبيحة اليوم التالي كان هناك طابور نداء آخر. وأصبحت هناك ثلاثة نداءات على الطابور يوميًا. وأيضًا بدأت عملية توزيع الطعام يطرأ عليها تنظيم. وتم إنشاء مطبخ ميداني بالقرب من البئر. وهناك وزعوا علينا نصف لتر من الشوربة ثلاث مرات يوميًا ولم يوزعوا علينا أي خبز. ولم يكن هناك نقص في الطعام حيث إننا وجدناه في الصرر التي تركها اليهود المزمع الإجهاز عليهم.

وبعد انتهاء طابور النداء على الأسماء اقتادونا للعمل في الميدان الكبير حيث حفرت قبور جماعية ضخمة. وفي هذه المرة كلفت بنقل الجثث إلى الحفر الهائلة القريبة من السور. وبعد مرور أيام قلائل توقفت الجرافة الضخمة المستخدمة في نقل الجثث عن العمل. فاتبع النازيون نظامًا جديدًا يتمثل في حرق الجثث داخل الحفر. واستخدمت سائر الأشياء المتوفرة لإشعال النار مثل الحقائب الكبيرة الفارغة والخردة والمخلفات المجتمعة أثناء تنظيف الميدان. واستمر حرق الجثث طوال الليل والنهار وامتلأت جميع أرجاء المعسكر بالدخان وبالرائحة النتنه المنبعثة من الأجسام المحروقة والجاري حرقها. ورغم ذلك فقد بقيت أعداد هائلة من الأجداث. وكان من الضروري تنظيف المنطقة تنظيفًا كاملاً من بقايا الترحيلات الأخيرة... عشرات بل مئات بل آلاف من أجسام الرجال والنساء والأطفال المقتولين، وجثث بشرية في أوضاع مختلفة ارتسمت على وجوهها تعبيرات مختلفة تجمدت في لحظة التقاطهم أنفاسهم الأخيرة. ولم ير المرء حوله غير الأرض والسماء والجثث. فيا له من مصنع مرعب لا ينتج غير الجثث. ومن الواضح أنه لا يمكن لأي إنسان غير الألمان التعود على بشاعة مكان كهذا. ولكن لم أعتد على منظر الجثث حتى النهاية.

«وأخذت كميات الجثث في الميدان الكبير تتناقص تدريجيًا حتى جاء يوم صار فيه المكان كله نظيفًا. ماذا سيحدث لنا الآن، فالأفواج الجديدة توقفت عن الوصول. ولكن قلوبنا تقول إن ساعتنا الأخيرة قد حانت... ولكن معجزة حدثت. فقد اختاروا ثمانين شخصًا من مجموعتنا ليقتلوهم بالرصاص في حين تم إلحاق مئات الأخرين بأعمال أخرى».

ومع توقف ترحيل الأفواج يوم ٢٨ أغسطس ١٩٤٢ قام رجال الوحدة الخاصة العاملين في منطقة الإبادة بإزاحة جثث الموتى ودفنها. واقتضت اعتبارات المحافظة على السرية منع اليهود العاملين في منظمة الإبادة من الاتصال بزملائهم السجناء في المعسكر الأول الذين لم تعد هناك ثمة حاجة إليهم لتنظيف منطقة الاستقبال من الجثث. وبينما تجري الاستعدادات لمواصلة ترحيل الأفواج إلى تريبلينكا تم سحب عدد من

السجناء العاملين في منطقة الاستقبال ونقلهم للعمل في منطقة الإبادة. وأيضاً تم دعم هذا الفريق بعشرات السجناء المنتمين إلى أولى الأفواج التي جاءت بعد استئناف عمليات الإبادة.

وحتى يتأكد النازيون من ترحيل الأفواج الجديدة وتنفيذ عمليات الإبادة بدقة شديدة اتخذوا الخطوات اللازمة لإعطاء الأولوية لترحيل هذه الأفواج إلى معسكر تريبلينكا في قطارات تسير وفق جدول زمني محدد، الأمر الذي منع مرور قطارات الركاب العادية على محطة قرية تريبلينكا تحاشيًا لتعطيل وصول قطارات الترحيل. ولهذا أصدر المسئولون عن السكة الحديد الأمر رقم ٢٤٣ بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٤٢ ويتضمن ما يلي: «حتى يتم تسيير القطارات المخصصة لترحيل السجناء دون أعطال فإنه يتعين إغلاق محطة قطارات تريبلينكا أمام قطارات الركاب العادية ابتداء من ١ سبتمبر (١٩٤٢) حتى إشعار آخر».

وبطبيعة الحال أسهم حظر مرور قطارات الركاب على محطة تريبلينكا في الاحتفاظ بسرية تحركات الأفواج المرَّحلة ومصيرها، وهو الأمر الذي حرص عليه النازيون. وأصبح لزامًا على كل فوج مرَّحل الانتظار على محطة تريبلينكا لبضعة ساعات حيث إن رصيف هذه المحطة الصغيرة لم يكن يتسع لأكثر من عشرين عربة في المرة الواحدة. وبحظر مرور قطارات العربات على محطة تريبلينكا تضاءلت فرص العيون المتلصصة في مراقبة أو ملاحظة ما يحدث على رصيف المحطة.

والذي لا شك فيه أن ويرث لعب دورًا بارزًا في إعادة تنظيم معسكر تريبلينكا وإرشاد الموظفين الألمان إلى كيفية إبادة الأفواج وأسلوب التعامل معها. يقول فرانز سوكوميل Franz Suchomel بوحدة البوليس الخاصة في هذا الشأن:

«أذكر أنه عندما عمت الفوضى الشاملة كل أرجاء المعسكر أن ويرث أجرى محادثات مع الموظفين الألمان في الساعة الحادية عشر مساء في غالب الأحيان. وكانت هذه المحادثات تجري في حضور ستانجل. وأصدر ويرث تعليمات مفصلة عن

كيفية إبادة الأفواج وتشغيل بعض القيادات اليهودية في أداء هذه المهمة. كانت هذه التعليمات الصادرة تفصيلية. فعلى سبيل المثال وصفت هذه التعليمات كيفية فتح أبواب عربات البضائع ونزول اليهود من القطار ومرور المرّحلين عبر النفق، إلى الجانب الأعلى من المعسكر. وقد أعطي ويرث شخصيًا أمرًا إلى اليهود بربط فردتيى حذائهم عند خلعه... والجدير بالذكر أن معسكر تريبلينكا نفذ تعليمات ويرث حتى بعد أن ترك العمل فيه».

لم يستغرق إعادة تنظيم معسكر تريبلينكا وقتًا طويلاً لأنه لم يكن بالإمكان تأجيل مواصلة عملية إبادة جيتو وارسو. وهو أكثر الجيتوهات في أوروبا اكتظاظًا على الإطلاق.

واستؤنف ترحيل أفواج السجناء من جيتو وارسو إلى معسكر تريبلينكا في ٣ سبتمبر ١٩٤٢. وقد وصل الفوج الأول منها إلى المعسكر في صبيحة اليوم التالي. ولمنع تراكم الجثث ومتعلقات السجناء الشخصية قرر قواد معسكر تريبلينكا الجدد تغيير النظام المتبع في استقبال الأفواج. وأسندت مهمة استقبال المرّحلين في المنطقة المخصصة لاستقبالهم إلى عدة مئات من اليهود ممن بقوا في المعسكر من الترحيلات الأخيرة السابقة التي وصلت في أواخر شهر أغسطس وبعض المرّحلين الآخرين ممن وصلوا ضمن أولى الأفواج الجديدة.

وانتظرت مجموعة من العمال وصول الأفواج المرّحلة على رصيف المحطة. وتولت هذه المجموعة نقل جثث السجناء الذين فاضت أرواحهم أثناء الرحلة ودفنها في الحفر. وأيضًا قامت هذه المجموعة بإلقاء المرّحلين العاجزين عن المشي والوصول إلى غرف الغاز في هذه الحفر. وأعدت حفرة إضافية في الجانب الجنوبي من المعسكر بالقرب من رصيف القطارات حيث تولى رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيون ضربهم بالرصاص. وانتظر ويرث وستانجل على رصيف محطة تريبلينكا وصول الفوج القادم من وارسو يوم ٤ سبتمبر (١٩٤٢) لمراقبة عملية استقباله عن كثب.

ويروي لنا بوريس Boris (كازيك Kazik) وينبرج Weinberg الذي تم ترحيله من وارسو يوم ٤ سبتمبر (١٩٤٢) والذي وصل إلى تريبلينكا ضمن أول الأفواج الجديدة ما يلي:

وصلنا إلى شيء شبيه بالمحطة. وقام العمال اليهود بفتح أبواب عربات البضائع. ورأينا أمامنا كثيراً من الألمان والأوكرانيين الذين أخذوا يصرخون في وجوهنا وينهالون علينا ضرباً. واضطررنا إلى الجري. وأعطانا العمال اليهود رباطاً نربط به أحذيتنا. واتضح أنهم بحاجة إلى تجنيد نحو أربعمائة لأداء الأعمال. وتم انتقاء هؤلاء الرجال، وكنت واحداً ممن وقع عليهم الاختيار. وقفنا في الفناء وانتظرنا. وعبر البوابة أحضروا مجموعة من العمال من الذين كانوا أصلاً موجودين في المعسكر وأخذوا يضربوننا. كان منظراً يستحيل وصفه. قاموا بضرب السجناء بقضبان حديدية وعصى خشبية غليظة، كما أخذ أحد الكلاب يعضهم. وسقط الذين يشغلون الصفوف الأولى ثم سقط آخرون فوقهم. وزج بهم جميعاً في كوخ. وبعدئذ اقتيدوا في مجموعات يتكون كل منها من عشرين شخصاً لضربهم بالرصاص. ثم وصل ستانجل وأخبرنا أن المضروبين بالرصاص كانوا يعتزمون قتل الألمان وإزالة المعسكر وتدميره. وأضاف: (لدّى أوامر أن أفعل نفس الشيء معكم. ولكني لا أرغب ذلك فأمامكم مجال للعمل لأعوام متتالية. وسوف نعامل برفق كل من يجد ويجتهد في عمله). وكان عملنا اليومي يتلخص في فرز الملابس وتفتيش جيوبها وكل مكان بحثاً عن الذهب والممتلكات ذات القيمة. واصلوا ضربنا حتى تورمت وجوهنا... وفي العادة كانوا كل يومين يتخلصون من الضعفاء والمضروبين. وكان الألماني المسئول يستبعد المضروبين أثناء طابور النداء على الأسماء وينظمنا في صف وينقلنا لوضعنا في حفرة درجنا فيما بعد على تسميتها لازاريت Lazarett. وكانت في البداية مجرد حفرة صغيرة للغاية لا يحيط بها سور وليس لها اسم... رقد بيلاس على الأرض ينزف دماً. وشرع الحراس الأوكرانيون ينهالون بالضرب على جمهور السجناء ويطلقون النار عليهم، فقتلوا وجرحوا العشرات منهم. وجاء نائب القومندان كيرت فرانز - وكنيته الدمية - إلى مكان الحادث. ويرجع تلقيب السجناء له بالدمية إلى أن وجهه بدا شديد البراءة كوجه الدمية.

وقام فرانز بنقل بيالاس الجريح. وأمر بوقف إطـلاق الرصـاص المستمر وبعودة اليهود إلى الطابور مرة أخرى. وأمر شيخ المعسكر جالوسكي Galewski بالوقوف أمام طابور النداء على الأسماء وضربه بسوط كان يحمله وأعلن أنه إذا تكررت هذه الحادثة فسوف يقوم بإعدامه. وتم استدعاء كريستيان ويرث الذي كان لا يزال يعمل في تريبلينكا. وأمر ويرث باختيار عشرة رجال وضربهم بالرصاص. وتولى كيرت فرانز اختيارهم. وتم إطلاق الرصاص عليهم أمام طابور النداء. ثم زج بالآخرين في الثكنات حيث ظلوا فيها طيلة الليل. وفي اليوم التالي أُلغىَ طابور النداء الروتيني المعتاد الذي كان ينعقد في الساعة السادسة صباحًا. وخشى اليهود المحبوسون في الثكنات أن يلحق بهم أسوأ مكروه. وفي الساعة السابعة والنصف صباحًا تم اقتيادهم إلى طابور النداء الذي انتظم تحت حراسة مشددة من جانب رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيين. وأيضا تم اختيار مائة وخمسين رجلاً منهم واقتيادهم إلى الحفر حيث ضربوا بالرصاص عقابًا على قتل ماكس بيالاس.

ونزلت بالسجناء عقوبة أخرى هي الحرمان من الطعام والماء لمدة ثلاثة أيام. وفي الحال تم نقل ماكس بيالاس المصاب بجروح بالغة إلى مستشفى الجيش في أوستروف Ostrow ولكنه مات متأثرًا بجروحه.

كان اليهودي الذي قتل بيالاس يدعي مائير بيرلنر Meir Berliner وهو مواطن من الأرجنتين جاء لزيارة وارسو تصحبه زوجته وابنته عندما اندلعت ألسنة الحرب. وزج النازيون بهم في معسكر تريبلينكا رغم أنهم يحملون الجنسية الأرجنتينية. واقتيدت زوجة القاتل وابنته مباشرة إلى غرف الغاز في حين كلف بيرلنر نفسه بأداء الأعمال. والجدير بالذكر أن بيرلنر أقدم على قتل ماكس بيالاس بمبادرة شخصية دون تحريض من أحد ودون أن يكون له أي شريك. ومعنى هذا أنه خطط لجريمته بمفرده وأخفى المطواة لارتكابها.

وبطبيعة الحال آثار الحادث الفزع والخوف والصدمة في صفوف رجال وحدة البوليس الخاصة في تريبلينكا. وكان أول عمل من أعمال المقاومة ضد سلطات معسكر

تريبلينكا بعد مرور شهر ونصف على تشغيله، تم فيها الإجهاز على ربع مليون يهودي. وتبين للألمان أن اليأس يمكن أن يدفع ضحاياهم إلى ارتكاب أفعال يائسة. وفي الأيام الأولى من ارتكاب الحادث ملأ الشك نفوس الألمان فأمروا كل يهودي يمر بجوارهم برفع يديه لتفتيشه بحثًا عن أية مطاوي أو أسلحة مخبأة. وتكريمًا لذكرى الحارس المقتول قررت قيادة معسكر تريبلينكا إطلاق اسمه على ثكنات الحرس الأوكراني فأسمتها ثكنات ماكس بيالاس.

غير أن هذه الحادثة العابرة لم تعطل مطلقًا سير عملية إبادة السجناء التي استمرت على قدم وساق. ووصلت أفواج السجناء كل يوم واستمرت إبادتهم كالمعتاد، إلى جانب الإجهاز على اليهود العاملين في منطقة استقبال السجناء. وفي الفترة من ٣ سبتمبر حتى ١٢سبتمبر ١٩٤٢ تم القضاء على ٥٢ ألف يهودي جاءوا جميعًا من وارسو. وفي يوم ٢١ سبتمبر ١٩٤٢ وصل إلى تريبلينكا آخر فوج من جيتو وارسو قوامه نحو ألفين ومائتي شخص يشملون عدداً من رجال الشرطة اليهود وعائلاتهم ممن تولوا ترحيل السجناء من جيتو وارسو. وفي الفترة الواقعة بين ٢٣ يولية. و٢١ سبتمبر ١٩٤٢ تم ترحيل ٢٥٤ ألف يهودي من وارسو لإبادتهم في تريبلينكا.

قلنا إن معسكر تريبلينكا تكون من ثلاثة معسكرات. وتشير الوثائق الرسمية إلى هذا المعسكر ب ت (٢) كما ورد في خطابات الترحيل والتقرير الذي سطره جورجن ستروب Jurgen Stroop عن إبادة اليهود القادمين من جيتو وارسو. وينقسم معسكر تريبلينكا (٢) إلى قسمين: قسم يمثل القطاع الإداري والاقتصادي ويضم $\frac{٥}{١٦}$ من مساحة المعسكر برمته. وقسم آخر معروف باسم موقع القتل. وكان لكل قسم منهما فائدة كما كان كلا القائدين يخضعان لسلطة القومندان العام لمعسكر تريبلينكا.

كان ريتشارد ثومالا Richard Thomalla القادم من معسكر صوبيبور في أبريل ١٩٤٢ أول قائد لمعسكر تريبلينكا وهو رئيس هيئة التشييد التابعة لوحدة البوليس الخاصة والمشرف على تشييد تريبلينكا (٢).. بعد انتهاء ثومالا من وضع أساسات معسكر تريبلينكا (٢) غادر قرية تريبلينكا بعد أن سلم المعسكر إلى الدكتور إرمفرايد

إبيرل بوحدة البوليس الخاصة. وكانت المرة الأولى والأخيرة في تاريخ الرايخ الثالث التي شغل فيها طبيب منصب قومندان معسكر اعتقال، وذلك بعد انتهاء عمله في عملية رينهارد للقتل الرحيم التي كان شديد التحمس لها، فضلاً عن تعاونه الوثيق مع ويرث في تطبيق برنامج القتل الرحيم المعروف اختصاراً بـT4. بدأ إبيرل يمارس تجاربه الطبية على كبار السن ممن طبق عليهم برنامج القتل الرحيم. وتولى هذا الرجل إدارة مؤسسة المعاقين ذهنيًا في براندبرج Brandenburg على نهر الهافل Havel والتي استمر نشاطها الإجرامي حتى نهاية عام ١٩٤٠. وقد أجريت في تلك المؤسسة في ديسمبر ١٩٣٩ أول محاولة لتجريب استخدام غاز الكاربون مونوكسيد كوسيلة للقتل والإبادة. وهي الطريقة التي اتُبعت في غرف الغاز في تريبلينكا. ثم جاءت المرحلة الثانية من حياة إبيرل. وهي إدارة معسكر إبادة تجريبي في بلدة تشيلم التي تولى قيادة معسكرها لفترة قصيرة من الزمن. وتم نقله من تشيلم إلى تريبلينكا حيث كان معسكر الإبادة في طور التشييد والبناء.

ولكن الأيام أثبتت أن خبرة الدكتور إبيرل كانت عديمة الجدوى في وظيفته الجديدة فقد انزلق معسكر تريبلينكا في الأسابيع الأولى إلى حالة من الفوضى لعدم وجود أي تنسيق بين اليهود الذين أُسندت إليهم بعض الوظائف القيادية وبين القائمين بأمر التنظيف. ويُلقي التقرير الذي سطره السجين اليهودي أوسكار بيرجر Oskar Berger الذي وصل إلى المعسكر في شهر أغسطس ١٩٤٢ الضوء على حالة الفوضى المتفشية فيه. فهو يقول:

«عندما نزلنا من عربات القطار الذي يقلنا على رصيف المحطة تناثرت في المكان مئات الجثث الآدمية. كما كانت هناك أكوام من الطرود والملابس والحقائب في حالة من الفوضى المزرية في كل مكان. وامتلأت الأجواء بالصرخات اليائسة. وأرغم السجناء الذين لم تصبهم الجروح على عبور البوابة المفتوحة، الأمر الذي اضطرهم إلى تخطي جثث القتلى والجرحى والقفز فوقها كي يصلوا إلى ميدان يحيط به سور من الأسلاك الشائكة.

ويرجع السبب في هذه الفوضي إلى عدم قدرة معسكر تريبلينكا والعاملين فيه على قبول واستيعاب أفواج المرّحلين الهائلة في الفترة الواقعة من يولية إلى سبتمبر ١٩٤٢. وبسبب الإصلاحات التي أجريت على خطوط السكة الحديد من وارسو إلى صوبيبور ازداد عدد القطارات التي وصلت إلى معسكر تريبلينكا وازدادت قدرته على استيعاب أفواجها. ويقدر عدد القتلى في المعسكر في تلك الفترة بثلثمائة ألف سجين يشملون ٢٥٠ ألف سجين قادمين من وارسو.

وعندما تدهورت أوضاع معسكر تريبلينكا في نهاية شهر أغسطس ١٩٤٢ قام جلوبوكينك بزيارته لتفقده. الأمر الذي انتهي بطرد إبيرل من وظيفته واستبداله برئيس جديد هو فرانز بول ستانجل الذي كان فيما سبق يشغل وظيفة قومندان معسكر صوبيبور الذي تمت ترقيته بسبب ما حققه من إنجازات فيه. وأصبح كيرث هيوبرت فرانز نائبًا له عام ١٩٣٩ في تنفيذ برنامج القتل الرحيم. وبعد إعفائه من عمله في هذا البرنامج في بداية عام ١٩٤٢ التحق ضمن مجموعة الخدمة تحت رئاسة جلوبوكينك وأسندت إليه مهمة إدارة مركز الإبادة في الأراضي البولندية. وفي ربيع ١٩٤٢ تم نقله إلى المعسكر الجديد في بلزيك، حيث شغل وظيفة نائب القومندان. ثم حضر في نفس الوقت الذي جاء فيه جلوبوكينك للعمل في أغسطس ١٩٤٢ في معسكر تريبلينكا.

والجدير أن فرانز ستانجل كان ساديًا فقد كان يتلذذ بإطلاق كلبه البوليسي الأثير إلى قلبه لينهش أجساد السجناء وأعضاءهم التناسلية.

قلنا إن معسكر تريبلينكا تكون من ثلاثة معسكرات. وكان المعسكر رقم (١) يحتوي على مستوصف مخصص لإبادة كبار السن والمرضي والمقعدين. وكان ضابط وحدة البوليس الخاصة ويلي منتز Willi mentz يشغل وظيفة رئيس المعسكر رقم (١) في حين كان الضابط بهذه الوحدة أوغسط مييت August Miete يشغل وظيفة نائب الرئيس. وكان ضابط الوحدة الخاصة كارل بيتزنجر Karl Petzinger القادم من مدينة ليبزج Leipzig رئيسًا لمعسكر تريبلينكا رقم (٢) الذي يدعى موقع الموت. واضطلع هذا الرجل بمسئولية إبادة جميع القادمين إلى توتنلاج Totenlage. وأسندت إليه مهمة

الإشراف على تشغيل غرف الغاز وعلى حفر المقابر الجماعية باستخدام الحفارات، كما كان مسئولاً عن الإشراف على العمال اليهود الذين يقومون بنقل وحرق جثث الضحايا. وفيما بعد حل محله أحد العاملين بوحدة البوليس الخاصة هو إميل لودفج Emil Ludwig، كما أصبح جوستاف مونزبرجر Gustav Munzberger وفرتيز شميدت Fritz Schmidt مسئولين عن تشغيل غرف الغاز. وكان جميع أفراد الحرس الأوكراني تحت إمرة ويلي بوست Willi Post الضابط بوحدة البوليس الخاصة.

وبلغ مجموع الألمان العاملين في هذا المعسكر نحو أربعة عشرة فردًا وجميعهم من وحدة البوليس الخاصة المجندين للعمل في برنامج القتل الرحيم الذي يسمي بعملية رينهارد. ولم تكن لديهم خبرة قتالية على الجبهة الأمامية. ولهذا تولوا تسيير الأعمال الإدارية في معسكر تريبلينكا مثل الإشراف على عملية بناء المركز وعلى الأعمال التي يؤديها الأوكرانيون وشاغلو الوظائف الرئيسية من اليهود إلى جانب الإشراف على حسن سير عملية إبادة اليهود.

وكان للألماني العامل في معسكر تريبلينكا وضع مميز حيث إن سلطتهم على العمال الأوكرانيين واليهود كانت بلا حدود. واللافت للنظر أن معسكر تريبلينكا استبعد النساء الألمانيات من الخدمة فيه، ومن مراكز الإبادة الأخرى رغم أن الألمانيات كن يعملن ممرضات في برنامج القتل الرحيم.

عاش رجال وحدة البوليس الخاصة في مساكن أُعدت خصيصًا لهم. وكانوا يلبسون زيًا رماديًا مميزًا. وكان مصرحًا لهم بحمل البنادق الشخصية والسياط المصنوعة من الجلد.. وفي إحدى الثكنات التي تدعى الترسانة احتفظت إدارة المعسكر بعدد قليل من الأسلحة الأوتوماتيكية وصندوق ملئ بالقنابل اليدوية لاستخدامها في حالات الطوارئ. وأيضًا كانت هناك عربة مصفحة قريبة من مقر القومندان. وكانت هذه العربة تستخدم لإرسال ممتلكات السجناء القيمة المنتزعة منهم إلى وارسو أو دعم القدرة الدفاعية عن المركز. وكانت مكافأة العامل الشهرية ٥٨ ماركًا، بالإضافة إلى علاوة يومية قدرها ١٨ ماركًا. أي أن المرتب مضافًا إليه العلاوة اليومية بلغ نحو ستمائة مارك.

فضلاً عن أنه كان من حق كل موظف ألماني بمعسكر تريبلينكا الحصول على إجازة مدتها ثلاثة أسابيع كل ثلاثة شهور.

وسعى العاملون الألمان ما وسعهم السعي إلى التغطية على شعورهم بالضيق بسبب قلة عددهم وذلك بالإفراط في استخدام القوة مع ضحاياهم ومعاملتهم بكل قسوة ووحشية. وللتأكيد على ذلك نقول إن عدد العاملين بمعسكر تريبلينكا المسلحين بأسلحة قليلة وغير كافية لم يزد على ١٢٠ شخصًا بينهم ما بين خمسة عشر وعشرين من رجال الوحدة الخاصة الذين يفتقرون إلى أية خبرة قتالية ميدانية اضطلعوا بمهمة الإشراف على ترحيل الأفواج التي وصل عدد كل فوج منها في بعض الأحيان إلى ٢٥٠٠ يهودي، أي أن عدد السجناء المرحَّلين في الفوج الواحد كان يزيد عشرين مرة على عدد حراسهم.

كانت الغالبية العظمى من الألمان العاملين في معسكر تريبلينكا من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والعشرين والثلاثين. وكان معظمهم متزوجين ولهم أطفال صغار. واعتبر الألمان أنفسهم من طينة غير طينة بقية البشر وضع الفوهرر على كاهلهم مسئولية خطيرة وجسيمة. وكثيراً ما تناقش الألمان العاملون بوحدة البوليس الخاص مع شيخ المعسكر المهندس جالفسكي حول سيادة العرق الجرماني وتفوق هذا العرق على سائر الشعوب والأعراق، كما تناقشوا حول تميز الثقافة الألمانية على غيرها من الثقافات. وأجبر الألمان عدداً من السجناء على تكوين فرق للإنشاد الكورالي والعزف الأوركسترالي والرقص والمصارعة وكرة القدم. وتقديراً لهم على الجهود المتفانية التي يبذلونها قام رؤسائهم بإعطائهم إجازات يقضونها في ألمانيا. وكذلك سعى هؤلاء الرؤساء إلى تحسين ظروفهم المعيشية وتوفير أسباب الراحة لهم والسماح لهم بزرع الورود والأزهار في حدائقهم.

وفيما يلي قائمة بأسماء الألمان العاملين في معسكر تريبلينكا رقم (٢) للإبادة.

رؤساء معسكر تريبلينكا رقم (٢)

هم الطبيب الدكتور إمبفرايد إبيرل - ضابط الوحدة الخاصة فرانز ستجانجل ونائبه كيرث فرانز.

موظفو المعسكر الألمان

مـاكس بيـالا - بول بريدوف Paul Bredow - هربرت فلوس Herbert Floss - أوغسط هنجست August Hingst - جوزيف هيرتريتر Josef Hirtreiter - أوتو ريتشارد هورن Otto Richard Horn - كيرت كوتنر Kurt Kuttner - إميل لوفيج - آرثر ماتيس Arthur Matthes - ويلي منيتز Willy Mentz - ميلر Miller - أوغسط مييت August Miette - جوستاف مونزبرجر Gustav Munzberger - كارل بيتزينجر Karl Petzinger - ويلي بوست - روتنر Rotner - ألبرت روم Albert Rum - أوتو سادي Otto Sadie - فريتز شميدت - سيدوف Sidow - كيرت سيدلر Kurt Seidler - فرانز سوكومبل.

الحرس الأوكراني

تراوح عدد الحرس الأوكراني في معسكر تريبلينكا التابعين لوحدة البوليس الخاصة بين تسعين ومائة وعشرين شخصاً تحت قيادة إيفان روجوز Ivan Rogoz الذي عينه ويلي برست في هذا المنصب. وكانت غالبية هؤلاء الأوكرانيين جنوداً سابقين في الجيش الأحمر وقعوا أسرى في أيدي القوات النازية التي اكتسحت الأراضي الروسية. ووافق هؤلاء الأوكرانيون على التعاون مع رجال الوحدة الخاصة طمعاً في الحصول على تدريب خاص في معسكر ترافينيكي Trawniki الذي كان معسكراً ومركز تدريب في آن واحد. وتلخص عملهم في تريبلينكا في ترسيخ الأمن على المستويين الداخلي والخارجي. وتم تقسيمهم إلى فريقين تحت قيادة الأوكرانيين المنحدرين من أصل ألماني.

وتضـمن عمل مـعظم الحرس الأوكـراني الإشـراف على إبادة أفـواج السـجناء المرَّحلين بكفاءة واقتدار إلى جانب حراسة المعسكر. وكانت الدوريات الأوكرانية لا تكف عن الحركة الدائبة داخل المعسكر وخارجه بحثـاً عن من يسول لهم طيشهم ونزقهم الاقتراب من المعسكر أو الذين انتـهكوا التـعليمـات. وأيضًـا اعتلى بعض الحـراس الأوكرانيين أبراج المراقبة وهم مدججون بالمدافع الرشاشة واستخدموا الأنوار الكاشفة لمطاردة المختبئين في الغابة لمعرفة أسرار المعسكر.

والجـدير بالذكـر أن جمـيع الحـراس الأوكـرانيين لم يكونوا على نفس الدرجـة من البشاعة. يقول شـهود العيان إن بعضـهم قـام بأداء أفظع الأعمـال مثل عاملي تشغيل غـرفـة الغـاز وهمـا نيكولاج مـارشنكو Nikolej Marchenko وإيفـان ديما نيـوك Ivan Demianiuk الشهير بإيفان المرعب. الذي عامل ضـحاياه بقسوة ووحشية بالغتين. كان الرجل الأول قصيراً شاحب الوجه في حين كان الثاني طويلاً وعريض المنكبين. ورغم أن عين نيكولاي تميزتا بالرقة واللطف فإنه كان يحلو له تعذيب ضـحاياه ودخول غرفة الغاز واضعاً غليونه الغليظ في فمه. أما إيفان فكان يدفع الضـحايا المترددين إلى داخل هذه الغرفة بسيف الخيالة، كما أنه لم يتورع أن يقطع بسيفه أيدي ضـحاياه وطعن أجسـادهم العـارية. وأيضًـا لم يتـورع عن انتزاع الأطفـال والرضع من أيدي أمهـاتهم وشجهم بسيفه إلى نصفين.

لم يكن الحـرس أثنـاء سـاعـات العـمل يحـملون سـوى بنـدقيـة ألمـانيـة قديمـة وسـياط جلدية. وفـي بعض المناسـبـات الاسـتثنـائية كـان الألمـان يسـمحـون لهم بحـمل البنـادق الفنلندية والقنابل اليـدوية المخـزونة في ترسـانـة المعـسكر. وكـانوا يلبـسـون زيًا أخضـر غامق اللون وكابات سوداء، ثم تـغير زيهم ابتداء من أغسطس ١٩٤٣ فـأصبح أسـود اللـون.

وكثيراً ما حـاول الأوكرانيون سرقة الأشيـاء الثـمينة التـي انتزعـها النازيون من السجناء كي يشتروا بها الخمور من القرويين المحليين أو يدفعوا منها أجر المومسات اللائي يضـاجعونهن. وكـان محظوراً عليـهم الاتصـال باليـهود أو التـحدث مـعـهم بدون

موافقة وحضور أحد الألمان العاملين بالمعسكر. وكان يحق لقومندان المعسكر معاقبة الحراس العاصين بالجلد أو بالموت أحيانًا.

ونورد فيما يلي بعض الشهادات التي أدلى بها حراس أوكرانيون ألقي القبض عليهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ومثلوا أمام محكمة بولندية.

قال بيوتر ديمترنكو Piotr Dmitrenko يوم ٤ مايو ١٩٥٢ أمام الضابط الذي تولي التحقيق معه:

«أعلن الضابط (إيفان روجوزا Ivan Rogoza) أن واجبنا يتلخص في حراسة اليهود لمنعهم من الهرب من معسكر تريبلينكا... وعملت ثلاث ورديات في الأربعة وعشرين ساعة. وأيضًا عملت كل واحدة ثمان ساعات يوميًا... وعندما وصلت الأفواج المرّحلة شكّل الألمان لجنة مختارة من اليهود تولت تأمين المر المؤدي إلى غرفة الغاز ثم تركونا في نهايته. ووقفت في المكان الذي أُمرت بالوقوف فيه. وقفت في المر ووقف الألمان خلفنا مدججين بالسلاح ومزودين بالقنابل اليدوية».

وأيضًا ذكر الحارس الأوكراني نيكولاي أوسشانسكي Nikolai Osychanski أمام الضابط الذي يحقق معه أن أحد الحراس أو اثنين منهما كانا يعملان طباخين. وكان أحدهم يعمل سائقًا في مقر الإدارة الألمانية للمعسكر. وكذلك عمل اثنان آخران في تشغيل موتور الديزل الذي يضخ الغاز في غرفة الغاز حيث استحم اليهود. أما الحراس الأوكرانيون الباقون البالغ عددهم مائتي شخص فتم تقسيمهم إلى أربع مفرزات. وكنت أعمل في المفرزة الثانية. وعملت مفرزتنا في مواقع المراقبة وداخل المعسكر. وكانت هناك ثكنة بالقرب من السور يخلع فيها اليهود ملابسهم قبل إبادتهم. وكان هناك ممر يربط الثكنة بغرفة الغاز يمتد نحو خمسة أمتار طولاً ويبلغ عرضه أربعة أمتار ويحيط به سور من الأسلاك الشائكة يبلغ ارتفاعه مترين ونصف وتكسوه أغصان شجرة الشوح المتشابكة. وكان الحراس المدججون بالسلاح والتابعون للمفرزات الآنفة الذكر يقفون خارج المر وحوله (بينما اليهود يموتون اختناقًا بالغازات السامة) للحيلولة دون هرب أي منهم من الإبادة واجتياز السور للخروج من المعسكر.

وقام القومندان بتبليغ الحرس بأنهم سوف يلقون حتفهم إذا عنّ لأي منهم إفشاء أسرار معسكر تريبلينكا.

ويختم الحارس الأوكراني تيودوزي ميلنيك Teodozy Melnik شهادته بقوله: «عندما وصلت إلى المعسكر استلمت بندقية مثل الآخرين وعشر قطع من الذخيرة. وكنت ألبس زيًا رماديًا غامق اللون قام الألمان بتصميمه... وفي المعسكر كانوا يبيدون اليهود بالغازات السامة إبادة جماعية في غرف الغاز. والتحقت بالغرفة الثالثة حيث قمت بواجبي وتوليت حراسة المعسكر من برج الحراسة ومن سطح الأرض... ولكن فانكا Wanka عمل في غرف الغاز. ولم يسمح لنا الألمان بدخول المكان الذي احتفظوا فيه بالنقود».

وقد تمكن الباحثون من إعداد قائمة بأسماء بعض الحرس الأوكراني العامل في معسكر تريبلينكا وهي تضم الأسماء التالية:

أندريجو Ardriejew - إيفان ديميانيوك Evan Demianiuk - بيوتر ديمترنيكو Piotre Demitrenke - فيودور فيدوفنكو Fedor Fedovenko - بيوتر نازا روفيتش Pytor Nazarovich Yoncharow - الكسندر ايڤانوفتش Aleksander Ivanovich Kostenko - بافيل فلا ديميروفتش Pavel Vladimirovich - نيكولاي بيتروفيش مالاجون Nikolay Petrovich Malagon - نيكولاي مارشنكو Nikolai Marchenko - تيودوزي ميلنيك Teodogy Melnik - ميكودا Mikoda - بيوتر نازاره فيتش Pyotre Nazarovich - نيكولاي أوشسانسكي Nikolay Osychanski - نيكولاي بتروفيتش Nikolay Petrowich - بيتريكوف Pietrykow - بيلمان Pilman - ريبكا Rebeka - فاسيل رودنكو Wasyl Rudenko - إيفان سيمونوفيتش Ivan Semenowich - نيكولاي شالاجو Nikolay Shalajew - شفتشنكو Shevchenko - أنتون ايڤانوفتش ستريستوف Anton Ivanovich Strel'tsov - سيرجي ستيبانوفتش فاسيلنكو Sergey Steponovich Vasilenko - فورونكوف Voronkow - الكسندر افيتوش ييجر Aleksandr Ivanovich Yager.

العمالة اليهودية

اعتاد الضباط الألمان اختيار عدة سجناء من كل فوج للعمل في المعسكر لتلبية احتياجاته. وفي العادة كانت العناصر المختارة للخدمة في المعسكرات من الذكور الشباب الأشداء بالإضافة إلى عدد من أصحاب المهن والحرف مثل النجارين والمهندسين والجواهرجية والطباخين والترزية وصانعي الأحذية والحلاقين والأطباء. وأحيانا نشأت الحاجة إلى تشغيل العمالة غير الماهرة.

وساعدت النساء البولنديات والأوكرانيات في أعمال الطهي وغسيل الأطباق. وقد بلغ عددهن نحو خمسين عاملة. وأحيانًا كان اختيار النازيين يقع على يهوديات أية في الفتنة والجمال وإجبارهن على ممارسة العهر والدعارة في حفلات عربدة تقام في المعسكر قبل إبادتهن. ولكن بقين أيام أو أسابيع قلائل في المعسكر قبل الزج بهن في غرف الغاز. وفي العادة كان الحرس الأوكراني يتولى القيام بهذه المهمة الكريهة حيث إن إدارة المعسكر حظرت على الألمان الاقتراب من اليهوديات أو معاشرتهن. ولكن هذا لم يمنع بعض الألمان من ممارسة الرذيلة معهن.

وإلى جانب أصحاب الحرف تولى الألمان بأنفسهم اختيار مجموعة من الرجال الأشداء في كل فوج للقيام بالأعمال اليدوية داخل المعسكر. وكانوا ينقسمون إلى فرق أو مجموعات تضم كل منها عددًا معينًا من العمال المهرة. وكان لكل فرقة يهودية وظيفتها، كما كانت تضع رمزًا على الأكمام وعلى ركب البنطلونات بحيث يختلف لون كل مجموعة عن ألوان المجموعات الأخرى.

وكان رئيس كل فرقة يخضع لسلطة ضابط ألماني يضطلع بإدارة جزء معين من المعسكر. وكان الألمان يتولون الإشراف المباشر على هؤلاء العمال. وفي بعض الأحيان كان الألمان يعهدون إلى الحرس الأوكراني بالقيام بهذه المهمة. وفي معظم الأحيان كان الألمان يعينون كابو من السجناء لمراقبة زملاءهم. وكان هؤلاء الكابوهات لا يقلون في قسوتهم من الألمان والأوكرانيين ويعاملون زملاءهم السجناء بوحشية ابتغاء لرضاء

الإدارة النازية عليهم. ولكن كانت هناك بعض الاستثناءات لهذه القاعدة إذ إن بعض هؤلاء الكابوهات قدموا يد العون إلى السجناء وساعدوهم على الهرب.

وكان شيخ المعسكر الذي يختاره الألمان مسئولاً عن جميع سجناء المعسكر وهو الذي يحضر طوابير النداء في الصباح والمساء ويقدم تقريراً يوميًا عن المعسكر وأحواله إلى قومندان المعسكر أو نائبه.

وتضم القائمة التالية أسماء شيوخ معسكر تريبلينكا وفقًا لترتيبهم الزمني:

المهندس جاليفسكي – راكوفسكي Rakowski – علمًا بأن الألمان اختاروا جاليفسكي شيخًا للمعسكر للمرة الثانية بعد وفاة الأخير (راكوفسكي).

ونورد أيضًا فيما يلي أسماء الكابوهات الذين استطاع الباحثون التيقن من هويتهم:

زيف كيرلاند Zev Kurland – كوبا Kuba – زيلو بولخ Zelo Block – بوزنر Posner – مونيك Monek – بلو Blau – جوريك Jurek – كلايندوم Klaindaum – مائير Meir – راكوفسكي Rakowski.

وفي معسكر الموت في تريبلينكا بلغ إجمالي عدد العمال اليهود ألفا ومائتي عامل ارتفع عددهم أو انخفض وفقًا لاحتياجات المعسكر.

وفيما يلي تفاصيل عن عمالة اليهود في معسكرات تريبلينكا الفرعية والأعمال التي أسندت إليهم:

العمالة التي تلبس الشارة الخضراء

اضطلعت بمهمة إخلاء الأرضية توطئة لاستقبال المرَّحلين. وبذلك كانت هذه العمالة أول من وقعت عليهم أنظار كل فوج جديد. واقتضى عملهم حمل جميع كل الملابس إلى ميدان قريب والتأكد من خلو عربات القطار والميدان من أية معوقات، أي أن عملهم اقتضى منهم إلقاء جثث الضحايا في الحفر.

العمالة التى تلبس الشارة الحمراء

ومهمتها مساعدة السجناء على خلع ملابسهم عند مدخل غرف الغاز وتهدئة روعهم. وكانت هذه المهمة شاقة وعسيرة لأن السجناء اليهود لم يكفوا عن اللجاجة والاستفسار عن مصائرهم. وفي كثير من الأحيان كان بعض العمال اللابسين للشارة الحمراء يتعرفون على أقرباء أو جيران أو أصدقاء لهم، وهم يتأهبون لدخول غرف الغاز. وبطبيعة الحال أمسك لسانه عن البوح بأية معلومات عما يجري داخل هذه الغرف حتى لا تقوم إدارة المعسكر بالقضاء عليه.

ويتلخص عمل مسئول الملابس في فرز متعلقات القتلى الشخصية. وهو عمل شاق ومضني بسبب ضخامة كميات الملابس التي تعيَّن فرزها. ويذكر الشاهد أنهم رأوا الميدان الفسيح مليئاً بأكوام الأحذية والملابس المبعثرة والحقائب، وقد وصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار. وأحاطت بهذه الأكوام آلاف الحقائب المفتوحة والمكسورة أقفالها التي تحمل أسماء أصحابها. وكانت متعلقات السجناء الشخصية وأحذيتهم وملاءاتهم تفرز وتوضع في مكان منفصل فوق أغطية زاهية اللون تغطي أرض الميدان وتعيَّن على عامل الفرز توخي الدقة. وكان الكابوهات يبحثون عن الجواهر والنقود والأوراق المالية في كل قطعة من ملابس السجناء. وكان يتم تفتيش الملابس بكل دقة وعناية بحيث تسجل أنواعها وأصنافها. أما الملابس القديمة والمستهلكة فكانت توضع في ملاءات أسرة على هيئة صرات ضخمة يتم نقلها إلى مخازن مفتوحة. وكانت هناك بين أوراق السجناء وثائق وشهادات ميلاد وجوازات سفر ونقود وصور عائلية وخطابات من الأحياء وشهادات دراسية ودبلومات تخرج من الجامعة وشهادات الحرفيين ودبلومات تخرج الأطباء. وقد ألقيت هذه الأوراق في صندوق القمامة. ويمثل عدد العمال المسئولين عن فرز الملابس والبالغ عددهم سبعمائة شخص وتعتبر أضخم مجموعة بعد مجموعة حفاري القبور.

العمالة التى تلبس الشارة الصفراء

كانت هذه العمالة تشمل الحرفيين والمهنيين (مثل النجارين والترزية وصانعي الأحذية والمهندسين والأطباء والحلاقين إلخ). وهم يمثلون العمالة التي أدارت الورش لصالح إدارة المعسكر الألمانية. والجدير بالذكر أن واحدًا من لابسي الشارات الصفراء كان نجارًا شهيرًا شيد معظم الثكنات اسمه جانكييل فيرنيك Jankiel Wiernik. وإلى هذا النجار يرجع الفضل في نشر أحد أوائل التقارير حول معسكر تريبلينكا. وأيضًا ضمت هذه المجموعة الأخوة سترفزنسكي Strawezynsky الذين برعوا في صناعة الصفيح. والجدير بالذكر أن هؤلاء الحرفيين عوملوا بالاحترام بوجه عام. فضلاً عن أن مستواهم المعيشي كان أفضل من مستوى زملائهم من السجناء الأخرين. علمًا بأن العازفين في أوركسترا المعسكر كانوا ينتمون إلى هذه المجموعة.

فرقة الخداع والتمويه

وهي فريق صغير يتكون من خمسة عشرة شخصًا كلفوا يوميًا باستبدال أفرع الشجر القديمة بأفرع شجرة جديدة لتغطية سور الأسلاك الشائكة داخل المعسكر لإخفائه عن عيون الناظرين. وأيضًا كُلف هذا الفريق بتغيير الأعمدة التي ركبت عليها الأسلاك الشائكة. وكان سيدوف Sidow العامل بوحدة البوليس الخاصة رئيس هذا الفريق الذي سمحت له إدارة المعسكر بالخروج منه في أحيان كثيرة. وحتى يتمكن هذا الرجل من منع السجناء من الهرب استعان بستة حراس أوكرانيين مدججين بالسلاح.

فرقة اليهود الذهبية

تلخصت مهمة هذا الفريق في فرز الأموال وإذابة الأسنان المصنوعة من الذهب التي انتزعها النازيون من أفواه الضحايا وتحويلها إلى سبائك. ولم يكن عمل هذه الفرقة شاقًا حيث إنهم عملوا في ثكنات دافئة. وكان المشرف على هذا الفريق رجلاً

من وحدة البوليس الخاصة يدعي فرانز سوكوميل Franz Suchomel. وهو ألماني من منطقة سودتين Sudeten يتحدث اللغة التشيكية. وقد أختار هذا الرجل معظم معاونيه من اليهود والتشيكيين القادمين من تيريزين Terezin إلى معسكر تريبلينكا. وتلخصت مهمة هذا الفريق في انتزاع ممتلكات السجناء الثمينة عقب وصولهم إلى ميدان التفتيش. والجدير بالذكر أن هذا الفريق كان يحق له التجوال في ميدان فرز متعلقات السجناء الشخصية ومصادرة الأشياء الثمينة منها. ولم يكن يحق للسجناء الاقتراب من الثكنات التي كان فريق اليهود الذهبي يعملون فيها. وكان أفراد هذا الفريق يلبسون ثيابًا أفضل من الثياب التي يلبسها السجناء الآخرون.

وأيضًا كانت هناك فرق عمل أخرى: إحداها لبناء الطرق وأخرى لقطع الأشجار وثالثة لصناعة الطوب ورابعة لجمع الزجاجات ونقلها بالقطارات إلى جهات غير معلومة وخاصة لبناء الثكنات الجديدة وتحديث المعسكر وسادسة لصيانة السور وتغيير الأسلاك الشائكة القديمة بأسلاك شائكة جديدة. وأيضًا كانت هناك مجموعات خاصة تتكون كل منها من شخصين لضبط الوقت الذي يتعين على السجين عدم تجاوزه عند دخول المراحيض. ونظرًا إلى كثرة الشكاوي التي جأر بها السجناء من قلة دورات المياه فقد قام جاليفسكي ببناء دورتي مياه إضافيتين. ولاحظ هذا الرجل أن السجناء يستغرقون وقتًا أطول مما ينبغي عند استخدام المراحيض. ولهذا خطرت له فكرة تكوين جماعات خاصة للإشراف عليها. وتم اختيار سجينين لهذا الغرض زُودا بالسياط والساعات المنبهة التي قاما بتعليقها حول رقبتهما. ورغم أن إدارة المعسكر حددت بدقة الوقت المسموح للسجين به لاستخدام المراحيض فقد كان المشرف عليها يتعمد السماح للسجناء بوقت أطول من الوقت المقرر. ولهذا أصبحت المراحيض المكان الذي يلتقي السجناء فيه.

ويجدر بالذكر أن جميع الفرق المشار إليها كانت تعمل في معسكر تريبلينكا رقم (١) في حين لم يسمح بالعمل في غرف الغاز لأكثر من فريقين: فريق حفاري القبور الذي

اضطلع بمهمة نقل الجثث من غرف الغاز ثم دفنها (وفيما بعد القيام بحرقها)، وفريق طب الأسنان المكلف بانتزاع الذهب من أفواه الموتى والبحث عن الأشياء القيمة المخبأة. وكان العمل المسند إلى فريق حفاري القبور المكون من عدة مئات من العمال شاقًا للغاية حيث تعيّن عليهم نقل الجثث وإلقائها في حفر مفتوحة.

وكانت عقوبة الموت توقع على العمال السجناء المخالفين للتعليمات. وأيضًا كان أطباء المعسكر يشكلون مجموعة أخرى من حاملي الشارات الصفراء. وهي فئة محظوظة تتمتع ببعض الامتيازات مثل شغلها حجرات مستقلة. ولا يعرف الباحثون غير أسماء عدد محدود من هؤلاء الأطباء مثل: الدكتور ريباك Rybak والدكتور راجزليك Rajzlik وفي مقدمتهم الدكتور كورازيكي Choirazychi الذي لعب دورًا بارزًا في حركة المقاومة السرية في معسكر تريبلينكا. ورغم إمكاناتهم الضعيفة فقد حاول معظم الأطباء جاهدين مساعدة السجناء المرضى على الإبلال من أمراضهم في المستوصف. وفي بعض الأحيان كان الأطباء يترفقون بالمرضى الميئوس من شفائهم بإعطائهم بعض الحقن المميتة. فضلاً عن أنهم زودوا السجناء المتآمرين ضد إدارة المعسكر بأمبولات السيانيد السامة ليقتلوا أنفسهم في حالة اكتشاف الألمان أمرهم والقبض عليهم.

كان طابور الصباح ينعقد في ميدان النداء على الأسماء في الساعة الخامسة وطابور المساء في الساعة السابعة حيث يتم إحصاء عدد المنخرطين فيهما، وحيث تسلم أوامر العقوبات المفروضة على السجناء ومن بينها عقوبة الإعدام. والغريب أنه تعيّن على العاملين بالمعسكر إحضار جثث السجناء المقتولين كل يوم إلى طابور النداء على الأسماء للتأكد من صحة عدد المنخرطين في الطابور. وبعد انتهاء فترة الطابور تعيّن على السجناء أن يرفعوا عقائرهم بالغناء والترنيم. وقد وضع موسيقار يهودي تشيكي يدعى والتر هيرز Walter Hirz ألحان الترنيمة التي كان السجناء ينشدونها باللغة الألمانية.

وكان كل سجين يلبس كابًا على رأسه في كل الفصول. وتعّين عليه خلعه عند مرور أحد رجال الوحدة الخاصة به. وأيضًا تعّين وقوفه بالكاب عند استدعائه للوقوف في طابور النداء. وكما أسلفنا إذا مر واحد من رجال الوحدة الخاصة على سجين وجب عليه الوقوف في حالة انتباه كما وجب عليه خلع الكاب الذي يلبسه احترامًا له. وأصدر الألمان إلى السجناء أمرًا بضرورة خلع الكاب وارتطامه بأفخاذهم بحيث يحدث صوتًا مسموعًا. ولم يستثنى من خلع الكاب وضرب الفخذ به سوى شيخ المعسكر جالفسكي الذي كان يحق له خفض الكاب إلى مستوى صدره باستخدام يده اليسرى. وسمحت إدارة معسكر تريبلينكا للسجناء بلبس الملابس التي يتركها زملاؤهم الموتى وراءهم. غير أنه كان لزامًا على جميع السجناء لبس شارة المعسكر الصفراء. وكذلك سمحت إدارة المعسكر للأطباء ارتداء البالطو الأبيض المميز. والغريب أيضًا أن معسكر تريبلينكا لم يفرض على السجناء حلق شعرهم على الزيرو كما كان الحال في كثير من معسكرات الاعتقال.

وقبل مارس ١٩٤٣م كانت عمالة معسكر تريبلينكا القديمة تستبدل بعمالة جديدة. وبسبب كثرة الأفواج القادمة لم تجد إدارة معسكر تريبلينكا أي عناء في العثور على العمالة الماهرة وغير الماهرة بين السجناء المرّحلين. ولكن هذا الوضع تغير بعد شهر مارس ١٩٤٣ مع التناقص الملحوظ في أعداد الأفواج القادمة إلى تريبلينكا، الأمر الذي أدى إلى تراجع أعداد الضحايا المقتولين. وبتناقص عدد القتلى وزيادة أعداد السجناء الباقين على قيد الحياة وتكرار اتصالهم ببعضهم البعض بدأ التنظيم السري لمقاومة النازية يظهر داخل المعسكر.

المقاومة السرية في معسكر تريبلينكا

في الشهور الأولى من عام ١٩٤٣ بدأت الأفواج القادمة إلى معسكر تريبلينكا تقل بشكل ملحوظ. ففي شهر يناير من العام المذكور وصلت إلى تريبلينكا قلة من هذه الأفواج قادمة من كل من بيالستوك ووارسو. ولكن هذه الأفواج كادت أن تتوقف تماماً بحلول شهري فبراير ومارس من هذا العام وذلك بعد أن قام النظام النازي بالقضاء الذي يكاد أن يكون مبرماً على اليهود الذين يقطنون بولندا وإقليم بيالستوك Bialystok. ولم يبق منهم على قيد الحياة غير قلة ضئيلة منهم ممن يعيشون في الجيتوهات وعدد محدود في معسكرات العمل. وأيضًا اختفت عن الأنظار أكوام متعلقات السجناء الشخصية المتراكمة في ميدان الفرز بعد أن كانت ظاهرة مألوفة وعادية. ولا غرو فقد تم إرسال هذه الأكوام إلى ألمانيا وغيرها من البلاد الواقعة تحت الاحتلال النازي. ونجم من قلة وصول أفواج السجناء إلى تريبلينكا تخفيف أعباء العمل عن كاهل السجناء وخاصة سجناء المعسكر الأدنى المكلفين بفرز هذه المتعلقات. وتوجس السجناء الباقون على قيد الحياة شراً لأنهم أدركوا أن حياتهم باتت مهددة بالإبادة وأن المعسكر بأكمله مهدد بالزوال حيث إنهم أصبحوا الآن عاطلين عن العمل.

وانتشر وباء التيفوس في المعسكر فمات كثير من السجناء، الأمر الذي بث روح اليأس والقنوط في نفوس السجناء. وعندما ترامت أخبار هزائم القوات النازية في ستالنجراد وغيرها من جبهات القتال إلى مسامع بعض السجناء الذين مكنتهم طبيعة عملهم في المعسكر من قراءة الصحف ازدادت خشيتهم من إبادة النازيين لهم لأنهم شهود عيان على جرائمهم ضد الإنسانية. وكان هذا الشعور بالقتامة أشد وضوحاً في معسكر تريبلينكا الأدنى لأن سجناءه بوجه خاص أصبحوا عاطلين عن العمل. والغريب

أن السجناء في منطقة الإبادة شعروا بقدر أكبر من الأمان على حياتهم لأن أعداداً كبيرة منهم – عقب زيارة هملر للمعسكر – كانت تعمل في حفر القبور الجماعية وحرق الجثث وهي أعمال لا يستطيع النازيون الاستغناء عنها.

وبسبب شعور السجناء بالأخطار المحدقة بحياتهم بدأوا يناقشون السبل لنجاتهم من الإبادة وضرورة لفت نظر العالم إلى الجرائم المروعة التي يقترفها النازيون في معسكر تريبلينكا. وجلسوا في ثكناتهم في أيام الشتاء الطويلة يسهبون في تحليل محنتهم وسبل الخلاص منها عن طريقة الهرب أو المقاومة. ولكن كان من الواضح أن محاولات الهرب الفردية سوف تبوء بالفشل وتؤدي إلى تشديد الخناق على السجناء وتوقيع أفظع العقوبات عليهم.

وانتهى السجناء اليهود إلى رأي مفاده أنه لا سبيل إلى خلاصهم من محنتهم سوى الانخراط في تنظيم كبير يهدف إلى الإجهاز على الحراس ورجال الأمن حتى يتمكن عدد كبير من السجناء من الهرب دفعة واحدة. وشجعهم على التمرد ضخامة عددهم الذي بلغ ألف سجين مقابل مائة وخمسين حارسا ألمانيا وأوكرانيا. وشجع السجناء على التمرد اختلاط الحراس وامتزاجهم بهم لفترات طويلة. وقد كتب أوسكار سترافزنسكي Oscar Strawczinski يقول في هذا الشأن:

«في الشهور الأولى من فصل الشتاء عندما كنا جماعة صغيرة في ورشة النجارة طرأت على بال موردخاي Mordechai فكرة المقاومة والهرب. واعتاد الألمان الحضور كل مساء تقريبًا إلى ورشة الترزية لسماع الموسيقى التي تعزفها فرقة أوركسترا السجناء. وتبلورت فكرة قيام فريق من المقاومين بنصب كمين للألمان وقتلهم دون جلبة والاستيلاء على أسلحتهم. ثم يرتدي واحد منهم زيًا ألمانيا ويستدعي الحراس الأوكرانيين القريبين من ثكنات اليهود واحداً تلو الآخر. وبينما يهم هؤلاء الحراس بدخول الكمين يتم قتلهم بهدوء. وبعد إجهازها على الحراس تتولى المقاومة استدعاء السجناء للخروج من أكواخهم والهروب من المعسكر... وبدت هذه الخطوة في مجموعها خيالية أكثر من اللازم ولهذا حظيت بقبول عدد ضئيل من المؤيدين. ولكن في غضون وقت قصير كانت فكرة الثورة قد ترسخت وضربت بجذورها في عقول السجناء».

ونتيجة تبادل الأحاديث والأفكار بين السجناء قررت مجموعة صغيرة منهم في أواخر فبراير واوئل مارس (١٩٤٣) إنشاء المقاومة السرية والحصول على السلاح والإعداد المنظم لإشعال نار الثورة وتمكين السجناء من الهروب.

وكان لهذه المقاومة السرية لجنة منظمة ضمت الأسماء التالية:

الدكتور جوليان (إيليا) كوارازيكي Julian (Ilya) Chorzychi من وارسو البالغ من العمر سبعة وخمسين عامًا وهو ضابط سابق في الجيش البولندي اضطلع بمعالجة رجال الوحدة الخاصة في مستشفاهم، وزيف كورلاند Ze'ev Korland البالغ من العمر خمسين عاماً والكابو المشرف على منطقة ضرب السجناء بالنار المعروفة باسم لازاريت وزيالو بلوخ Zialo Bloeh التشيكوسلوفاكي القادم إلى معسكر تريبلينكا من معسكر ثيرسينستادت والذي التحق فيما مضى بصفوف الجيش التشيكي وترأس في فترة وجوده في تريبلينكا فريق الرياضة الذي تلقى تدريبه في الميدان الرياضي وسادوفتس Sadovits القادم من وارسو والعامل في مجال فلاحة البساتين. وبعد إنشاء المقاومة السرية في معسكر تريبلينكا انضم إلى صفوفها: أدولف فريدمان Adolf Freidman الذي جاء من لودز. وكذلك سالزبرج Salzberg القادم من كيلك Kielce. والجدير بالذكر أن كثيراً من السجناء اليهود الآخرين الذين لم تعرف هويتهم على وجه التحديد انضموا إلى اللجنة المنظمة للمقاومة السرية. ويجدر بالذكر أن هذه اللجنة تشكلت في معظمها من صفوة المفكرين والمثقفين. وقد لعب الدكتور كورازيكي Chorazychi دوراً محورياً في نشاط هذه اللجنة. فضلاً عن أن الملازم زيالو بلوخ الذي تميز بالقدرة على الزعامة تولى إدارة الجوانب العسكرية لهذا التنظيم.

ولكن بمجرد أن بدأت حركة المقاومة السرية نشاطها في النصف الثاني من شهر مارس ١٩٤٣ حتى فقدت مقاومين بارزين في الحركة هما: زيالو بلوخ وأدولف فريدمان اللذين تم نقلها للعمل في منطقة الإبادة حيث نشأت الحاجة الماسة إلى المزيد من العمالة لتشغيل المحارق وحرق الجثث.

وفي البداية كانت المقاومة السرية تضم أعضاء اللجنة التنظيمية وعدداً من أخلص أصدقائهم تراوح عددهم بين عشرة إلى خمسة عشر شخصاً. ولضمان السرية لم تهتم المقاومة بالتوسع في رقعة عضويتها، حيث كان شاغلها الشاغل الحصول على الأسلحة. ولهذا اتجه تفكيرها إلى شراء السلاح من خارج معسكر تريبلينكا. وتولى الدكتور كوارازيكي تنسيق عمليات شراء السلاح ولم يشكل المال أي عائق أو مشكلة أمام المقاومة نظراً للعثور عليه بوفرة عند فرز متعلقات السجناء الشخصية. وانتهج أعضاء المقاومة في معسكر تريبلينكا سياسة مزدوجة في التعامل مع غنائم الضحايا من مال وذهب ومجوهرات وأشياء ثمينة فهم يحتفظون بجانب منه لتلبية احتياجات المقاومة ويخفونه في الثكنات والورش وباطن الأرض ثم يسلمون الجزء الآخر منه إلى السلطات النازية. وأسندت المقاومة مهمة شراء السلاح إلى السجناء العاملين في مجال التمويه وتغطية سور المعسكر بأفرع الشجر المأخوذة من الغابة المجاورة لأنه يسهل عليهم إخفاؤه. وكثيراً ما كان هؤلاء السجناء يلتقون بالمزارعين الذين يعيشون في القرى المجاورة ويشترون منهم الطعام ثم يقومون بتهريبه داخل المعسكر. ولهذا السبب فكرت المقاومة في تريبلينكا في تهريب السلاح بنفس الطريقة التي يهرب بها السجناء الطعام إلى محبسهم. ولكن هذه الجهود في الحصول على السلاح باءت بالفشل الذريع.

وفي نفس الوقت سعت المقاومة جاهدة إلى الحصول على السلاح من بعض الأوكرانيين الذين يتلقون الرشاوي من اليهود مقابل تهريب الطعام من الخارج إليهم. ولكن هؤلاء الأوكرانيين دأبوا على النصب على اليهود فهم يأخذون منهم الأموال دون شراء السلاح. وكثيراً ما كان الأوكرانيون يحيطون معاملتهم مع اليهود بسياج من السرية حتى يتمكنوا من الاستمرار في ابتزاز اليهود والاستيلاء على أموالهم.

وقد فقد الدكتور كوارزيكي حياته نتيجة محاولته الحصول على السلاح فقد أجرى اتصالاته بحارس أوكراني وطلب منه شراء بعض البنادق لقاء مبالغ طائلة من المال. وفي أحد الأيام في النصف الأول من أبريل ١٩٤٣ استلم الدكتور كورازايكي

مبلغًا طائلاً من المال لشراء السلاح. غير أن كيرت فرانز نائب قومندان تريبلينكا فاجأه بدخول المستوصف الذي عمل فيه هذا الطبيب الذي أسرع بإخفاء الأوراق المالية في جيوب جاكتته المعلقة على الحائط. ولكن فرانز رآها تتدلى من جيب الجاكته فأخرجها. عندئذ أدرك الطبيب أنه هالك لا محالة انتزع مشرط الجراحة وهجم به على فرانز محاولاً قتله. وتصارع الرجلان وتمكن فرانز نائب القومندان بسبب صغر سنه وقوة بدنه أن يتغلب على غريمه الذي اتجه إلى النافذة لإلقاء نفسه منها. غير أنه تمكن من إخراج قنينة سم وشرب محتوياتها قبل وصوله إلى النافذة فسقط على الأرض مغشيًا عليه. وتقول إحدى الروايات إن الطبيب استطاع شرب السم داخل ثكنته فتوفي إثر ذلك.

وتم استدعاء رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكراني الذين حاولوا إعادة الحياة إلى كورازايكي لاستجوابه بشأن المال الموجود بحوزته. وساور الشك النازيين في أن كوارازيكى يخطط للهرب من معسكر تريبلينكا برفقة عدد من السجناء والاستفادة من المال في حالة نجاحهم في الهرب. ولمساعدة كورازيكي على استرداد الوعي استعان النازيون بطبيبة سجينة تدعي إيرينا ليفكوفسكي Irena Livovski كانت تعمل مع هذا الطبيب في نفس المستشفي. يقول الحارس سوكوميل Suchomel الذي رافقها لعلاج كورازيكي:

«كانت الساحرة الشمطاء (أي الطبيبة) تتظاهر بعدم قدرتها على السير بسرعة. وعندما وصلنا بالفعل إلى مكان الحادث كانت عينا كورازايكي لا تزالان مفتوحتين كما كان جسده لا يزال ينبض بالحياة. وقامت الطبيبة بالضغط على بطنه ولكن كورازيكي كان قد فارق الحياة. فاستبد الغضب بفرانز. ثم نقلت جثة كورازيكي لإلقائها في حفرة الحرق».

وأيضًا ساورَ الألمان الشكوك في أن الأموال التي وجدوها في حوزة اليهود مزيفة. ولهذا أخذوا يفتشون ثكنتهم لعلهم يعثرون على المزيد منها دون جدوى. وقام النازيون باستدعاء اليهود المتصلين بكورازايكي وانهالوا عليهم ضربًا للاعتراف بصلاتهم به.

ولكنهم أنكروا وجود أية صلة تربطهم به. ووقع اختيار رجال وحدة البوليس الخاصة على ثمانية من هؤلاء اليهود وأصدروا إليهم الأمر بخلع ملابسهم. وفي "اللازيت" (المكان المخصص لإطلاق النار) أمر فرانز يهوديًا بالوقوف بجوار الحفرة وهدد بضربه بالرصاص حتى يعترف بالحقيقة. ولكن الرجل أصر على عدم معرفته بأي شيء فتركه فرانز في موقع إطلاق النار والتفت إلى اليهود الآخرين مستخدمًا معهم نفس الأسلوب. ولكنهم جميعًا أنكروا وجود أية علاقة تربطهم بكورازايكي، كما أنكروا معرفتهم بالأموال التي بحوذته وفي نهاية الأمر اضطر النازيون إلى إطلاق سراحهم لأنهم كانوا في مسيس الحاجة إلى عمالتهم وخدماتهم.

كان موت كورازايكي ضربة موجعة لحركة المقاومة السرية في معسكر تريبلينكا بسبب الدور المحوري الذي لعبه في تسيير أمورها. ناهيك عن أهمية الوظيفة التي يشغلها كطبيب يعالج رجال البوليس الخاصة. ورغم أنه كان بحكم عمله مبتعدًا عن السجناء فإنه حظى باحترامهم الشديد، الأمر الذي أغرى عددًا منهم بالانضمام إلى صفوف المقاومة والمساهمة في شراء السلاح.

على الرغم من وفاة كورازايكي ونقل زيالو بلوخ إلى جزء آخر من معسكر تريبلينكا فقد واصلت اللجنة المنظمة للمقاومة عملها. فضلاً عن استمرارها في الإعداد للثورة. وبعد وفاة كورازايكي انضم راكوفسكي Rakowski إلى حركة المقاومة السرية وتولى تسيير أمورها. وزاد عدد أفراد المقاومة بالعشرات وتم تنظيمهم في مجموعات.

ولم يتوقف سعي السجناء إلى الحصول على السلاح. وأصاب هذا السعي نجاحًا في هذه المرة بعد سلسلة من الإخفاقات. وفي أحد الأيام تمكنت المقاومة من كسر قفل باب مخزن الأسلحة الواقع بين ثكنتين مخصصتين لاستخدام رجال وحدة البوليس الخاصة. وأصدر الألمان إلى سجين خبير في صناعة الأقفال (وعلى اتصال باللجنة المنظمة للمقاومة) أمرا بإصلاح القفل المكسور. وعندما أرسل قفل مخزن الأسلحة إلى ورشة الحدادة لإصلاحه قام هذا الرجل خلسة بصنع نسخة أخرى من مفتاح مخزن الأسلحة الأصلي وسلمه إلى اللجنة المنظمة للمقاومة. وفي النصف الثاني من شهر

أبريل ١٩٤٣ قرر أعضاء هذه اللجنة نقل جميع الأسلحة من مستودع الذخيرة كما قرروا البدء في إشعال الثورة إذا هم نجحوا في السيطرة على مخزن الذخيرة.

وكان أنسب وقت للاستيلاء على السلاح من المخزن هو وضح النهار أثناء غياب رجال الوحدة الخاصة عن ثكناتهم وابتعاد الحرس الأوكراني في المنطقة المجاورة للمخزن. وكثيراً ما كان عمل بعض الفتيات البولنديات والأوكرانيات يتطلب منهن زيارة مساكن رجال الوحدة الخاصة لتنظيفها، فضلاً عن تردد بعض الفتية اليهود عليها لتلميع أحذيتهم وتنظيف زيهم العسكري. وكانت فرقة التنظيف تتكون من أربعة صبية يقودهم شاب من وارسو اسمه ماركوس Marcos الذي أسندت إليه مهمة نقل الأسلحة من مخزنها.

وفي اليوم الموعود تلقى أعضاء المقاومة السرية في محال أعمالهم بمعسكر تريبلينكا إنذاراً بتوقع حدوث أمر جلل، الأمر الذي جعلهم يراقبون التطورات عن كثب. وبالفعل نجحت المقاومة السرية في تحقيق ما كانت تهدف إليه ونقلت صندوقين مليئين بالقنابل اليدوية إلى محل صنع الأحذية القريب من ثكنات السجناء. وتسلم هذين الصندوقين أعضاء اللجنة المنظمة للمقاومة التي ما لبثت أن اكتشفت عند فتحها خلو القنابل اليدوية من أدوات تفجيرها. ولم يتنبه أعضاء المقاومة السرية إلى احتفاظ الألمان بمفجرات القنابل في مكان منفصل. ومعنى هذا أن المقاومة عرضت حياتها للخطر دون طائل، الأمر الذي جعلها تعيد القنابل اليدوية المسروقة إلى مكانها قبل أن يتنبه الألمان إلى اختفائها. ويجهل الباحثون حتى الآن هويات أعضاء المقاومة الذين نفذوا هذه العملية. بل إن الباحثين لا يزالون يجهلون التفاصيل الخاصة بخطة الثورة. ويبدو أن عملية نقل السلاح والانخراط في الثورة كانا عملين ارتجاليين يفتقران إلى التخطيط السليم والاستعدادات المناسبة. ولكن من حسن حظ المقاومة أن إدارة المعسكر لم تتنبه إلى نجاح السجناء في تهريب القنابل اليدوية. وقد أدت هذه التطورات المفاجئة إلى إرجاء موعد قيام الثورة وإلى تجميد المقاومة لنشاطها. وقرر راكوفسكي شيخ سجناء المعسكر تنظيم هروب مجموعة من السجناء يصل عددها إلى نحو خمسة عشر سجيناً وسجينة. وتضم هذه المجموعة عشيقته تشسيا مندل Chesia Mendel.

كان ذلك في أواخر أبريل وأوائل مايو ١٩٤٣. والجدير بالذكر أن راكوفسكي استطاع توثيق علاقته مع اثنين من الأوكرانيين اللذين كانا يشتريان له الطعام من خارج المعسكر نظير مبلغ مغر من المال. وتحت إغراء المال وافق الحارسان الأوكرانيان على مساعدة راكوفسكي على الهرب من المعسكر.

واستطاع راكوفسكي أثناء الاستعداد للثورة أن يجمع مبلغًا ضخمًا من المال وكمية كبيرة من الذهب قام بإخفائهما في جدار ثكنة الكابو. وتطلبت الخطة بادئ ذي بدأ حفر باب للخروج من جدار محل الترزية الخارجي. وتقرر أن يتم الهروب في نفس الليلة التي يتولى فيها الحارسان الأوكرانيان المرتشيان مهمة الحراسة. وكان من المفترض أن يختبأ الهاربون في المعسكر من محل الترزية قبل إيصاد باب الثكنة على السجناء. وتحت جنح الظلام يقترب الحارسان الأوكرانيان من حائط محل الترزية الخارجي ويعطيان إشارة للسجناء للهروب من خلال المخرج الذي أعدوه في الجدار. وكذلك كان من المفترض أن يتولى الحارسان الأوكرانيان مساعدة الهاربين على الهروب من خلال سور المعسكر الشرقي وإمدادهم بالسلاح إذا كان هذا في مقدورهم.

وقبل إتمام كل هذه الاستعدادات وقعت حادثة هدمت الخطة من أساسها. ففي صبيحة أحد الأيام دخل أوغسط مييت August Miete ثكنة الكابوهات فوجد راكوفسكي وعشقيته تشسيا يتناولان طعام الفطور المكون من الفودكا والخبز الأبيض ولحم الخنزير. فعلق مييت على هذا بقوله ساخرًا: «حتى أنت ياراكوفسكي تتاجر في السوق السوداء». ثم غادر الحجرة. ثم ما لبث أن عاد إلى راكوفسكي بعد برهة وبصحبته اثنان من الحرس الأوكراني اللذين قاما بتفتيش المكان بمنتهى الدقة فوجدا النقود والذهب والأشياء الثمينة مختبأة داخل الجدران. وانبرى راكوفسكي للدفاع عن نفسه وأنكر وجود أية علاقة تربطه بالنقود المخبأة والتعامل مع السوق السوداء. وقال إن الدكتور كورازايكي الذي توفى منذ أسابيع قليلة والذي كان يسكن في هذه الحجرة هو الذي أخفى النقود. وألقى النازيون القبض على راكوفسكي وتم إرساله في الغسق إلى مكان إطلاق النار حيث تم الإجهاز عليه. وحل جالوفسكي محله كشيخ السجناء. علمًا بأنه

سبق راكوفسكي في شغل هذه الوظيفة التي اضطر إلى التخلي عنها حين أصيب بمرض التيفوس الذي شفى منه فيما بعد.

وفي أوائل مايو ١٩٤٣ بدأت أفواج السجناء تصل إلى معسكر تريبلينكا قادمة من جيتو وارسو، وذلك بعد أن اندلعت فيه الثورة ضد الألمان. وتم إرسال هذه الأفواج على الفور إلى غرف الغاز. ولكن بضعة مئات قليلة من السجناء والسجينات وقع عليها الاختيار للبقاء في المعسكر الأدنى وفي منطقة الإبادة كي تحل محل المتوفين نتيجة انتشار وباء التيفوس.

وقد شمل أحد الأفواج الأخيرة القادمة من جيتو وارسو عددًا كبيرًا من الثوار المقبوض عليهم والذين نجحوا في تهريب قنبلة يدوية وإخفائها في ملابسهم. وعندما تم اقتيادهم إلى ميدان تجمع الفوج وصدر إليهم الأمر بخلع ملابسهم قام أحدهم بإلقاء هذه القنبلة في الميدان. وهناك أقوال متضاربة حول ما حدث. فهناك من يقول إن القنبلة اليدوية قتلت حارسًا أوكرانيًا وجرحت حارسين أوكرانيين آخرين كما جرحت رجلاً ألمانيا وثلاثة يهود شيوعيين، فضلاً عن أنها جرحت عددًا كبيرًا من اليهود كانوا قد وصلوا لتوهم ضمن أحد الأفواج، وكانوا لا يزالون في الميدان. وسادت الفوضى لبضعة دقائق وجرى رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيون في كل اتجاه. ثم استعادت إدارة المعسكر السيطرة على الموقف وقتلت السجناء الذين ألقوا القنبلة في الحال عن طريق ضربهم بمؤخرات البنادق.

وتقول رواية أخرى إن عدد الجرحى لم يزد على ثلاثة يهود شيوعيين وبضعة يهود جاءوا ضمن الفوج المرحل. ونقل الجرحى اليهود الشيوعيين إلى مستوصف السجناء الذي أنشئ في فترة انتشار وباء التيفوس حيث تم شفاؤهم من جراحهم. وقال إن الألمانيين كيرت فرانز وكوتنر **Kuttner** قاما بزيارتهم للاطلاع على حالهم.

ولا ريب أن الثورة التي نشبت في جيتو اليهود بوارسو رفعت الروح المعنوية لدي أعضاء المقاومة في معسكر تريبلينكا رغم أن كثيرًا من السجناء شعروا بالإحباط بسبب آلاف الضحايا اليهود الذين أجهز عليهم الألمان. والجدير بالذكر أن بعض

اليهود الذين تمكنوا من الهرب من الجيتو في فترة اندلاع الثورة والالتجاء إلى الأحياء التي يسكنها الألمان في وارسو تم القبض عليهم وترحيلهم إلى معسكر تريبلينكا. وزاد من شعور بعض السجناء بالإحباط أن البولنديين تعاونوا مع النازيين في اضطهاد اليهود والتنكيل بهم والتبليغ عنهم.

وبعد آخر فوج قادم من جيتو وارسو في مايو ١٩٤٣ توقف مرة أخرى ترحيل الأفواج إلى تريبلينكا وتم إلحاق معظم السجناء في المعسكر الأدنى بأعمال الصيانة والبناء وإنشاء الطرق وإصلاح الأسوار وزراعة الحدائق. يقول شمويل ويلنبرج Schmuel Wilenberg واصفًا الوضع في معسكر تريبلينكا:

«خف عبء العمل في المعسكر وكنا في معظم الأحيان عاطلين عن العمل. وأمرونا بتسوية الكثير من القاذورات ومئات الحفر والمرتفعات التي لم يعني بها أي مخلوق حتى يومنا هذا. وقمنا بأعمال حفر في أرض صلبة لا تلين ونقل القاذورات من مكان إلى آخر، كما قمنا في بطء بتسوية الأرض غير المستوية. واستمر بنا بعض الوقت في صرف كمية كبيرة وكافية من الطعام. وترك هذا فينا الانطباع بأن الألمان يريدون الإجهاز علينا جميعًا وأنهم يحاولون تضليلنا وخداعنا بهذا المسلك».

وانقضى شهر يونيه دون حدوث أي شيء غير عادي في المعسكر الأدنى. واستمرت المحارق تعمل بكل طاقتها في منطقة الإبادة. وانتقل دخان هذه المحارق ورائحة الأجساد المحترقة إلى المعسكر الأدنى. وعلم السجناء من الصحف التي استطاع ماركوس الحصول عليها من ثكنات وحدة البوليس الخاصة بأمر الهزائم التي لحقت بالقوات الألمانية في شمال أفريقيا وجبهة القتال الشرقية. وفي شهر يولية علم السجناء بأنباء غزو قوات الحلفاء للأراضي الإيطالية. وساد شعور عام بقرب انهيار ألمانيا النازية وبأن الألمان قبل رحيلهم سوف يبيدون سجناء معسكر تريبلينكا، الأمر الذي أحيا روح المقاومة لدى اليهود. وفي تلك الفترة انضم جالفسكي شيخ معسكر تريبلينكا إلى اللجنة المنظمة للمقاومة ليصبح قائدها. وأيضًا انضم إليها عدد من المجندين الجدد مثل مونييك Moniek وهو شاب يهودي يتميز بالديناميكية والنشاط

الموفور جاء من وارسو. كما انضم إليها رودلف مازاريك Rudolf Masarek وهو ضابط برتبة ملازم في الثمانية والعشرين من عمره يعمل في صفوف الجيش التشيكي ومتزوج من امرأة يهودية قرر مرافقتها عندما قام النازيون بترحيلها إلى معسكر ثيرسينستدات ثم إلى معسكر تريبلينكا. وأرسلت هذه المرأة إلى غرف الغاز لتلقي حتفها في حين ترك النازيون زوجها ليعيش ويعمل.

وهكذا أصبحت اللجنة المنظمة للمقاومة بقيادة جالفسكي تضم نحو عشرة أعضاء معظمهم من الكابوهات ورؤساء العمال. ولم يبق من لجنة المقاومة القديمة غير زيف كورلاند Za'ev Korland الكابو المشرف على منطقة إعدام السجناء الذي كان يحتل المرتبة الثانية داخل هذا التنظيم السري، إلى جانب عضوين آخرين هما: سادوفيتز Sadovitz وسالزبرج Salzberg. وبذلت اللجنة المنظمة الجديدة نشاطاً سرياً كبيراً. ومما سهل انعقاد اجتماعات هذه اللجنة أن معظم أعضائها كانوا يعملون كابوهات في المعسكر. وبوجه عام كانت هذه الاجتماعات تعقد في محل الترزية.

وبالنظر إلى أن المقاومة السرية فشلت فيما مضى في الحصول على السلاح عن طريق رشوة الحرس الأوكراني فقد تقرر أن تعتمد الثورة على ما يمكن للثوار الحصول عليه من سلاح من مخزن السلاح والذخيرة الذي احتفظوا بنسخة أخرى من مفتاحه كما سبق أن ذكرنا. ولا شك أن الفشل السابق علَّم القائمين بالثورة ضرورة توخي الحذر. ولكن لم يكن من المستطاع أخذ السلاح من المخزن إلا أثناء النهار، ففي هذا الوقت غاب رجال وحدة البوليس الخاصة عن ثكناتهم، الأمر الذي اقتضى قيام الثورة خلال هذه الساعات، أي قبل عودة رجال الوحدة الخاصة من أعمالهم اليومية واكتشافهم ضياع الأسلحة.

كان أفراد المقاومة السرية ينقسمون إلى مجموعات تتكون كل منها من نحو خمسة إلى عشرة أشخاص. وبالنظر إلى اندساس مخبرين يتجسسون لصالح الإدارة النازية تعيَّن على تنظيم المقاومة توخي الحرص والحذر عند ضم أي أعضاء جدد إليه. وبحلول شهر يولية ١٩٤٣ بلغ عدد أعضاء المقاومة السرية نحو ستين عضواً انقسموا إلى مجموعات قليلة العدد.

ورغم كل ما أحرزته المقاومة من تقدم في مجال التخطيط للثورة والتنظيم السري فإن هذه المقاومة لم تستقر على أي رأي محدد بخصوص ساعة الصفر. ويرجع هذا إلى عدة أسباب منها: استيقانهم من موت عدد كبير من السجناء أثناء اندلاع الثورة وهروب السجناء من المعسكر. وهناك سبب آخر يتمثل في أن الحياة اليومية في المعسكر الأدنى أصبحت أكثر يسراً وأقل مشقة في الفترة الواقعة بين شهري يونية ١٩٤٣ ويولية ١٩٤٣. ناهيك عن توقف وصول الأفواج المرَّحلة، الأمر الذي جعل حياة السجناء في تريبلينكا أكثر يسراً مما كانت عليه في فترة تدفق أفواج السجناء على هذا المعسكر. وأغرت الحياة الميسرة زعماء الثورة بتكرار تأجيلها. والجدير بالذكر أن الذي عجل بحدوث الثورة في نهاية الأمر هو ما تناقلته المقاومة السرية من تدهور أحوال اليهود وتسارع وتيرة إبادتهم في منطقة الإبادة. وفي هذه المنطقة بدأت حركة المقاومة تنظم صفوفها في أواخر أبريل وبداية مايو ١٩٤٣، أي بعد مضي أسابيع قليلة على نقل كل من زيالو بلوخ وأدولف فريدمان من وظيفتيهما. وفي تلك الفترة المشار إليها كانت المهمة الرئيسية التي اضطلع بها السجناء العاملون في منطقة الإبادة هي حفر القبور الجماعية وحرق الجثث. وقام النازيون بتعيين بلوخ وفريدمان في رئاسة فرق العمل. وبعد قيام هذين الرجلين بدراسة الظروف السائدة في منطقة الإبادة ومقابلة السجناء سعياً إلى جس نبضهم عن طريق التحدث إليهم عن فكرة المقاومة، بدءًا بتشكيل تنظيم سري يضمهم وإنشاء لجنة منظمة شبيهة باللجنة الموجودة في المعسكر الأدنى. حدث هذا في أواخر مايو وأوائل يونية ١٩٤٣م.

ويعجز الباحثون عن معرفة أسماء أعضاء اللجنة المنظمة في منطقة الإبادة على وجه اليقين باستثناء كل من بلوخ وفريدمان إلى جانب جاكوب فيرنيك **Jacob Wiernik**، وهو عامل بناء محنك يتمتع بوضع متميز في منطقة الإبادة بسبب الاحترام الشديد الذي كنه قائد معسكر وحدة البوليس الخاصة له ولمهارته غير العادية في التشييد والبناء. وقد تم نقل بعض الأعضاء الآخرين في حركة المقاومة السرية من المعسكر الأدنى إلى منطقة الإبادة آنذاك وانضموا إلى صفوف المقاومة في مواقعهم الجديدة.

كانت مساحة منطقة الإبادة أصغر كثيراً من المعسكر الأدنى حيث جرى العمل فيها في الهواء الطلق بالقرب من القبور الجماعية ومعدات الحرق. وفي نهاية ساعات العمل كان السجناء في هذه المنطقة يعودون إلى ثكناتهم وإلى مجمع سكني قريب تحيط به الأسوار.. وكان قيام المقاومة بأي نشاط هناك أشد ما يكون عسراً وخاصة لأن الألمان ما فتئوا أن زرعوا جواسيسهم لمراقبة تحركات السجناء.

ومنذ البداية أسس كل من بلوخ وفريدمان خطط المقاومة، بخبرتهما السابقة في حركة المقاومة السرية في المعسكر الأدنى وقدرتهما على التنسيق الوثيق بين اندلاع الثورة وبين زملائهما في هذا المعسكر، وعلى تزايد فرص الحصول على السلاح. وأدركت المقاومة تمامًا بأن غلبتها وتفوقها العددي يكمن في المعسكر الأدنى وأن هذا المعسكر أصلح مكان لسرقة السلاح أو شرائه من الحرس الأوكراني. وأيضًا أدركت المقاومة أن الثورة في منطقة الإبادة لن تحقق نجاحًا إلا إذا تناغمت مع اندلاع الثورة في المعسكر الأدنى، بل إذا تناغمت في جميع أرجاء معسكر تريبلينكا. وتمثلت المشكلة في كيفية إقامة جسور الاتصال بالمقاومة داخل المعسكر الأدنى. ولكن الفرصة ما لبثت أن سنحت عندما أصدر قومندان تريبلينكا إلى فيرنيك أمرًا بإنشاء حجرة للحرس في المعسكر الأدنى فقام هذا الرجل في البداية بمساعدة ثمانية سجناء بتشييد بناء في منطقة الإبادة. ولكنه ما لبث أن فككه لإعادة بنائه في المعسكر الأدنى. وأثناء فترة إقامته في هذا المعسكر أجرى فيرنيك اتصالاً بزعماء المقاومة السرية هناك وأخبرهم بوجود تنظيم سري للمقاومة في منطقة الإبادة وطلب منهم إصدار تعليماتهم بشأن تحديد يوم قيام الثورة. ولكنه لم يتلق أية إجابة واضحة. وفيما بعد تحدث فيرنيك عن هذه الحادثة بقوله: «عدنا إلى معسكرنا مفعمين بالأمل في تحريرنا رغم عدم وجود أي شيء يمكننا الركون إليه». غير أن فيرنيك لم يكشف هوية الأشخاص الذي التقى بهم في المعسكر الأدنى.

ورغم أنهم لم يتلقوا أية إجابة ملتزمة أو محددة بشأن قيام الثورة فإن هذه الاتصالات مع حركة المقاومة السرية في المعسكر الأدنى أعطت قوة دافعة لتنشيط

الاستعدادات التنظيمية والتخطيط لعمليات المقاومة في منطقة الإبادة. وانعقدت اجتماعات اللجنة المنظمة في الأمسيات بعد عودة السجناء إلى المعسكر وإغلاق أبواب الثكنات عليهم بالضبة والمفتاح. وقد كتب فيرنيك يقول:

«عندما غلب النعاس جميع السجناء بسبب تعبهم في العمل والعذاب الذي كابدوه كنا نجتمع في أحد أركان الثكنة على سرير علوي للتشاور فيما بيننا. وحيث إن الشباب منهم ألحوا على ضرورة اتخاذ إجراء فوري رغم عدم وجود أية خطة مفصلة، لم يكن هناك بد من كبح جماحهم عن طريق تقييدهم بالسلاسل والأغلال. وقررنا عدم اتخاذ أي إجراء بدون التشاور مع المعسكر الأدنى لأن العمل المنفرد يشبه الانتحار. كنا مجموعة صغيرة في معسكرنا. كما أن بعض السجناء لم تكن لديهم تجربة قتالية من أي نوع».

وأصبحت المقاومة السرية الآن تتكون من فرق كل منها يحتوي على خمسة أفراد لكل منها زعيم أو قائد معين. وكذلك تكونت هذه الفرق من العمالة المتنوعة في مختلف المجالات مثل حفر القبور وحرق الأجساد. ورغم عدم توفر أية معلومات أكيدة أو محددة بشأن عدد السجناء في كل فريق عامل في منطقة الإبادة، فمن المفترض أن عددهم لم يزد على عدة عشرات.

وكان العنصر الأساسي في عملية التخطيط للثورة يستدعي قيام أقرب مجموعة مكونة من خمسة أشخاص بمهاجمة رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيين في مواقعهم وأثناء أداء عملهم في نفس لحظة نشوب الثورة مستخدمين أدوات عملهم كسلاح وهي أدوات تختلف بطبيعة الحال وفقًا لنوع العمل الذي يؤديه السجناء مثل الفأس والجاروف وشوكة رفع الحشائش. وبالإضافة إلى هذه الأسلحة كل سلاح يتمكن السجناء من انتزاعه من الألمان والأوكرانيين. وفي العادة كان يوجد حوالي أربعة أو ستة ألمان في منطقة الإبادة في فترة العمل. وكان أحد هؤلاء العاملين مسئولاً عن إحراق الجثث. كما كان هناك اثنان أو ثلاثة من حفاري القبور. وكذلك رجل أو رجلان من وحدة البوليس الخاصة للإشراف على السجناء أثناء تأدية أعمالهم. وكان نحو ثمانية من

الحرس الأوكراني يراقبون السجناء من أبراج المراقبة ومواقع الحراسة الأخرى إلى جانب بعض الأوكرانيين المكلفين بتشغيل غرف الغاز. وكانت حجرة الحرس التي تأوي رجال وحدة البوليس الخاصة على مقربة من غرف الغاز القديمة. وبطبيعة الحال كان لزاما تواجد أحد رجال الوحدة الخاصة.

وفي النصف الثاني من شهر يولية (١٩٤٣) قارب العمل في منطقة الإبادة على الانتهاء. وتوقف وصول أفواج المرّحلين إلى معسكر تريبلينكا باستثناء جماعة من الغجر وفوج من السجناء اليهود قادم من معسكر العمل في تريبلينكا. وأرسلت كلتا المجموعتين مباشرة إلى غرف الغاز. وتمت تعرية أكثر من ثلاثة أرباع حفر الدفن داخل المعسكر وانتزعت منها الجثث المدفونة لحرقها. وانصرف جزء من السجناء إلى ردم الحفر المفتوحة بالتراب والطمي وزرعها بالأشجار لإخفاء معالم الجرائم النازية. وأحس السجناء أن حياتهم أوشكت على الانتهاء في غضون أسابيع قليلة. وقام فييرنيك بنقل رسالة شفوية عما حدث للمقاومة السرية في المعسكر الأدنى. وتضمنت هذه الرسالة طلبًا بإشعال فتيل الثورة على وجه السرعة وتحديد موعد قيامها في الحال. وتولى فييرنيك نقل الإجابة التي هدأت من روع ومخاوف المقاومة السرية في منطقة الإبادة. قال فييرنيك إنه تحدث مع جالفسكي الذي طمأنه بقرب موعد التحرير مطالبًا المقاومة في منطقة الإبادة بالتحلي بالصبر.

واستمر فييرنيك في إلحاحه على ضرورة قيام الثورة في وقت عاجل. ولكن ردود الفعل التي تلقاها من المعسكر الأدنى كانت غامضة وأبعد ما تكون عن الوضوح. غير أن اللجنة المنظمة للمقاومة السرية في المعسكر الأدنى ترددت في تحديد تاريخ نهائي لقيام الثورة رغم أنه كان من الواضح للمقاومة في هذا المعسكر الأدنى أن الثورة وشيكة الوقوع.

وأثناء اجتماعات المقاومة السرية في منطقة الإبادة تعالت المطالبات بضرورة إضرام نار الثورة بدون التنسيق مع المعسكر الأدنى، الأمر الذي رفضه فريق من المقاومة وخشي من إفضائه إلى فشل هذه الثورة. ولهذا بلغ التوتر بين أعضاء المقاومة في منطقة الإبادة ذروته.

وزاد من شدة هذا التوتر أن عـدداً أكبـر من المتمردين باتوا على علم بالاسـتعدادات التي تتخذ من أجل إشعال فتيل الثورة. وساد السجناء اليهود شعور بقرب إجهاز النازيين على السجناء في غضون بضعة أيام وأن سجنـاء المعسكر الأدنى يستمرون في خدا ع أنفسـهم.

ويجدر بالذكـر أن رجـال وحـدة البـوليس الخـاصـة في منطقـة الإبادة أقـامـوا احتفالاً بمناسبة قرب انتهائهم من مهمتهم وهي القضـاء المبرم على سجناء تريبلينكا. يقول فييرنيك في هذا الصدد:

«بدأ الاحتفال بينما تحرك حفار القبور (الذي سبق له نقل جثث أخوتنا من مقابرها) إلى وضع مستقر. ورُفع ذراع وجاروف عاليين فبديا وكأنهما برج في زاوية مبنى يحدق بكل زهو في السمـاء. ثم أطلقت البنادق رصـاصـهـا في الهواء للحفاوة والاحتفال. ثم أقيمت الوليمة فشرب النازيون الخمور وأطلقوا النكات وعبروا عن فرحتهم الشديدة بهذه المناسبة. واجتمعت اللجنة المنظمة للمقاومة في منطقة الإبادة وقررت إرسال إنذار إلى أقرانهم في المعسكر الأدنى مـفاده أنهم إذا لم يحددوا على الفور موعداً لنشوب الثورة وإذا لم تقم هذه الثـورة بحلول أوائل شـهر أغسطس (١٩٤٣) فإن المقاومـة في منطقـة الإبادة سوف تتولى إشـعـال فتـيل الثـورة بمفردها. وقـام فيـرنيك بتسليم هذا الإنذار إلى المقاومة في المعسكر الأدنى.

جاء الإنذار بعد أن وردت تقارير من منطقة الإبادة عن قـرب الانتهاء من إنشاء المحرقة. الأمر الذي دفع جالفسكي زعيم المقاومة ورفاقه إلى اتخاذ قرار فوري ناجم عن شعورهم بقرب نهايتهم. وبالتدريج أخذ تعداد السجناء في المعسكر الأدنى يقل. فقد تم نقل معظمهم للعمل في منطقة الإبادة، في حين لقى السجناء الآخرون حتفهم في منطقة إطلاق النار. وهكذا انخفض إجمالي عدد السجناء في المعسكر الأدنى من نحو ثمانمائة سجين إلى نحو خمسمائة أو ستمائة سجين. وعمق هذا الوضع إحساس المقاومة بسرعة اقتراب النهاية المحتومة وأن الإنذار الآتي من منطقة الإبادة كان واضحًا ولا لبس فيه. وأدرك أعضاء اللجنة المنظمة للمقاومة إدراكًا جليًا بأنه إذا قيض للثورة

أن تندلع في منطقة الإبادة وحدها فسوف يؤدي هذا إلى قتل جميع سجناء معسكر تريبلينكا بمن فيهم سجناء المناطق التي لم تشترك في قيام الثورة. ولهذا قررت اللجنة المنظمة للمقاومة يوم الجمعة الموافق ٣٠ يولية أو السبت ٣١ يولية ١٩٤٣ ضرورة قيام الثورة بعد ظهر يوم الإثنين ٢ أغسطس ١٩٤٣ نظراً لأن يوم الأحد كان عطلة في المعسكر. وقام فيرنيك بإبلاغ المقاومة في منطقة الإبادة بذلك الموعد. ولكن ساعة الصفر بقيت دون حسم أو تحديد. وبعد أن حددت اللجنة المنظمة للمقاومة يوم إشعال الثورة بدأت الآن في إعداد التفاصيل العملية لإضرامها. والجدير بالذكر أن المقاومة أخذت في اعتبارها وجوب نشوب الثورة أثناء ساعات النهار حيث يسهل على الثوار الهجوم على رجال الوحدة الخاصة في هذه الفترة نظراً لبعثرتهم وتفرقهم وانشغالهم بالإشراف على السجناء. فضلاً عن أن الليل لم يكن الوقت المناسب لنشوب الثورة لسبب آخر هو أن السجناء يأوون في الليل إلى ثكناتهم حيث توصد عليهم الأبواب ويتولى الحرس الأوكراني ورجال الوحدة الخاصة مراقبتهم. ورأى زعماء المقاومة أن الظلام سرعان ما سوف يهبط على الثوار بعد قيامهم بالثورة، الأمر الذي سوف يمكن السجناء من الهرب. ولهذا توقعوا أن تقوم إدارة المعسكر باستدعاء قوات الأمن الألمانية لمطاردة السجناء الهاربين، وبطبيعة الحال سوف يشكل الظلام عقبة أمامها. وحتى تزيد المقاومة من فرص نجاح الثورة تقرر قيامها في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر أي قبل انتهاء موعد العمل في معسكر تريبلينكا بنحو نصف ساعة.

وأيضاً أخذت المقاومة في الاعتبار موعد وصول القطار الذي يقل السجناء اليهود القادمين من معسكر العقاب في تريبلينكا والذي يعود بهم من مالكينيا Malkinia بعد الانتهاء من أعمالهم في الساعة الرابعة وخمسة وأربعين دقيقة مساء. وكانت المقاومة تأمل في إيقاف هذا القطار وإطلاق سراح ركابه من السجناء للاشتراك في إشعال الثورة.

واقتضت خطة الثورة النهائية أن يتمكن الثوار من السيطرة على المعسكر وإشعال النار فيه ثم الابتعاد عنه. ورأى المخططون أن غلبة الثوار العددية والسلاح الذي يتسلحون به وعنصر المفاجأة سوف يوفر للثورة فرص النجاح. وكانوا يأملون في أن

نجاحهم في التخلص من معظم رجال الوحدة الخاصة سوف يضعف قدرة الحرس الأوكراني على المقاومة. وخاصة لأن الأوكرانيين تشجعوا وبدأوا ينتقدون الألمان بصراحة في حديثهم مع السجناء اليهود عندما علموا بأمر الهزائم المتكررة التي لحقت بالقوات النازية على جبهة القتال. أضف إلى ذلك أن بعض أفراد الحرس الأوكراني لاذوا بالفرار من معسكر تريبلينكا إلى الغابات المجاورة.

وطبقًا للخطة الموضوعة يبدأ الثوار بالهجوم على رجال الوحدة الخاصة والإجهاز عليهم بهدوء أثناء تأدية أعمالهم. فضلاً عن محاولة إغرائهم بالحضور إلى مختلف الورش قبل حلول ساعة الصفر متذرعين بأخذ مقاساتهم لحياكة بذات جديدة لهم أو صنع حذاء جديد حيث تنتظرهم جماعة من الثوار للإجهاز عليهم وانتزاع السلاح منهم.

وأيضًا اتجهت الخطة إلى قتل الحرس الأوكراني في مواقع أعمالهم والاستيلاء على ما بحوزتهم من سلاح، كما اتجهت هذه الخطة إلى أسر الآخرين وهم أحياء في معسكر ماكس بيالاس وتجريدهم من سلاحهم والتحفظ عليهم تحت الحراسة المشددة لحين مغادرة الثوار المعسكر.

والجدير بالذكر أن معظم السجناء لم يكونوا أعضاء في حركة المقاومة التي قررت الامتناع عن اطلاعهم على خطة الثورة لحين نشوبها. وتعيَّن على أعضاء المقاومة توخي أقصى درجات الحذر في كل مراحل الإعداد للثورة تجنبًا لأذى المخبرين أمثال تشزكيل Chezkel وكوبا Kuba. وكذلك اقتضت الخطة تجميع السجناء وتوزيع السلاح المنزوع عليهم، ثم مغادرة المعسكر جماعة والاختباء في الغابات المجاورة. وكان من المفترض هروبهم باتجاه الشمال ثم عبورهم نهر البرج ثم رحيلهم باتجاه بوزازا بيالوفيزكا Puszcza Bialowiezska وتشمل الخطة التنفيذية التي اعتمدتها اللجنة المنظمة للمقاومة في المعسكر الأدنى المراحل التالية:

المرحلة الأولي: الحصول على الأسلحة بأسلوب هادئ وغير مكشوف في الفترة الواقعة بين الساعة الثانية والنصف حتى الرابعة والنصف بعد الظهر. ويتولى شباب

المقاومة الاستيلاء على الأسلحة في مخزن السلاح وتوزيعها على الفرق المقاتلة في مواقع عملها. فضلاً عن الإجهاز بهدوء على الألمان الذين جاءوا من تلقاء أنفسهم أو تم إغراؤهم بالحضور إلى الورش.

المرحلة الثانية: الاستيلاء بالقوة على معسكر تريبلينكا وتدميره في الفترة الواقعة بين الرابعة والنصف حتى الخامسة والنصف بعد الظهر. وتمثلت إشارة بدء الثورة في تفجير قنبلة يدوية. كما يتم مهاجمة هيئة أركان المعسكر في الوقت الذي يتناثر فيه رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيون وينشغلون بأداء أعمالهم في الورش، ثم تقطع أسلاك التليفون وتضرم النار في المباني. كما يتم التخلص من رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيين في منطقة الإبادة وتدمير غرف الغاز.

المرحلة الثالثة: وتتمثل في مغادرة السجناء للمعسكر والتجائهم إلى الغابات. ولكن هذه المرحلة لم يتم التخطيط لها بالتفصيل. ولكن الفكرة الأساسية في هذه المرحلة تمثلت في رحيل الثوار والسجناء المنظم إلى الغابات تحت جنح الظلام، وذلك بعد تدمير المعسكر وتسليح السجناء بالأسلحة التي تم الاستيلاء عليها.

وفي أول أغسطس ١٩٤٣ عقدت اللجنة المنظمة للمقاومة اجتماعها الختامي. وفي هذا الاجتماع تمت الموافقة على خطة نشوب الثورة في اليوم التالي. وقد كتب أحد الحاضرين واسمه شموئيل راجزامان Shmuel Rajzman ما يلي:

«تمت الموافقة بالإجماع في الاجتماع الذي عقدته اللجنة المنظمة للمقاومة في ساعة متأخرة من الليل على ضوء ألسنة اللهب التي حرقت مئات الآلاف من أحبائنا على قرار بإشعال الثورة في اليوم التالي الموافق ٢ أغسطس. ولن أنسى أبدًا زيف كورلاند - أكبرنا سنًا - الذي اغرورقت عيناه بالدموع وهو يجعلنا نقسم أن نحارب إلى آخر قطرة في دمائنا دفاعًا عن شرف الشعب اليهودي. وشعر كل فرد من الحاضرين بجسامة المسئولية التي تضمنها قرارنا باجتثاث هذه السادية الألمانية من جذورها وبإنهاء معسكر تريبلينكا».

وفي نفس الليلة تم تبليغ جميع أعضاء المقاومة السرية في المعسكر الأدنى بالقرار المتخذ. وكان عدد هؤلاء الأعضاء يقدر بستين فرداً. وفي اليوم التالي الموافق ٢ أغسطس ١٩٤٣ قام فييرنيك بتبليغ أعضاء المقاومة في منطقة الإبادة بالقرار، الأمر الذي آثار هياجها الشديد. وفي هذا الجزء من معسكر تريبلينكا كان معظم السجناء ممن لا ينتمون إلى حركة المقاومة يعرفون أن الثورة وشيكة وأنها تحظى بتأييدهم.

ونظراً لشدة حرارة الجو في فصل الصيف كانت فترة العمل في منطقة الإبادة تمتد من الرابعة فجراً حتى الثانية عشر ظهراً. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً قام النازيون بحبس السجناء في مجمع سكني مغلق ومحاط بسور. وهذا المجمع يشمل ثكناتهم وفناء قريب من سور المعسكر الجنوبي. وقرب البوابة المفضية إلى الفناء وقف حارس أوكراني في حين اعتلى حارسان آخران برج المراقبة. وأدرك زعماء المقاومة السرية في منطقة الإبادة أن سجناء المعسكر قد يتعرضون للحبس والمحاصرة في منطقة واحدة بحيث يصعب عليهم الانخراط في أية أعمال قتالية عندما تنشب الثورة في فترة بعد الظهر. وأصبحت المشكلة التي تواجه المقاومة والسجناء كيفية التغلب على هذا الحصار وخلق وضع من شأنه عند نشوب الثورة في المنطقة الأدنى أن يمكّن مجموعة من السجناء وجميع أفراد المقاومة السرية البقاء خارج المجمع المسور داخل منطقة الإبادة. ولهذا قرر زعماء المقاومة أنه بحلول اليوم الموعود وعند انتهاء العمل في وقت الظهر فإنهم سوف يتركون عدداً كبيراً من الجثث بالقرب من شواية المحرقة ويزعمون أنه لم يكن لديهم الوقت الكافي لحرقها. ومن ثم طالبوا بضرورة تزويدهم بالمزيد من عمالة السجناء اللازمة لاستكمال حرق الجثث، إلى جانب أداء بعض الأعمال الإضافية بهدف زيادة عدد السجناء خارج المجمع في فترة نشوب الثورة بعد الظهر.

وأيضاً واجهت الثورة مشكلة التغلب على الحارسين الأوكرانيين اللذين يعتليان برجي المراقبة. كان أحد هذين البرجين يقع في مركز منطقة الإبادة في حين كان البرج الآخر في الركن الجنوبي الشرقي من المعسكر. وكان المعسكر الأول يمثل الخطر الأكبر على نجاح الثورة لأن هذا المعسكر المركزي يراقب السجناء بكل يسر وسهولة ودون أدنى عوائق.

فضلاً عن سيطرته على جميع أنشطة السجناء سواء داخل الثكنات أو بالقرب من شوايات المحارق. وحتى تتمكن المقاومة من شغل بال الحرس الأوكراني وصرف أنظاره عند اندلاع الثورة قررت رشوته بالذهب والمال الكثير حتى يهبط من برج المراقبة لجلب بعض الطعام. وبذلك يسهل على المقاومة التعامل معه والإجهاز عليه.

وقد تأسست تفاصيل الخطة التنفيذية للقيام بالثورة في منطقة الإبادة على الخطة التي وضعها المعسكر الأدنى. فما أن بدأت شرارة الثورة في الاندلاع في المعسكر الأدنى حتى بادرت المقاومة السرية في منطقة الإبادة بالهجوم على الحرس الأوكراني ورجال الوحدة الخاصة والتخلص منهم. وبعدئذ فكروا في إشعال الحرائق في المباني بما في ذلك غرف الغاز والانضمام إلى المقاتلين في المعسكر الأدنى ثم الاحتماء بعد ذلك في الغابات والاختباء فيها.

وفي عشية الثورة لم يكن زعماء المقاومة السرية في منطقة الإبادة يعرفون ساعة الصفر على وجه الدقة. ولهذا قرروا أن يحاول فيرنيك أن يختلق عذراً للذهاب إلى العمل في المعسكر الأدنى في صبيحة اليوم التالي لمعرفة ساعة الصفر.

وفي نفس الوقت استمرت المشاورات والمباحثات بين الثوار في المعسكر الأدنى ومنطقة الإبادة حتى ساعة متأخرة من يوم ١ و٢ أغسطس ١٩٤٣ في حين خلد السجناء العاديون للنوم، ولم يغمض جفن في تلك الليلة للسجناء القلائل العالمين ببواطن الأمور.

الثورة تندلع في معسكر تريبلينكا

اندلعت الثورة في معسكر تريبلينكا يوم ٢ أغسطس ١٩٤٣ وهو لا يختلف في شيء عن غيره من الأيام. بدأ بنوبة صحيان ثم النداء على الطابور وتناول فطور لا يسمن أو يغني من جوع. ورغم أن صباح ذلك اليوم لم يختلف عن صباح أي يوم آخر إلا أن مشاعر السجناء فيه كانت مغايرة. فقد كان من العسير على أعضاء المقاومة إخفاء مشاعرهم المضطربة والهائجة. فضلاً عن قيامهم بسن السكاكين والفئوس. كما أن السجناء العاملين في المخازن أعدوا الأواني لملئها بالجازولين لإشعال الحرائق به. وأحس سجناء آخرون أن أمرًا جللاً على وشك الحدوث. وسرت الشائعات بقرب مجئ يوم الثورة الحاسم. تقول سونيا لفيكوفيز Sonia Lewkowicz في هذا الشأن:

«الحق أني لم أعرف وقت اندلاع الثورة. فخلال الأسابيع الماضية درجوا يوميًا على القول بقيام الثورة. ولكن في اليوم السابق لنشوبها، وخاصة في يوم نشوبها شعرنا بأنه لا محيص عن اندلاعها. ولا غرو فقد بدا جو المعسكر بأكمله مكهرباً... كنا نشعر بنبضها. وأعد كل سجين صرة يحملها ويضع فيها ملابسه».

ساد التوتر يوم اندلاع الثورة وقام كثير من السجناء سرًا بإخراج نقودهم وأشيائهم الثمينة من مخابئها انتظاراً ليوم الهروب من المعسكر، أملاً في أن ينفعهم القرش الأبيض في اليوم الأسود. ومن ناحيته قام جالنيسكي والكابوهات المنضوين تحت لواء اللجنة المنظمة للمقاومة بالتجوال في أرجاء المعسكر للتهدئة من روع رفاقهم والتأكد من أن السجناء انصرفوا إلى أداء أعمالهم الروتينية المعتادة.

وفي ذلك الصباح حضر فييرنيك وثلاثة سجناء آخرون من منطقة الإبادة إلى المعسكر الأدنى. وتمكن فييرنيك من إقناع الموظف التابع لوحدة البوليس الخاصة

والمسئول عن البناء والتشييد أنه يحتاج إلى عمال يحضرون له بعض ألواح الخشب من المخزن الموجود في المعسكر الأدنى. وفي نفس الوقت استطاع أعضاء اللجنة المنظمة للمقاومة في المخزن إبلاغ فيرنيك أن ساعة الصفر تحددت في الرابعة والنصف بعد الظهر. وقام فيرنيك ورفاقه بالعودة إلى منطقة الإبادة ليحيطوا زعماء المقاومة السرية هناك علماً بالمضي في إشعال نيران الثورة.

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تولى جالفسكي تدوير الطابور المعتاد للنداء على الأسماء. ثم مضى السجناء وتفرقوا متوجهين إلى أعمالهم. ولكن فرق العمل في هذه المرة تغير تكوينها بعد أن تلقت دعماً وتعزيزاً من الفرق الأخرى. ولم يكن في هذا ثمة غرابة بل كان هذا أمراً مألوفاً حيث إن الحاجة أملت إجراء مثل هذه التغييرات. وكان جالفسكي – بوصفه شيخ المعسكر وكذلك الكابوهات ورؤساء العمال يتمتعون بسلطة نقل السجناء من عملهم الروتيني إلى عمل روتيني آخر. وتم دعم فريق عمال البطاطس والفريق المنوط به العناية بزراعة الخضروات إلى جانب رعاية عدد من أعضاء المقاومة السرية أنيط بهم الهجوم على مركز قيادة المعسكر والتعامل مع ثكنات الأوكرانيين.

ووزع أعضاء اللجنة المنظمة للمقاومة أنفسهم في أماكن مختلفة كي يتمكنوا من تنفيذ المهمات القريبة من مواقع أعمالهم. وكان سادوفيتس Sadovits المتخصص في فلاحة البساتين مسئولاً عن إدارة مزرعة الخضروات القريبة من مقر رئاسة المعسكر ومخزن السلاح. ولهذا تم تعيينه مشرفاً على نقل السلاح. وكذلك تم تكليف سالزبرج Salzberg رئيس ورشة الترزية وعضو اللجنة المنظمة للمقاومة بالإشراف على سير العمليات، كما أن كورلاند الكابو العامل في منطقة إطلاق النار أصبح رئيس أعضاء المقاومة السرية العاملين في ميدان فرز متعلقات السجناء الشخصية. ويبدو أن جالفسكي شعر بوجوب تواجده في الجزء الجنوبي من المعسكر قرب أنسب مكان لاندلاع الثورة نظراً لضآلة عدد رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكراني وذلك تحسباً لتعثر المقاومة في تنفيذ خطة الثورة واضطرارها إلى إدخال بعض التعديلات

والتغييرات فيها. وكان لموقع جالفسكي ميزة أخرى تمثلت في قربه من منطقة الإبادة، الأمر الذي يوفر له سهولة الاتصال بحركة المقاومة هناك. ولكن موقع جالفسكي كانت له عيوبه ومثالبه المتمثلة في بعده عن مكان مخزن السلاح المزمع الاستيلاء عليه وعن مقر قيادة المعسكر ومقر تجمع وحدة البوليس الخاصة والحرس الأوكراني المزمع الهجوم عليهما.

وفي وقت مبكر من بعد ظهر يوم الثورة الصيفي القائظ قاد الألماني كيرت فرانز مجموعة مكونة من أربعة رجال عاملين بالوحدة الخاصة وستة عشر حارسًا أوكرانيًا غادرت المعسكر واتجهت للاستحمام في نهر البوج الأمر الذي خفض من مستوى التواجد الأمني تخفيضًا كبيرًا. بل إن هذه القوة الأمنية القليلة العدد ما لبثت أن انضمت إلى صفوف الثوار.

بدأت المرحلة الأولى من الثورة التي شملت الاستعدادات الهادئة باستئناف العمل بعد فسحة الظهر، فقد قام روديك لوبرنتسكي Rudek Lubrenitski المسئول عن الجاراج ومخازن الجازولين بنسف موتور العربة المدرعة الرابضة قرب الجراج وثكنات وحدة البوليس الخاصة حتى يمنع الألمان من استخدامها إذا اندلعت الثورة. وأيضًا استولت المقاومة على الفئوس وقاطعات الأسلاك من حظيرة الآلات لتوزيعها على أعضائها.

كان من المفترض أن تقوم المقاومة بالاستيلاء على السلاح من المخزن في الساعة الثانية بعد الظهر. ولكنه مع اقتراب هذه الساعة تبين أن رجل الوحدة الخاصة مولر Muller المسئول عن حراسة المعسكر ظل باقيًا في ثكنته في فترة بعد الظهيرة. وحيث إن هذه الثكنة كانت قريبة للغاية من مخزن السلاح فإن هذا شكل خطرًا على عملية استيلاء المقاومة على السلاح من المخازن، الأمر الذي قد ينسف خطة الثورة بأكملها.

وتولى الشبان المكلفون بالاستيلاء على السلاح تبليغ سادوفتش بالموقف فالتجأ سادوفتش إلى حيلة لاستدراج مولر خارج ثكنته بأن أخبره بنشوء بعض المشكلات مع

فرقة عمال البطاطس وبضرورة توجهه إلى هناك لحلها. وبالفعل ترك مولر ثكنته برفقة سادوفيتش الأمر الذي أتاح لماركوس Marcus واثنين من مساعديه الشباب فرصة الاستيلاء على السلاح. غير أن هذه العملية جاءت متأخرة عما كان مقرراً بسبب مكوث مولر بعض الوقت في ثكنته.

واشتمل السلاح الموجود في المخزن على عشرات القنابل اليدوية وبضعة مسدسات وأكثر من اثنتي عشرة بندقية. وقام السجناء بإخفاء الأسلحة في صرات صغيرة. فضلاً عن أنهم انتزعوا قضيبًا من نافذة المخزن الخلفية التي تواجه السور الغربي وسربوا السلاح خلال الفجوة بين القضبان. وتم نقل السلاح إلى الجراج القريب وتسليمه إلى روريك لوبرنتسكي الذي قام بدوره بتوزيعه على السجناء. وسارت هذه العملية ببطء حيث إن المقاومة توخت الحذر الشديد من توزيع السلاح على أفرادها. وعند الجراج تم شحن الأسلحة في عربة يد مخصصة أصلاً لنقل مواد البناء. وفي ذلك اليوم بالذات كلفت مجموعة صغيرة من عمال التشييد والبناء بمهمة جمع مواد البناء المتناثرة في القطاع الشمالي الغربي من المعسكر. كما تم إخفاء لفائف الأسلحة بين عوارض خشبية قديمة مدهونة وفي صفائح الطلاء الأبيض الفارغة الموجودة في عربة اليد لتوزيعها على أعضاء المقاومة السرية في مواقع عملهم. تقول ماريان بلدتيكيوفتس Marian Pldtkiewicz العاملة بغرفة البطاطس: «كنا كل يوم نقوم بإعداد كومة من البطاطس. ثم مرت علينا عربة يد يدفعها اثنان من عمال البناء. وبسرعة سلمونا بعض القنابل اليدوية وأدوات تفجيرها فأخفيناها في الجرادل المستخدمة في إعداد البطاطس».

وبينما كان الثوار يستولون على السلاح جرت استعدادات من جانب المقاومة لإشعال النار في المعسكر. وكان أحد رجال المقاومة السرية يعمل في تطهير جميع مباني المعسكر. واقتضى عمله انتقاله في جميع أرجاء المعسكر لرش المباني بالمطهرات. وبعد ظهر ذلك اليوم وبينما هو متوجه إلى عمله ملأ أدوات الرش بالجازولين بدلاً من المطهرات ثم قام أيضًا برش الثكنات والمخازن والمحال بالجازولين. وكانت هذه المباني مصنوعة من الخشب، مما جعل احتراقها أمرًا مؤكدًا.

وشملت الاستعدادات في منطقة الإبادة أثناء فترة الصباح أوجه نشاط متعددة. وبذل السجناء المكلفون بنقل الجثث من الحفر جهداً شاقًا لدرجة أن عدد الجثث التي أحضروها إلى شوايات المحرقة فاق قدرتها على حرقها في فترة الصباح. ونجم عن هذا أن الجثث الزائدة ظلت ملقاة على الأرض بالقرب من الشوايات. وقبل انتهاء فترة العمل التفت أدولف فريدمان Adolf Freidman رئيس عمال محرقة الجثث إلى كارول بتسنجر Karol Petsinger العامل بوحدة البوليس الخاصة والمسئول عن المحارق وأخبره بأنه وفريق المحرقة على استعداد للعمل في فترة بعد الظهر لاستكمال حرق الجثث الزائدة. وحتى لا يكون هذا التطوع للعمل سببًا في إثارة شكوك رجال الوحدة الخاصة طالب فريدمان في المقابل مضاعفة جراية الخبز لفريقه المكون من ثلاثين شخصًا فأجابه بتسنجر إلى طلبه.

وحوالي الظهر عاد فيبرنيك من المعسكر الأدنى مؤكدًا على ضرورة إشعال الثورة في الموعد المحدد لها وهو الرابعة والنصف بعد الظهر، كما أن المقاومة في منطقة الإبادة تلقت تأكيداً آخر لهذا الموعد من ياكوف دوم Yaekov Domb الذي كان يجر عربة قمامة من المعسكر الأدنى. وبينما دوم يجر عربته بالقرب من منطقة الإبادة صاح باللغة العبرية في السجناء العاملين عبر السياج للتنبيه عليهم بقوله: «اليوم نهاية العالم وسوف تقوم القيامة في الساعة الرابعة».

وعندما انتهى العمل في الظهر أعيد جميع السجناء إلى المجمع المسور المحيط بثكناتهم. واختفى رجال الوحدة الخاصة من كافة أرجاء منطقة الإبادة. حتى حفاري القبور احتفوا عن الأنظار فقد انتهوا من أداء عملهم في وقت الظهر وتوجهوا إلى تناول طعامهم في القاعة الواقعة في المعسكر الأدنى. ولم يبق في مكانهم سوى الحرس الأوكراني. وفي فترة بعد الظهر توجه ثلاثون رجلاً بقيادة أدولف فريدمان للعمل في شوايات المحارق. وكانت هذه المجموعة من الرجال تتكون من الشبان الأقوياء والأشداء حتى يتمكنوا من التغلب على حراسهم الأوكرانيين. والجدير بالذكر أن جميع اليهود الشبان المشار إليهم كانوا من المتطوعين. واقتضى عملهم بالقرب من الشوايات

استخدام الفئوس والجواريف وشوكات رفع الحشائش. واستعاضوا بها وقت الثورة عن السلاح.

وفي العصاري كانت إدارة المعسكرّ تسمح لسجينين أو ثلاثة بالخروج من منطقة الثكنات لإحضار الماء من البئر الذي يبعد عشرين مترًا من بوابة سور الثكنة لاستخدامه في المطبخ وإعداد وجبة العشاء وغسيل الأطباق. ولكن عددهم في اليوم المحدد للثورة ارتفع إلى خمسة رجال بهدف دعم وزيادة السجناء الموجودين خارج الثكنة المسورة عند حلول ساعة الصفر. وقرر زيالو بلوخ قائد الثورة في منطقة الإبادة أن يتواجد خارج مجمع الثكنات حتى يتمكن مع أربعة أخرين من أعضاء المقاومة السرية من الخروج لإحضار الماء. وتعمد السجناء الإبطاء في إحضار الماء في ذلك اليوم، كما أن كمية الماء التي أُحضرت إلى المطبخ في ذلك اليوم كانت أكبر من المعتاد. وكان الهدف من وراء ذلك استمرار العمل حتى حلول ساعة الصفر، في حين ظل بقية السجناء جالسين في الثكنات أو في فناء المجمع وهم يلتزمون الصمت المطبق وينتظرون إشارة تجئ إليهم من المعسكر الأدنى. وقام حارس أوكراني بمرافقة السجناء الذين يجلبون الماء من البئر، في حين وقف حارس أوكراني آخر على بوابة المجمع. وأيضًا كان الحراس الأوكرانيون الآخرون رابضين بالقرب من عمال المحرقة وفي برجي الحراسة. وكان أحد هذين البرجين يتوسطه مركز الإبادة في حين كان البرج الآخر قريبًا من السور.

وبينما هذه الأنشطة مستمرة حدثت واقعة غير متوقعة أصابت خطة الثورة بالاضطراب ففي حوالي الساعة الثالثة والنصف من مساء يوم الثورة الموعود ظهر الألماني كوتنر Kuttner قائد المعسكر الأدنى في ثكنة السجناء اليهود في الجيتو وكانت منطقة المعيشة والسكن خالية من السكان، حيث إنه لم يكن مسموحًا لأي واحد منهم الظهور هناك خلال ساعات العمل. ولكن الورش كانت تعج بالكثير من العمال السجناء. كان ظهور كوتنر في أي يوم عادي لا يثير شكوك السجناء. ولكن ظهوره في الوقت الذي كانت فيه استعدادات الثورة تجري على قدم وساق كان سببًا في انزعاج أعضاء المقاومة السرية في المحلات والورش انزعاجًا شديدًا.

وقام كوبا كبير أو شيخ الثكنة (٢) بدعوة كوتنر إلى دخول الثكنة. ولم يدر أحد من الحاضرين ما دار بينهما من حديث. ولكن يبدو أن كوبا العميل الذي زرعه النازيون أحس بأن حدثا جللا على وشك الوقوع وأنه أبلغ كوتنر بذلك. وفكر سالزبورج الذي عينته اللجنة المنظمة للمقاومة مرشحًا مسئولاً عن منطقة الجيتو أنه من الأفضل لنجاح الثورة التخلص من كوتنر على الفور والبدء في إشعال نار الثورة في الحال ودون أي تردد حتى وإن أخفق الثوار في الاستيلاء على كل الأسلحة من المخزن وحتى إذا لم يتسلم أعضاء المقاومة في منطقة الورش السلاح اللازم لهم. وأرسل سالزبورج رسولاً إلى كل من جالنفسكي وكورلاند لتبليغهما بما حدث طالبًا منه إرسال رجل مسلح ليقوم باغتيال كوتنر.

وفي نفس الوقت كان كوتنر يتأهب للخروج من الثكنة حين قابل سجينًا شابًا لم يكن من المفترض تواجده هناك خلال ساعات العمل. وقام كوتنر بتفتيش الرجل فوجد بحوزته كمية كبيرة من النقود احتفظ بها لمساعدته على الهروب. وقام كوتنر بضربه وقاده إلى بوابة الجيتو. وخشي سالزبرج وأعضاء المقاومة السرية الآخرون الحاضرون آنذاك أن ينهار هذا السجين تحت وطأة الضرب والتعذيب ويفشي سر الثورة... هذا إذا لم يكن كوبا قد أطلعهم بالفعل على هذا السر. وفي تلك اللحظة عاد الرسول من عند جالفسكي يصحبه عضو في المقاومة السرية اسمه والابانزيك Wallabanczik. وما إن رأى ولابانزيك كوتنر يقتاد السجين نحو البوابة حتى أخرج مسدسه وأطلق على كوتنر الرصاص فخر على الأرض مضرجًا بدمائه.

انطلقت هذه الطلقة التي أردت كوتنر قتيلاً في نحو الرابعة بعد الظهر مشيرة إلى بدء اندلاع الثورة. وأعقبت هذه الطلقة عدة طلقات. وبعد مضي عدة دقائق دوت أصوات انفجار القنابل اليدوية في أنحاء مختلفة من المعسكر. وتصاعدت ألسنة اللهب من عدة مبان ومن مخزن الجازولين.

وهكذا اشتعلت الثورة قبل استيلاء الثوار على كل الأسلحة الموجودة في المخزن. كما أنها اندلعت في نفس الوقت الذي كانت المقاومة توزع الأسلحة التي استولت عليها

على أتباعها. ويتضح من شهادة الناجين من هذا المعسكر أنه يستحيل معرفة عدد قطع السلاح التي نجحت المقاومة في الاستيلاء عليها، أو معرفة الأشخاص الذين وزعت عليهم هذه الأسلحة. ومع ذلك فمن الواضح أن الثوار أفلحوا في الاستيلاء على عشرات القنابل اليدوية وعدد ضئيل من المسدسات والبنادق إلى جانب كمية صغيرة من الذخيرة. ويجدر بالذكر أن معظم الأسلحة التي نجحت المقاومة في الاستيلاء عليها وصلت إلى أيدي الفريق العامل في إعداد وطهي البطاطس والمكلف بالهجوم على قيادة المعسكر وإلى فريق المقاومة العامل في ميدان فرز متعلقات السجناء الشخصية، وهو الفريق الذي يضم كلاً من جالفنسكي وكورلاند. والجدير بالذكر أنه على الرغم من ضخامة عدد أعضاء المقاومة السرية في ورش الجيتو فإنهم لم يتلقوا أي سلاح. ويبدو أيضًا أن الفريق المكلف بمهاجمة ثكنات الأوكرانيين لم يتسلم أية أسلحة.

وفوجئ معظم أعضاء المقاومة المتناثرين في أرجاء المعسكر بالطلقة التي أردت كوتنر قتيلاً وبالطلقات التي أعقبتها، وخاصة لأنهم كانوا يجهلون وجود كوتنر في الجيتو. وبعد هذه الطلقة الأولى فقد قائد الثورة جالفنسكي الاتصال بفرق المقاومة السرية الموجودة على مبعدة من ميدان فرز متعلقات السجناء الشخصية. وتعذر على قيادة المقاومة إصدار أية أوامر لأنها فقدت السيطرة المركزية على الثورة.

وفي ظل غياب أية أوامر صادرة من اللجنة المنظمة للمقاومة وعلى الرغم من التغيير المفاجئ الذي طرأ على ترتيباتها فإن كثيرًا من المجموعات التابعة لحركة المقاومة بدأت عملياتها بالفعل ضد الأهداف المحددة سلفًا. فقد اقترب فريق عمال البطاطس من مقر قيادة المعسكر وألقوا عدة قنابل يدوية عليها. ولكن تفجير هذه القنابل لم يؤد إلى سقوط ضحايا بين رجال الوحدة الخاصة الموجودين في المبنى. وقام روديك لوبرينتسكي Rudek Lubrenitski وزميل له باشعال النار في مخزن الجازولين، الأمر الذي تسبب في عدة انفجارات وإشعال حريق هائل. غير أن الحرس الأوكراني نجح في قتل هذين الثائرين بالرصاص. وأيضًا أطلق فريق ميدان الفرز النار على الأوكرانيين القريبين منهم وباتجاه أبراج الحراسة في محيط السور الجنوبي، ولكن أبراج المراقبة

ردت بفتح نيران أسلحتها الأوتوماتيكية فأصابت وقتلت كثيرين من أفراد هذا الفريق. وقام سجناء منطقة ورش الجيتو بقتل المخبر كوبا وإضرام النار في الورش.

ويصف لنا أحد أعضاء المقاومة السرية المكلف بالتخلص من الحارس الأوكراني الذي يعتلي برج المراقبة المطل على سور المعسكر الشرقي قائلاً:

«عندما سمع الطلقات الأولى في المعسكر الأدنى وأدرك وجود قلاقل قفز إلى الأرض. فجريت نحوه وقلت له: (هيه الروس قادمون)». وانتزعت منه بندقيته فلم يبد أية مقاومة وقلت له: (ابتعد عن هذا المكان) فأطلق ساقيه للريح».

وسرعان ما نفدت كمية الذخيرة والقنابل اليدوية التي كان الثوار يحتفظون بها. وفي وسط الهرج والمرج لم يتنبه الثوار إلى ضرورة قيامهم بقطع أسلاك التليفونات كما كان مخططًا. وبمجرد أن أفاق الألمان والأوكرانيون من وقع الصدمة حتى بدأوا إطلاق النار من الأبراج ومن المواقع الأخرى على المتمردين وغيرهم من السجناء. ولم يفهم مئات السجناء من غير المنضمين إلى صفوف المقاومة السرية ما كان يحدث وسبب انطلاق الرصاص والانفجارات الآتية من كل اتجاه. وما أن شاهدوا ألسنة اللهب تتصاعد وتنتشر بين المباني حتى أصابهم الذعر ولاذوا بالفرار في كل اتجاه. وجرى الكثيرون منهم نحو ثكناتهم. وكذلك اجتمع نحو ثلثمائة يهودي في منطقة الجيتو. وقامت مجموعة كبيرة منهم بتحطيم قضبان ورشة النجارة وجروا باتجاه الشرق وقطعوا الأسلاك الشائكة المحيطة بالجيتو. واتجه بعضهم شرقًا نحو السور الخارجي في حين جرى البعض الآخر باتجاه الجنوب نحو منطقة الإبادة. أما أعضاء المقاومة السرية الذين كان لديهم سلاح وذخيرة فقد استمروا في إطلاق النار بشكل متفرق على الأوكرانيين في أبراج المراقبة والمواقع الأخرى. وأثناء هروب السجناء التقوا ببعض الأوكرانيين الفرادى واستولوا على أسلحتهم. يقول شمويل فيلنبرج Shmuel Wilenberg في هذا الشأن:

«وبمجرد سماع الطلقات النارية جريت إلى الثكنة للإمساك بالجاكتة التي خبأت الذهب فيها للاستفادة منه في هروبي... وأطلق الرصاص علىّ حراس البرج وسُمع

دوي انفجار في المكان أعقبه دوي انفجار ثان ثم انفجار ثالث. وأخذ السجناء يجرون في شتى الاتجاهات. وكانت الفوضى أكبر من أن توصف. وتصاعدت ألسنة اللهب من أحد الأكواخ الخشبية التي جففتها الشمس والرياح. وبين الحشد رأيت عدداً من الألمان المذعورين يجرون حول الميدان ويختبئون وراء الأشجار... وكانت سحب الدخان الأسود تغطي السماء كما سمعت أصوات قرقعة البنادق والمدافع الرشاشة من أبراج المراقبة الستة لترد عليها من جانبنا طلقات متفردة ومتناثرة».

«وانطلقت من برج مجاور نيران مدفع رشاش أصابت هدفها وقضت على الكثيرين في صفوفنا وأصبح الموقف في هذا القطاع بالغ الخطورة. وكان بجواري رجل يمسك بندقية دون أن يطلق النار منها. فقمت بانتزاعها وصوبتها بإمعان وعناية. ثم ضغطت على الزناد ثلاث مرات المرة تلو الأخرى. وشاهدت جسماً غير واضح المعالم يتدلى من حافة البرج على سياجه وبذلك نجحت في إسكات النيران القادمة من ناحيته. ثم بدأ إطلاق النار من جديد. وظللنا نحتمي وراء شجرة تلو الأخرى ونحن نتقدم باتجاه السور... ثم وصلت إلى هذا السور وظلت أسلاكه المقطوعة تتدلى باسترخاء. وتعيَّن علينا الآن الجري عبر منطقة مكشوفة تمتد خمسين متراً باتجاه السلك الشائك التالي والحواجز المضادة للدبابات. وازداد انطلاق النيران من المدفع الرشاش. ووقعت خلفي مجزرة عند السور الخارجي،. وتسلق الرجال الشجعان فوق حديد وأسلاك السور فأصابهم وابل الرصاص وسقطوا مدرجين بدمائهم. وقد تعالت صرخاتهم اليائسة، وتدلت أجسامهم من الأسلاك وهي تنزف وتلطخ الأرض».

«ولم يعرهم أحد أي التفات. وأيضاً تسلق المزيد من السجناء فوق أجساد المصابين التي ظلت تهتز. وتم قطع الأسلاك التي تدلوا منها فسقطوا على الأرض وعيونهم الزائغة تحملق في المعسكر الذي غمرته الآن الأنوار الكاشفة العملاقة... وزحفت على أرض المنطقة المكشوفة حتى وصلت إلى الحواجز. ونظرت حولي وارتفعت الجثث المتراكمة حتى صنعت نوعاً من الجسر يمتد فوق الأسلاك الشائكة استغله الهاربون في فرارهم من المعسكر في كل لحظة. وبعد الحواجز ظهرت الغابة والنجاة والحرية في الأفق.

وبقفزة واحدة تسلقت الجسر المكون من أجساد الموتى والمصابين وسمعت صوت طلقة رصاص وشعرت بأني تلقيت ضربة. ولكني تمكنت بقفزة أخرى أن أجد نفسي في الغابة. ورأيت أمامي وإلى جواري ومن ورائي رجالاً يطلقون سيقانهم للريح».

«وفي منطقة الإبادة جاءت طلقة نار من المعسكر السفلي قبل الساعة الرابعة بعد الظهر بدقائق. وسرعان ما سمعت طلقات نار أخرى إلى جانب انفجار عدد من القنابل اليدوية».

وبعد الطلقة الأولى (التي صوبت إلى كوتنر) تردد زيالو بلوخ وظن أنه تم تقديم ساعة الصفر بنصف ساعة. ولكنه بعد سماعه المزيد من الطلقات والانفجارات قرر البدء في الانخراط في العمليات الثورية وقام بإرسال أحد حملة الماء إلى مجمع السجناء ليصيح فيهم (الثورة في برلين). وهي الإشارة التي اتفقت عليها المقاومة لبدء التمرد. ومن ناحيته قام زيالو بلوخ وزملاؤه القريبون من الحارس الأوكراني انتزاع بندقيته وألقوا به في البئر. وصوب بلوخ البندقية نحو الحارس القابع في برج للحراسة فرد على هذا الهجوم بإطلاق النار. وأيضًا قام السجناء القريبون من الثكنات والمسلحون فقط بالجواريف وشوكات رفع الحشائش باقتحام بوابة المجمع وقتلوا الحارس الأوكراني وأخذوا منه سلاحه. كما اقتحم عدد كبير من أفراد المقاومة السرية غرفة الحارس واستولوا على ما فيها من سلاح. ونجح الثوار في إصابة الحارس الأوكراني الموجود في برج المراقبة. وأيضًا قام السجناء العاملون في المحرقة بالإجهاز على حارسهم الأوكراني.

وحقيقة الأمر أن الثوار نجحوا في السيطرة الكاملة على منطقة الإبادة. ثم قاموا بإشعال النار في العديد من المباني الخشبية. وأثناء تبادل إطلاق النار توجه معظم السجناء نحو السور الجنوبي القريب من ثكناتهم وقاموا بهدمه بالمعاول وألقوا البطانيات على السور المكهرب ثم بدأوا يهربون من المعسكر. وفي طريقهم إلى السور الثاني المشتمل على عوائق مضادة للدبابات تشابكت مع أسلاكه أطلقت أبراج المقاومة الرصاص عليهم باتجاه الجانب الجنوبي من المعسكر. وفي نفس الوقت وصلت مجموعات

من السجناء القادمة من المعسكر الأدنى وهي تجري لاهثة وتلوذ بالفرار من منطقة الجيتو وتجتاز بوابة الدخول إلى منطقة الإبادة. وهكذا تمكنوا من الانضمام إلى السجناء الهاربين في منطقة الإبادة. وأصاب رصاص الحرس الأوكراني كثيراً من السجناء الذين اشتبكت ملابسهم بأسلاك السور الثاني الشائكة. ويصف لنا جيرزي راجرودزكي Jerzy Rajgrodzki عملية هروبهم بقوله:

«اجتمعت مجموعة كبيرة من السجناء في الميدان أمام المجمع حيث كان طابور النداء على الأسماء يصطف في العادة. وكان القليلون منهم يحملون البنادق. وانتظرنا قدوم عدد آخر من السجناء حيث إن الكثيرين منهم اضطروا إلى الجري إلى الثكنة لاستعادة ثيابهم التي أعدوها لأخذها معهم. وعندما نظرت خلفي رأيت أن العديدين منهم ظلوا واقفين بجوار الثكنات. ولست أعرف عن مصيرهم شيئًا. وقمنا باجتياز السور في اتجاه الجنوب. وسمعنا أزيز طلقات الرصاص وهي تمر فوق رؤوسنا. وكان الحارس الموجود في برج المراقبة يطلق وابلاً من الرصاص من مدفعه الرشاش. وانبطح السجناء الذين يجرون على الأرض. وشاهدت على يميني السجناء الهاربين من المعسكر الأدنى عبر مساحة يمتد طولها إلى نحو كيلو متر. وأستطيع تقدير إجمالي عدد الهاربين بنحو ستمائة جاء معظمهم من المعسكر الأدنى. ولاذوا بالهرب إلى الجنوب عبر ميدان فرز متعلقات السجناء الشخصية وهم متسلحون بالعصي الغليظة والسكاكين وشوكات رفع الحشائش. ولكن قلة منهم كانت مسلحة بالبنادق».

واستمر زيالو بلوخ وأدولف فريدمان وآخرون في إطلاق النار من بنادقهم كي يتمكنوا من الهروب وسقط بعضهم صرعى ونفدت الذخيرة لدى البعض الآخر.

ولم يقيض لخطة الثورة في منطقة الإبادة أن تنفذ بالكامل. ورغم ذلك فإنها نجحت في تحقيق الكثير من أهدافها. ورغم تقديم ساعة الصفر فقد بادر الثوار بسرعة التصرف ونجحوا في الإجهاز على الحراس الأوكرانيين القريبين وتجريدهم من سلاحهم وإطلاق النار على الحراس من أبراج المقاومة وإشعال النار في عدد من المباني. غير أنهم لم يتمكنوا من تدمير غرف الغاز أو القضاء على جميع حراس أبراج المقاومة،

الأمر الذي أدى إلى مقتل عدد كبير من الضحايا أثناء محاولتهم الهروب عن طريق اجتياز الأسوار. ورغم ذلك فالجدير بالذكر أن معظم السجناء في منطقة الإبادة نجحوا في اجتياز مجمع الأسوار والهرب منه. ويصف ستانجل قائد معسكر تريبلينكا ما حدث بقوله:

«استطعت وأنا انظر من نافذتي أن أرى بعض اليهود على الجانب الآخر من السور الداخلي. ولا بد أنهم قفزوا عليه من فوق أسطح مساكن رجال الوحدة الخاصة وأنهم كانوا أثناء ذلك يطلقون الرصاص».

«وفي مثل هذه الحال اقتضى مني واجبي الأول تبليغ شرطة رئيس شرطة الأمن الخارجي. وبمجرد أن فعلت هذا شاهدت محطة وقودنا تنسف وتنفجر. وتلا ذلك احتراق معسكر الجيتو بأكمله. وعندئذ حضر ماتيس Matthes المسئول الألماني لاهثا وهو يقول إنه رأي كل شيء يحترق أيضاً في المنطقة التي جاء منها».

وعلى أية حال كانت الخسائر البشرية بين الألمان والأوكرانيين في أضيق الحدود لأن الثورة لم تتمكن من تنفيذ المرحلة الثانية منها المتمثلة في الهجوم عليهم والاستيلاء على المعسكر. أما السبب الآخر فيتمثل في قلة الذخيرة والسلاح الذي تمكنت المقاومة السرية من الاستيلاء عليه.

ويتضح لنا من الوثائق المتوفرة أن عدد الضحايا بين قوات شرطة المعسكر لم تزد عن جريح ألماني واحد وهو كوتنر، بالإضافة إلى خمسة أو ستة أوكرانيين ما بين قتيل وجريح. والجدير بالذكر أنه لم تنشر أية تقارير ألمانية رسمية عن الثورة التي اندلعت في معسكر تريبلينكا أو عدد ضحاياها من الألمان والأوكرانيين. وفي الفترة الأخيرة من بعد ظهر اليوم الذي نشبت فيه الثورة فقدت هذه الثورة قدرتها على التنظيم والتنسيق. ولكنها رغم ذلك استمرت بدونهما. وهكذا استمر مئات السجناء فرادى وفي مجموعات صغيرة في اجتياز الأسوار والهرب. كما استمرت النار تشتعل في المعسكر.

وبعد هروب معظم السجناء من خلال الأسوار بوقت قصير تحت وابل من النيران التي أطلقها حرس المعسكر نجحت قياة هذا المعسكر في تنظيم قوة من الأوكرانيين وبعض رجال الوحدة الخاصة الذين أخذوا في مطاردة الفارين. وفي نفس الوقت تم تنبيه قوات الأمن الألماني المرابطة في المنطقة المجاورة.

ووصلت التعزيزات القادمة إلى منطقة تريبلينكا على وجه السرعة، كما سمع دوي الرصاصات وانفجارات القنابل اليدوية. وكان من السهل على الموجودين في معسكر العقاب في تريبلينكا والمواقع الأخرى في المنطقة أن يسمعوا دوي الرصاص وانفجارات القنابل اليدوية وأن يشاهدوا الدخان وألسنة اللهب المتصاعدة من المعسكر. وبطبيعة الحال أوضحت مكالمة ستانجل التليفونية طبيعة ما جرى. جاءت التعزيزات الأولى من معسكر العقاب في تريبلينكا. وسارع العشرون ألمانيا وأوكرانيًا الذين سبحوا مع كيرت فرانز في مياه نهر البوج بالعودة إلى المعسكر على الفور. يقول مهندس بولندي من مالكينيا يعمل على خطوط السكة الحديد في هذا الشأن:

«فجأة سمع صوت طلقات آتية من منطقة مجاورة لمعسكر تريبلينكا. واتجه جميع الألمان القادمون من مالكينيا لمساعدة قوة المعسكر على ظهر سيارات وقطار خاص وهم مسلحون بالبنادق والمسدسات. ولم يكونوا من الجندرمة فقط بل أيضًا من الجستابو والشرطة. وكذلك من عمال السكة الحديد الألمان البسطاء. وفيما بعد ظهر الخيالة الأوكرانيون في الحقول المحيطة بالمعسكر بحثًا عن الهاربين».

وقد جاءت القوات من مالكينيا وسوكولوف بودلاسكي Sokolow-Podlaski وكوسوف لاسكي Kosov-Laski وأوستروف مازفيكي Ostrov-Mazowiecki، وهي تضم الجندرمة وحرس السكة الحديد والأوكرانيين. واستدعى رجال المطافئ في مالكينيا لإخماد الحريق الذي اندلع في كل أرجاء المعسكر. وبلغ إجمالي عدد أفراد القوة التي أخذت تقتفي أثر الهاربين مئات الأشخاص قام بعضهم بتطويق المنطقة برمتها على امتداد عدة كيلومترات لقطع الطريق على الهاربين. ويصف ستانجل هذه المطاردة بقوله:

•

«قامت قوات الشرطة بتطويق المعسكر على مسافة خمسة كيلومترات. وبطبيعة الحال تمكنت من إلقاء القبض على معظم الهاربين.. وأطلقت هذه القوات النار عليهم. وقرب حلول فترة ما بعد الظهيرة بدأت أعداد الضحايا تصل إلينا. ونحو الساعة الخامسة أو السادسة بدا أنهم ألقوا القبض على أربعين هاربًا إضافيًا».

ويرى الدارسون أن شهادة ستانجل يجانبها الصواب حيث إن بعض السجناء استطاعوا رغم الحصار اللوذ بالفرار من المعسكر ومن القوة التي تتعقبهم.

وكان هدف السجناء الهاربين المباشر والملح هو السعي إلى الابتعاد عن معسكر تريبلينكا قدر المستطاع. وفي بادئ الأمر هرب السجناء جماعات وزرافات ما لبثت أن تناثرت وتقلص حجمها كلما جرت وابتعدت عن المعسكر. وساعدت لياقة بعض السجناء البدنية على الجري السريع دون توقف. في حين خارت بالتدرج قوى البعض الآخر، كما انهار عدد منهم من شدة الإجهاد والتعب. ويصف لنا راجوودزكي Rajgrodzki الموقف قائلاً:

«جرينا في حقول القمح. وكانت الشمس تغيب في الغرب. ورأينا على يسارنا بيوتا ريفية وطرقًا قذرة. وشاهدت حارسًا أوكرانيًا يمتطي صهوة جواده القافز. ومر المزارعون بخطى منهكة. وبدأ الآخرون يلحقون بي. واستجمعت كل قوتي حتى لا أسقط. وجرى آخرون بالقرب مني ورأيت أناسًا لا أعرفهم جاءوا من المعسكر الأدنى. كنت أعرف كل رفاقي. ورأيت بجواري شابًا وحبيبته يعدوان. كانت فتاة سمراء ترافق حبيبها. وأمسكت بيدي عصا غليظًا وموسى حلاقة كنت على أتم استعداد لاستخدامها ضد أي إنسان، بل كنت على استعداد لاستعمالهما ضد نفسي إذا لزم الأمر. واستمرينا في الجري قرابة ساعتين حتى بلغنا الغابة. ورأيت على يساري مجموعة كبيرة من الفارين قالوا إنهم سوف يسيرون باتجاه الشرق نحو بويززا بتالوميسكا Puszcza Bitalomiezska. وتوقفنا كي نلتقط أنفاسنا ونأخذ قسطًا من الراحة في الغابة.

«كنا ثمانية أشخاص وكان الترزي مواشيل Moishele معنا ويحمل بندقيته الخالية من طلقات الرصاص وكان قد أصيب بجرح قريب من قلبه. وأخرجت من حقيبتي التي أحملها على ظهري قميصًا مزقتة لاستخدامه كضمادة وقام آخر بتضميد جرح موشيل. ولكنه ظل ينزف. وبعد برهة فقد وعيه ومات. وتمنيت لروحه أن تنعم بالسلام. وقام أحدنا وهو شاويش سائق في الجيش البولندي اسمه أداس Adas بالاستيلاء على بندقيته. وتشاورنا في وقت لاحق. وقرر معظم الرفاق أن يسيروا باتجاه الشرق، وهو الاتجاه الذي سلكه معظم الفارين. ولكني وأداس قررنا الاتجاه نحو الجنوب. وتعيَّن على أي إنسان يتجه شمالاً أو شرقًا عبور نهر البوج وهو أمر عسير. وأيضًا كنا على قناعة بأن مطاردة الألمان الأساسية للهاربين سوف تكون باتجاه الشمال أو الشرق. وأيضًا فضلنا ألا تزيد أية مجموعة هاربة على رجلين».

«قررنا أن نسير تحت جنح الظلام. وكان لزامًا علينا تغيير أحد المسالك. وعن بعد أمكننا أن نرى عربات تسير باتجاه المعسكر. ورقدنا بالقرب من الطريق حتى مرت القافلة. كنا جوعى وقررنا أن ندخل بيتا في مزرعة قريبة واقتربنا منه. ولكن زميلي وقف بعيدًا عن البيت وهو على أهبة الاستعداد للضغط على زناد بندقيته، في حين قمت أنا بالقرع على الباب. وفُتح الباب فشاهدنا رجلاً عجوزًا وامرأة وطفلاً. طلبنا منهم أن يعطونا خبزًا فأجابونا إلى طلبنا. وبينما نحن ماضين في طريقنا التقينا يهودا هاربين من المعسكر يأتون من الاتجاه المعاكس. ومع انبلاج الفجر وقفنا في الغابة. وهناك أمضينا اليوم مختبئين بين الشجيرات. كنا على بعد نحو اثني عشر كيلو مترًا من المعسكر وسمعنا صرخات جاءت من بعيد. لا بد أنها كانت صرخات اليهود الذين ألقى الألمان القبض عليهم. وولى النهار. ومع هبوط الليل استأنفنا مسيرتنا. وبعد السير لعدة أيام اقتربنا من سيدلك Siedlce ثم وصلنا أخيرًا إلى وارسو».

ويصف لنا يشييل رايخمان Yechiel Reichmen مصير فريق آخر من الهاربين قائلاً:

«كان القتلة يطاردوننا بنيران مدافعهم الرشاشة. وفي نفس الوقت كانت إحدى العربات تقتفي أثرنا وانطلقت من سطح هذه المركبة نيران مدفع رشاش. وسقط الكثيرون منا صرعى.

وتناثرت جثث موتانا في كل مكان. وجريت إلى الشمال في حين ظلت المركبة على الطريق تطلق نيرانها. كانوا يطاردوننا من كل جانب. وبعد أن جرينا مسافة ثلاثة كيلومترات وصلنا إلى خميلة تتكون من أشجار باسقة وقررنا أن استمرارنا في الجرى عديم الجدوى واحتمينا وراء الأشجار الكثيفة. كان عددنا نحو عشرين شخصاً وهو عدد كبير لا يمكنه الاختباء. ولهذا قسمنا أنفسنا إلى مجموعتين كل منهما يتكون من عشرة أشخاص. واختبأت كل مجموعة على بعد مائة وخمسين متراً من الأخرى.

«وبعد برهة قصيرة شاهدنا الأوكرانيين بقيادة عدد ضئيل من رجال الوحدة الخاصة يحيطون بالخميلة ثم يدخلونها ليكتشفوا مخبأ المجموعة الأخرى ويجهزون عليها عن بكرة أبيها. ورقدنا على الأرض دون أن ننبس بنت شفة. وحالفنا الحظ لأنهم لم يكتشفوا وجودنا. وفي نهاية الأمر غادروا الخميلة.وظللنا نسير طيلة الليل. وفي الفجر دخلنا غابة واسعة بقينا فيها طول النهار. كنا جياعًا ومنهكين. ثم غادرنا الغابة في الليلة التالية وظللنا نمشي. كان السير في هذه الغابة سهلاً وميسراً. وفجأة اكتشفنا أننا لا نزال على مسافة قريبة من معسكر تريبلينكا. ولا غرو فقد ضللنا الطريق. واتضح لنا أننا رجعنا إلى نفس الغابة التي جئنا منها».

وبعد مرور ثلاثة أيام من الجوع والانهاك قررنا المجازفة بدخول بيت المزرعة وطلب قليل من الطعام والسؤال عن تفاصيل اتجاهات المكان الذي بلغناه. وقام المزارع بفتح الباب ولكنه رفض السماح لنا بالدخول. وأخبرنا بأن الألمان يصلون في سياراتهم طوال النهار ويجِدّون في البحث عنا، كما أن عمدة القرية وعدهم بإعطاء جائزة كبيرة لكُلّ مزارع يسلم يهوديًا إلى الجندرمة. وأعطانا المزارع خبزًا وقليلاً من اللبن وطلب منا أن ندفع الثمن ذهبًا وأمهلنا ساعتين. واتضح لنا أننا كنا على بعد خمسة عشر كيلومترًا من معسكر تريبلينكا».

ويمكن القول إن جميع زعماء المقاومة السرية واللجان المنظمة للمقاومة في المعسكر الأدنى ومنطقة الإبادة هلكوا أثناء نشوب الثورة أو الهرب من المعسكر. وتمكن جالفسكي من الهروب من المعسكر. ولكنه توفى أثناء المطاردة التي أعقبت هروبه.

وقد كتب ماريان بلاتكسيرفنز Marian Platkcirewicz أن جالفسكي بمجرد وصوله إلى الغابة أخذ يزحف على الأرض بين هارب وآخر لحثهم على الهروب أثناء الليل من الألمان الذين يحاصرونهم لأنهم سوف يقتلونهم جميعًا إذا طلع النهار عليهم. فالظلام يوفر لهم على الأقل فرصة ضئيلة للهرب. ويروي سجين آخر يرافق جاليفسكي أثناء هربه تحت جنح الظلام أنه (أي جاليفسكي) سقط على الأرض عاجزًا عن المشي بعد أن تمكن منه لبضعة كيلومترات قليلة وأنه أخرج قنينة سم من جيبه وابتلع محتوياتها فمات على الفور.

وتبين الشهادة الوحيدة المتوفرة عن وفاة زيالو بلوخ إنه شوهد لآخر مرة إبان الثورة جالسًا على ركبته ويطلق النار على الحرس الأوكراني. غير أن كيفية موت زعماء المقاومة الآخرين لا تزال مجهولة.

ومن بين ما يقرب من ٨٥٠ سجينًا تم القبض في ذلك اليوم على مائة منهم وهم أحياء داخل المعسكر دون أن يحاولوا الهروب أو حاولوه ولكنهم فشلوا. وكان بعضهم مريضًا وضعيفًا لا يقوى على الهرب. فضلاً عن أن بعض السجناء لم يروا أية جدوى من الهرب فآثروا عدم مغادرة المعسكر.

وتم قتل عدد كبير من المتمردين داخل المعسكر أو بالقرب من الأسوار يقدر عددهم بنحو ٣٥٠ أو ٤٠٠ شخص وهم يشكلون تقريبًا نصف المشتركين في الثورة والهاربين من المعسكر. وقد انتهى أمر معظمهم بالقتل خلال اليوم الأول من الثورة عندما قام الألمان والأوكرانيون بسد الطريق على الهاربين وتمشيط المنطقة الريفية وقتل كل هارب صادفوه في طريقهم. وبذلك تبقى من السجناء الهاربين نحو مائتي شخص قدر لهم النجاة من الموت خلال الأربعة وعشرين ساعة الأولى من الثورة. ولكن الألمان نجحوا في القبض على نصفهم أثناء قيامهم بعمليات تمشيط أوسع استمرت أيامًا وشملت الغابات والقرى وبلغ محيطها حول المعسكر عشرات الكيلومرات. والجدير بالذكر أن بعض هؤلاء السجناء الهاربين لقوا حتفهم على أيدي الفلاحين المحليين. كما أن هؤلاء الفلاحين لم يتورعوا عن تسليمهم إلى النازيين. ورغم هذا فيمكننا القول إن نحو مائة

سجين هارب نجحوا في الفكاك من منطقة معسكر تريبلينكا والتناثر في أرجاء الأراضي البولندية المحتلة أو حتى خارج حدود بولندا.

ويجرنا هذا إلى الحديث عن مواقف الأهالي المحليين المتفاوتة من السجناء اليهود الهاربين. كان سوادهم الأعظم في المناطق المحيطة بمعسكري تريبلينكا وصوبيبور من البولنديين. إلى جانب بعض القرى الأوكرانية والروسية البيضاء التي تقع أساسًا إلى الشرق من هذين المعسكرين. وكان السجناء الهاربون في مسيس الحاجة إلى الحصول على الطعام والمعلومات عن المناطق المحيطة بهم وعن أنشطة البوليس المحلي وقوات الأمن الألمانية. وبطبيعة الحال كان السجناء الهاربون في أشد الحاجة إلى إيواء مؤقت وأماكن اختباء لفترات طويلة. وكان اليهود الذين يرغبون في الاتصال بزملائهم في المقاومة يعتمدون على مدى استعداد الأهالي المحليين لمساعدتهم.

كانت مصائر الهاربين رهنا بمشيئة الفلاحين الذين تصادف التقاؤهم بهم أثناء الهروب إلى الحقول والغابات أو أثناء مرورهم على منازلهم، فالفلاحون هم الذين يقررون تسليم الهاربين إلى الألمان أو استخدام العنف معهم قبل تسليمهم أو الإجهاز عليهم بأنفسهم. ولدفع الأهالي إلى التبليغ عن الهاربين هددهم الألمان عن طريق رؤساء القرى بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا أقدم واحد منهم على تقديم المساعدة إلى اليهود الفارين، كما أنهم أعلنوا في نفس الوقت عن إعطاء مكافأة خاصة تشمل السكر وشراب الفودكا لكل من يقبض على يهودي ويسلمه إلى السلطات الألمانية أو يتطوع بالتبليغ عن مكان اختفائه. أضف إلى ذلك أن كثيرًا من أهالي بولندا كانوا يضمرون الكراهية والبغضاء ضد اليهود، أي أنهم لم يكونوا بحاجة إلى الدعاية النازية المسمومة كي يحملوا الموجدة لبني إسرائيل.

وتعكس هذا صحيفة «الشعب» التي أصدرتها حركة المقاومة البولندية السرية (وهي صحيفة أصدرتها جماعة من المثقفين الليبراليين في حكومة المنفى البولندية التي اتخذت من العاصمة البريطانية لندن مقرًا لها) في عددها الصادر يوم ١٥ أغسطس ١٩٤٢. وبينما طرد اليهود من وارسو إلى تريبلينكا يجري على قدم وساق نشرت هذه الصحيفة

السرية مقالاً طويلاً بعنوان «مجزرة اليهود»، ويتضمن هذا المقال انتقاداً للعلاقة بين المواطنين البولنديين واليهود الذين يعيشون بين ظهرانيهم.. ويشبِّه المقال هؤلاء اليهود الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار بالألمان النازيين الذين يؤمنون بالعنصرية الجرمانية ويعتبرون ألمانيا فوق الجميع. وأيضًا اتهم المقال المذكور اليهود باختراق المجتمع البولندي في الفترة بين نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية وبتدنيسه عن طريق تهويده. فضلاً عن خيانتهم لبولندا عندما قام الاتحاد السوفيتي بالهجوم عليها في سبتمبر ١٩٣٩. وبوجه عام اتهم المقال اليهود بكراهية بولندا. وفيما يلي ما انتهى إليه المقال:

«وإذا استمر هذا الوضع على ما هو عليه فلن يمر وقت طويل حتى تودع وارسو آخر يهودي يعيش على أرضها. ولو كان يمكن إقامة جنازة (لليهود) فإن ردود فعل البولنديين سوف تكون مثيرة للاهتمام. هل يتم توديع النعش الوداع الأخير بالأسى والعبرات أو بالمباهج والأفراح؟!. لقد درج الغرباء الأعداء لمئات الأعوام على العيش في الحي الشمالي وهو الحي الذي يسكنه يهود وارسو. وهم غرباء وأعداء لمصالحنا وعقليتنا وأفئدتنا. دعنا نكف عن إظهار المشاعر الزائفة خلافًا لما يحدث في الجنازات حيث نرى الندابات والندابين يحترفون النواح. ولنكن جادين وشرفاء.. إننا نشعر بالأسى لما يحدث لليهود كأفراد. ودعنا نقدم قدر المستطاع المساعدة لليهود الشاردين أو المختبئين دون أن نحاول افتعال الحزن والأسف على شعب يحتضر لم نكن نحبه. ولا بد لنا أن نكون جادين وشرفاء في مواجهة تنفيذ الأحكام التي أصدرها عليهم التاريخ».

ويتضح من المقال السالف الذكر أنه يذهب إلى أن تخلص بولندا من العناصر اليهودية الخائنة والعدائية يصب في صالحها. واللافت للنظر أن الذين تبنوا هذا الرأي لم يكونوا من المعادين للسامية بل من العناصر المثقفة التي تدين بالليبرالية والسماحة الفكرية. فلا غرو إذا كانت المساعدات التي قدمها أهالي بولندا إلى اليهود الفارين من معسكر تريبلينكا محدودة. ولا غرو أيضًا إذا رأينا كثيراً من البولنديون يبتزون أموال

اليهود وذهبهم لقاء ما يقدمون إليهم من خدمات ومساعدات. بل إن كثيراً من البولنديين استغلوا محنة اليهود واستولوا على أعمالهم ومنازلهم وممتلكاتهم بمجرد أن ألقى النازيون القبض عليهم وأرسلوهم إلى معسكرات الإبادة. فضلاً عن أن بعض البولنديين قاموا بقتل عدد من اليهود طمعًا في الاستيلاء على أموالهم وذهبهم.

غير أن بعض اليهود الهاربين نجحوا في الوصول إلى وراسو وفي الحصول على بطاقات هوية ألمانية مزورة وذابوا في بوتقة السكان المحليين. فقد تمكن فييرنيك بعد هروبه من معسكر تريبلينكا من الوصول إلى وراسو حيث ظل على قيد الحياة بمساعدة اللجنة القومية اليهودية. وهي تنظيم سري للمقاومة كان يعمل هناك. وأيضًا استطاعت هانيل سالوميا Hanel Solomea - وهي فتاة لها ملامح آرية - الهرب من معسكر صوبيبور والوصول إلى كراكو حيث ادعت أنها مسيحية ووجدت ملاذًا آمنا لدى منظمة المرأة الكاثوليكية. وأيضًا تمكن يهوديان تشيكوسلوفاكيان هما ريتشارد جلاذر Richard Glazer وكارل أورجر Karl Urger من الوصول إلى الأراضي التشيكوسلافيكية والحصول على بطاقات هوية ألمانية ساعدتهما على العمل داخل الأراضي الألمانية كعمالة أجنبية.

وهناك من اليهود الهاربين من آثر أن يهيم على وجهه في الغابات والأرياف البولندية، أملاً في أن تمتد به الحياة حتى يجئ يوم التحرير. يقول إبراهام جولد فارب Abraham Goldfarb الذي كان أحد الهاربين من معسكر تريبلينكا ما يلي:

«سرنا باتجاه سوكولوف بودلاسكي Sokolow Podlaski، واقتربنا من أحد المزارعين وطلبنا منه شيئًا من الطعام، فقام هذا المزارع بتبليغ الشرطة عنا. وجاء الجندرمة على الفور. وجرينا في جميع الاتجاهات. ووصلت إلى الغابة المعرفة باسم بوسزيزا ستيروينسكا Puszcza Steroynska. وذات مرة قابلت مزارعًا في الغابات وطلبت منه أن يعطيني شيئًا من الطعام فطلب مني أن أجمع له نبات عيش الغراب (المشروم) وأخبرني بأنه ذاهب في تلك الأثناء ليحضر لي طعامًا. وبعد وقت قصير عاد برفقة مزارع آخر. وأمسكني الرجلان وأوثقا يديّ وطلبا مني أن أعطيهما مالاً وذهبًا

واستلا سكينتيهما وهدداني بطعني بهما إذا امتنعت عن الكشف عن المكان الذي أخفي فيه النقود. وأجبت بأني سجين المعسكر ولا أملك أية نقود. وقاما بفك وثاقي ولكنهما ربطا حزاماً حول رقبتي وأخبراني بأنهما سوف يقتداني إلى رئيس القرية. وفي الطريق ضربوني بعصا وبدأت أنزف دماً. واعتقدت أنهم سوف يقتلونني. وفي نفس الوقت وصل ثلاثة مزارعون واقتادوني إلى غابة حيث استل واحد منهم سكيناً وهددني بأن من صالحي إعطاءهم كل ما أملك من مال لأنهم سوف يطعنونني حتى الموت في حالة امتناعي عن ذلك. فضلاً عن تحذيرهم لي من مغبة مغادرة الغابة لأن رفاقهم منتشرون في كل مكان وسوف يقبضون عليَّ. وأمهلوني حتى الصباح التالي كي أحضر لهم المال الذي أخبئه. وجريت من الغابة وتوقفت عند بيت منعزل بالقرب من الغابة. وترفق بي سكان هذا البيت وأعطوني طعاماً وملابس. ونصحوني بالابتعاد عن هذا المكان... فقد كانت هناك في بوزيزكا ستيرونيسكا **Puszca Steroynska** جماعات من المقاومة البولندية السرية المعروفة باسم جيش الوطن **Armia Krajowa** التي لم تتورع عن سفك دم اليهود بكل وحشية. وهناك شهادات مماثلة لعدد من اليهود الناجين من الموت مثل شهادة كالمان تايجمان **Kalman Taigman** القادم من تريبلينكا، وهي شهادة جاء فيها أن جيش الوطن التقى به وبأصدقائه في الغابة فأطلق الرصاص عليهم.

وفي الواقع لقى الكثيرون من السجناء الهاربين حتفهم في الغابات على يد قوات الأمن الألمانية والجماعات البولندية السرية الفاشية واليمينية المتطرفة والعصابات الإجرامية والخارجة عن القانون. ولم يلتحق بجيش الشعب **Armia Ludowa**، وهو جزء من القاعدة اليسارية في حركة المقاومة البولندية السرية سوى قلة من اليهود.

ولم تتوفر لدى اليهود الهاربين من معسكري تريبلينكا وصوبيبور أية فرصة على الإطلاق للعثور على مخبأ آمن يحتمون فيه من الألمان. ولكن الهاربين قبل اندلاع الثورة وخاصة في عام ١٩٤٢ كانوا أسعد حظاً حيث إنهم تمكنوا من العودة إلى الجيتو واللجوء إليه ولو بصفة مؤقتة.

وبوجه عام يمكن القول بأن السكان المحليين لم يقدموا أية مساعدة للهاربين باستثناء حالات قليلة. ومع ذلك فلا مناص من الاعتراف بأن الفضل يرجع إلى السكان المحليين في إنقاذ حياة بعض اليهود الفارين ليشاهدوا في حياتهم تحرير معسكرات الاعتقال على يد قوات الحلفاء.

ويلقي دوف فريبرج Dov Freiberg – وهو أحد الهاربين من معسكر صوبيبور – الضوء على الموقف الصعب الذي واجهه الهاربون من المعتقلات النازية في ألمانيا:

«إن حياتنا لم تنته على يد الألمان وحدهم. فقد أجهز علينا أيضًا البولنديون والأوكرانيون والوطنيون وخاصة الوطنيون المنتمون لجيش الوطن إلى جانب العصابات الإجرامية والمزارعون... وفكرنا في الانتحار أكثر من مرة بعد أن رأينا العالم كله يناصبنا العداء. ولكن كان هناك بولنديون وأوكرانيون طيبون قلائل ساعدونا وجازفوا بحياتهم من أجلنا وهم يتوجسون شرًا من جيرانهم ومن كل عابر سبيل ومن كل صبي قد يعن له التبليغ عنهم».

طريقة إبادة اليهود في معسكر تريبلينكا

درج النازيون على التخطيط الدقيق لترحيل أفواج السجناء إلى معسكرات الإبادة. وكان ترحيلهم في العادة يتم عن طريق السكة الحديدية. وأحيانا عن طريق اللوريات والعربات التي تجرها الدواب. وكان معظم هذه الأفواج يصل من الجيتو اليهودي وخاصة من وارسو سزستوخوفا Czestochowa وبيالستوك وكييلك Kielec في حين جاءت بعض الأفواج الأخرى من ألمانيا ومختلف أنحاء أوروبا. وكان ترحيل اليهود البولنديين يتم في عربات المواشي فقط. في حين كان اليهود القادمون من غرب أوروبا يُنقَلون في عربات ركاب فخمة. وقد رأى يهود بولندا الذين يعيشون في أغلب الأحيان على بعد مئات بل آلاف الكيلومترات من الحكومة العامة أنه من الأفضل لهم مغادرة الأراضي البولندية برمتها حتى يتحاشوا المخاطر الناجمة عن مقت وعداوة البولنديين لهم.

والجدير بالذكر أن معسكرات الإبادة النازية عملت جاهدة على إخفاء مواقعها كما حرصت على توخي السرية حول أنشطتها وممارساتها. ولهذا لم يكن من السهل على كثير من سكان أوروبا الغربية تصديق الأخبار الواردة عن إبادة الشعب اليهودي في بولندا. وقد نجح عدد لا بأس به من اليهود في الهرب بجلدهم من بولندا إلى جهات غير معلومة. واشترى هؤلاء اليهود المهاجرون تذاكر سفرهم وتعمدوا إبرازها إلى كومساري القطار قبل الركوب فيه. وبعد تأكد الكومساري من سلامة هذه التذاكر وجَّه أصحابها إلى العربة الصحيحة التي ينبغي عليهم ركوبها. وأيضًا بادر العاملون في محطة السكة الحديد إلى مساعدة الركاب اليهود في حمل حقائبهم. وكانت القطارات المخصصة لنقل اليهود القادمين من غرب أوروبا تحتوي على عربات طعام وعربات نوم. وأظهر الكومسارية والخدم عناية شديدة بهؤلاء الركاب. وعندما توقف القطار في إحدى

المحطات سمحوا للركاب اليهود بالنزول والتوجه إلى بوفيه المحطة أو التريض وتليين مفاصل أرجلهم سيراً على الرصيف. وباختصار لم يأل العاملون في السكة الحديد جهداً في خدمة الركاب اليهود الغربيين والسهر على راحتهم. ولهذا كان من الطبيعي ألا يتوجس هؤلاء المسافرون شراً من أي شيء سوى من بعض العلامات الغامضة المكتوبة بالطباشير على جانبي القطار. هي علامات تبين عدد ركاب كل عربة.

كان اليهود البولنديون يرحَّلون في ظروف شديدة التباين والاختلاف. وبادئ ذي بدء كان يتم جمعهم في ميدان الجيتو الرئيسي. ثم يتم إحصاء عددهم ويسيرون باتجاه أقرب محطة سكة حديد حيث كان القطار الذي ينقلهم في انتظارهم. وكان القطار يحتوي على عربات مواشي فقط وعربتين أخرتين مغطاتين بالمشمع. كما كانت أرضيات العربات مغطاة بمادة جيرية. الأمر الذي جعل جوها خانقاً. ولم تكن سعة العربات واحدة فقد تراوحت بين ١٢٠ راكبًا و ٢٠٠ راكبًا، كما تراوحت أعداد العربات بين ٣٩ و٦٠ عربة. وكان في كل عربة نافذة لها قضبان وتحيط بها الأسلاك الشائكة. وكان المنفذ الوحيد لدخول الهواء النقي والتخفيف من وطأة الجو الخانق يتمثل في هذه النافذة. وأيضًا كان باب العربة يوصد من الخارج. وبعد إغلاق العربات يقوم عمال السكة الحديد والألمان وضباط وحدة البوليس الخاصة بوضع علامة على جانبي كل عربة تبين عدد الركاب بداخلها. وكان هناك تقرير عن كل قطار يتضمن كافة المعلومات المتعلقة بالفوج المرحَّل. وكان ناظر محطة القيام مسئولاً عن إعداد هذا التقرير. وطبقًا لما يذهب إليه فراسيزيك زابكي Fraciszek Zabecki تضمن كل تقرير خانة فارغة تنتظر ملئها خاصة بجهة وصول القطار. والغريب أننا لا نجد ناظرًا واحدًا في أي من المحطات التي توقفت فيها القطارات المتجهة إلى تريبلينكا يقوم بملء هذه الخانة الفارغة، الأمر الذي أحاط محطة الوصول بالغموض والسرية. وكان عمال السكة الحديد العاملون في محطة تريبلينكا يتلقون برقية مفصلة تحدد موعد وصول كل فوج وكل قطار. وكانت الوثائق الخاصة بكل قطار تحتوي على رموز تشير إلى المنطقة التي يجئ منها كل فوج مرحَّل. فعلى سبيل المثال كان الرمز PKr يسبق رقم كل قطار يحمل فوجًا قادمًا من حكومة بولندا العامة،

في حين كان القطار الذي يغادر تريبلينكا يحمل رمز Lp Kc. أما القطارات القادمة من الأراضي البولندية الخارجة عن نطاق الحكومة العامة فتحمل رمز PJ.

وفي يوم ٢٢ يولية ١٩٤٢ تلقت محطة سكة حديد تريبلينكا برقية تعلن عن سفر القطارات من وارسو إلى تريبلينكا وبالعكس. وجاء في هذه البرقية أن كل قطار يشتمل على ستين عربة مغلقة لنقل السجناء المرّحلين. واقتضت الإجراءات تفريغ حمولة هذه القطارات من المرّحلين فيها، ثم عودتها إلى المكان الذي جاءت منه. وتعيّن على هذه القطارات نقل السجناء الذين تولى القائد الألماني هاينز أورفالد Heinz Aurewald إرسالهم من جيتو وارسو إلى معسكر تريبلينكا.

وفي العادة كان القطار يستغرق ساعتين في قطع المسافة بين تريبلينكا ووارسو. ولكنه في هذه المرة استغرق ستة أضعاف هذه المدة نظرًا لكثرة توقفه. وقد بلغ عدد المسافرين في العربة الواحدة نحو مائتي رجل وامرأة وطفل في قطار مكون من ستين عربة في قيظ الصيف الملتهب. وكُتب بالطباشير على جانبي كل عربة عدد المرّحلين فيها. وتراوح عددهم في العربة الواحدة بين ١٢٠ و ١٥٠ و ١٨٠ بل أحيانًا مائتي مرّحل حرموا جميعًا من الماء والطعام والهواء النقي واضطُروا إلى التبول وقضاء حاجتهم داخل العربات. ونجم عن هذا التلوث والعفن موت كثير من اليهود الأطفال وكبار السن. وكان الفوج يخضع لحراسة مشددة. ووقف وجلس على أسطح العربات وسلالمها أعضاء وحدة البوليس الخاصة مدججين بالسلاح وعلى أهبة الاستعداد لإطلاق النار. ولكن واحداً من السجناء لم يحاول الهرب.

غادر في الصباح الباكر من يوم ٢٣ يولية ١٩٤٢ أول فوج من اليهود القادمين من جيتو وارسو متجهًا إلى تريبلينكا. يقول شهود العيان إنهم سمعوا هدير القطار أثناء اقترابه على بعد مسافة كبيرة، كما سمعوا كثيراً من طلقات المسدسات والمدافع الرشاشة. وكان أفراد الوحدة الخاصة الذين يحرسون القطار يطلقون الرصاص معظم الوقت. وفي محطة سكة حديد تريبلينكا كان أفراد الوحدة الخاصة يحرسون القطار. وقف أربعة من أفرادها وعدد من عمال السكة الحديد الألمان ينتظرون وصول القطار

الذي يقل المرَّحلين. وركز عمال السكة الحديد الألمان اهتمامهم على التأكد من سلامة وصول عربات المواشي إلى مجمع المعسكر. وامتلأت المحطة بصرخات وتأوهات آلاف المرحلين. يقول قائل في هذا الشأن: «يمكنك سماع الصرخات والتأوهات والبكاء وطلب الماء أو الطبيب. وبسبب حرارة الجو شوهدت الأبخرة وهي تنبعث من العربات. وأحضر سكان البيوت المجاورة وخاصة النساء جرادل مليئة بالماء قاموا بتوزيعها على السجناء العطشى في العربات. وفي بادئ الأمر لم يظهر الألمان أي رد فعل لما يحدث بل كانت الدهشة تعتريهم لما شاهدوه».

وعند مجئ الأفواج التالية قام ضباط الوحدة الخاصة بمنع أي شخص من تقديم الماء إلى المرَّحلين. بل إنهم منعوهم من الاقتراب من القطار. وعند وصول القطار إلى المحطة تم في حضرة ضابط الوحدة الخاصة فصل عشرين عربة دفعتها قاطرة صغيرة داخل مجمع المعسكر. ووضعت العربات الباقية تحت الحراسة. وبعد تفريغ حمولة العربات من السجناء داخل المعسكر أعيدت هذه العربات إلى المحطة لإدخال العشرين عربة التالية.

بدأ نشاط المعسكر في ممارسة إبادة السجناء في ٢٣ يولية ١٩٤٢، ودام هذا النشاط أكثر من أربعمائة يوم قبل أن تجف دماء الضحايا في تراب مازوفيا **Mazovia** وتتوقف آلة الموت عن العمل.

ويصف لنا أبراهام كرزبيكي **Abraham Krzepicki** في مذكراته حالة عربات المواشي أثناء ترحيل الأفواج قائلاً:

«كان العنف المنتشر في العربة لا يطاق. واستخدم المرَّحلون أركان العربة كمرحاض يقضون فيها حاجتهم... وكان السجين يدفع ما بين خمسمائة وألف زلوطة من أجل كوب من الماء يأخذه منهم الحراس وعمال السكة الحديد. وكالملهوف البائس بدأت أشرب الماء. عندئذ اقتربت مني امرأة وهي تصرخ قائلة إن طفلها أغمي عليه. غير أني استغرقت في الشراب ولم أستطع إبعاد كوب الماء عن فمي. فقامت المرأة بعض يدي بكل ما تملكه من قوة. فتركت لها شيئًا من الماء في الكوب أعطته لطفلها.

حدث هذا في السابعة صباحًا. ثم اشتدت حرارة الشمس والجو فقام جميع الرجال بخلع ملابسهم والرقاد نصف عرايا... وأيضًا خلعت بعض النسوة ملابسهن واكتفين بلبس ملابسهن الداخلية. وبعد وقت وجيز وفي نحو العاشرة صباحًا شاهدنا من خلال النافذة الرجل الألماني المسئول عن الفوج. وتوسلنا إليه أن يعطينا جرعة ماء. ولكنه نصحنا بالصبر لأننا سوف نصل إلى جهة الوصول في تريبلينكا في غضون ساعة على أكثر تقدير. ورغم هذا فقد ظل قطارنا منتظرًا حتى حلول الساعة الرابعة مساء. وبعد أن تحرك القطار سرعان ما وقعت أنظارنا على محطة تريبلينكا».

وفي بداية إنشاء معسكر تريبلينكا لم يكن هناك أي تنسيق في عملية ووصول الأفواج بل كانت الفوضى تعم فيها. وبالنظر إلى ضخامة أعداد المهجرين إلى تريبلينكا فإن قلة عدد غرف الغاز لم تكن كافية لإبادتهم. ولهذا السبب اضطرت القطارات إلى الانتظار ساعات طويلة وعدم تفريغ الشحنات الآدمية التي أحضرتها لحين انتهاء غرف الغاز من أداء مهمتها. وزادت تأخير القطارات بسبب كثرة الإصلاحات الجارية في خطوط السكك الحديدية الممتدة من وارسو وصوبيبور. وتعيّن توجيه جميع القطارات المسافرة جنوبًا إلى معسكر تريبلينكا. وإلى جانب مشكلة المواصلات افتقر الدكتور ابيرل Eberl مسئول الإبادة في هذا المعسكر إلى الخبرة والكفاءة والقدرة على الضبط والربط. وزاد ذلك بطبيعة الحال من المشكلات التي واجهها معسكر تريبلينكا في نهاية أغسطس ١٩٤٢م.

ظلت الأفواج تصل إلى معسكر تريبلينكا يوميًا حتى نهاية عام ١٩٤٢. ومما يؤسف له اندثار معظم الوثائق الخاصة بالسكك الحديدية الخاصة بتلك الفترة. ولكن شهود العيان – ومن بينهم عامل السكة الحديد المشار إليه سلفًا فرانسزيك برون – شهدوا بأن الفترة الممتدة من أغسطس / سبتمبر حتى ديسمبر ١٩٤٢ كانت أكثر الفترات ازدحامًا بالعمل في معسكر تريبلينكا. ففي تلك الفترة كانت أربع قاطرات تصل كل يوم تجر كل منها ستين عربة. وجاءت هذه القطارات أساسًا من مدن مثل: وارسو ورادوم Radom وكيلك Kielce وفلورزوفا Wloszcsowa وكوز يينيك Kozienice وساندوميرز Sandomierz

وسيدلك Siedce ولوكوف Lukow وميد زيرزيك Miedzyrzec Zepodpaskie ولوخوف Lochow وجرودنو Grodno وبروستكي Prostki وموكولف بودلاسكي Mokopow Podlaski وفيجروفو Wegrowo وسادوني Sadowny وكرسوف لاكي Krosow Lacki. وفي العادة وصلت إلى معسكر تريبلينكا عربة مفردة من بافياك Pwiak وكذلك من خارج بولندا مثل: ألمانيا وبلجيكا وهولندا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ويوغسلافيا وفرنسا والنمسا واليونان.

وأيضًا وصلت من وقت إلى آخر أفواج مفردة إلى معسكر تريبلينكا فوق ظهر لوريات أو عربات تجرها الدواب مثلما حدث لليهود القادمين من المناطق المجاورة لتريبلينكا.

وقد جرت عملية الإبادة في معسكر تريبلينكا رقم (٢) على النحو التالي: في اللحظة التي وصل فيها فوج اليهود إلى المعسكر بادر جميع العاملين بوحدة البوليس الخاصة والحرس الأوكراني (باستثناء الحراس الذين اعتلوا أبراج المراقبة آنذاك) وجميع القيادات اليهودية (باستثناء لابسي الشارات الصفراء) بالتزام مواقعهم. وانحصرت مهمة هؤلاء العاملين وشغلهم الشاغل في دفع الضحايا إلى داخل غرف الغاز بأسرع وقت ممكن. كان القطار الذي يقل الفوج يدخل المعسكر عن طريق بوابة خاصة يتولى حراستها حارس أوكراني، فيقوم الحراس بفتح البوابة لتمكين القطار من دخول أرض المعسكر ويغلق الباب. ثم تقوم قاطرة صغيرة بجر عشرين عربة على لسان مقام على أرض المعسكر. وبمجرد توقف القطار يقوم الأوكرانيون بفتح أبوابه في نفس الوقت والصراخ في وجه الركاب اليهود المنهكي القوى وينهالون عليهم ضربًا ويدفعونهم في اتجاه معبر منحدر. وعلى الفور يتقدم رجل يلبس شارة زرقاء إلى العربات ويدخلها كي يتخلص من جثث الذين لم يتحملوا مشقة السفر وفاضت أرواحهم أثناء الرحلة. ويتم إلقاء الجثث في حفرة في نهاية المعبر المنحدر كما يتم تنظيف العربات بخراطيم المياه على وجه السرعة. وبعد القيام بتنظيف العربات تقوم القاطرة الصغيرة بجرها خارج المعسكر لتخلي المكان لدخول عدد آخر من العربات.

وفي نفس الوقت وقعت أبصار الفوج التالي على محطة سكة حديد صغيرة اسمها محطة تريبلينكا التي لا تختلف في شيء عن الكثير من محطات السكة الحديد الأخرى التي مروا بها. وعند وصول الفوج التالي يشاهد أفراده المحلات والورش وأحواض الزهور ومبنى المحطة الذي تعلوه ساعة وحجرة انتظار ومكتب شراء التذاكر. وأيضًا كان موقع مكتب الصليب الأحمر قريبًا من المحطة. باختصار بدا كل شيء عاديًا.

وفي بداية إنشاء المعسكر كان من عادة القومندان أو نائبه أن يلقي خطبة على مسامع اليهود المجتمعين في المعبر المنحدر.

وتم إبلاغ اليهود بأنهم سوف يرحَّلون باتجاه الشرق. ولكن تعيَّن عليهم قبل التحرك تطهير أجسامهم من أية حشرات قد تكون عالقة بها، مراعاة للنظافة والصحة العامة. وصدر إليهم الأمر بالتخلي عن متاعهم وتسليم مجوهراتهم ومقتنياتهم الثمينة. وصرفت إدارة المعسكر لكل سجين فوطة وقطعة صابون ينظف بها نفسه. وذكرتهم بضرورة الحصول على إيصال دال على استلام مقتنياتهم. وفي العادة كان السجناء يستقبلون هذه الخطبة بالتصفيق. ولا غرو فقد اعتقد كثير من اليهود أن معسكر تريبلينكا هو معسكر ترانزيت.

وفي ذات الوقت تقريبًا قام الضباط الألمان بفرز العمال المهرة والشباب القوي القادر على العمل. وكانت عملية الفرز تتوقف على نوعية احتياجات المعسكر. ولاحظ بعض السجناء أن عقارب ساعة المحطة لا تتحرك وأن العلامة التي تتجه إلى سيدلك تشير إلى الغابات وأن نهاية خط السكة الحديد توقف عند المعبر المنحدر. وإذا عنَّ لأحد اليهود التعبير عن شكوكهم قادوه حول المعسكر لتصطدم قدماه بكومة من الجثث بالقرب من المستوصف وجثث أخرى نقلت للحرق هناك. وهو المآل الذي انتظر العواجيز والمرضى. وأيضًا تم في نفس الميدان فصل الرجال عن النساء.

وفي بعض الأحيان أمر قومندان المعسكر بصرف جرادل للسجناء للتبول والتبرز فيها، حتى لا يكون هذا سببًا في تعطيل فرقة الحفارين عن سرعة انجاز الحفر لدفن الجثث. فضلاً عن أن فرقة الحفارين كانت مسئولة عن تنظيف غرف الغاز.

وتوجهت السجينات إلى الثكنة الواقعة إلى اليسار والتي تسمى «صالون التجميل»، حيث خلعن ملابسهن وتولي حلاقون يهود حلق شعرهن. وبغض النظر عن فصول السنة تعيَّن على الرجال خلع ملابسهم في الخارج. وأيضًا تعيَّن على بعض قيادات المعسكر التهدئة من روع السجناء والسجينات أثناء اقتيادهم إلى غرف الغاز.

وبمجرد الانتهاء من تنظيف عربات القطار توجه الضابط المسئول في وحدة البوليس الخاصة إلى سائق القاطرة كي يقوم بإخلاء المعسكر من العربات العشرين ثم يعود إليه بعد مرور خمس عشرة دقيقة وهو يقود عشرين عربة أخرى مكتظة بضحايا جدد.

وبعد أن يخلع السجناء والسجينات ملابسهم اقتادهم الحارس إلى غرفة الغاز عبر ممر يتراوح طوله بين مائة ومائة وعشرين مترًا ويصل عرضه إلى مترين. وكان الحصى الأبيض يغطي أرضية الممر المفضي إلى غرف الغاز والمحاط بالأسوار على الجانبين. وهي أسوار عالية مصنوعة من الأسلاك الشائكة يخفيها عن الأنظار عدد هائل من أغصان شجر الأناناس. ولحث السجناء على إسراع الخطى انهال عليهم الحارس شتمًا وضربًا وهم رافعون أيديهم إلى أعلى ويلهثون تحت وطأة سياط رجال وحدة البوليس الخاصة ومؤخرات بنادقهم وسناكيها. فضلاً عن إطلاق الكلاب البوليسية المفترسة عليهم لتنهش أجسادهم. وكان الرجل الذي يستحثهم يقول لهم: «بسرعة.. بسرعة أكبر يا أولادي فماء (الاستحمام) معد وجاهز»، أي أن هذا الرجل كان يضللهم ويوهمهم أنهم متجهون إلى دشات الاستحمام بالماء وليس إلى دشات الغازات السامة».

وفي نهاية الممر الذي سلكوه ظهر مبنى له أعمدة شبيهة بالمعبد الكلاسيكي العتيق وله درج من الخرسانة مكون من خمسة سلالم تزينها باقات من الزهور تفضي إلى مدخل المبنى الذي علقت على بابه نجمة داود وحفر أعلاه عبارة بالعبرية تقول: «لا يمر من خلال هذا الباب سوى الأتقياء». وكان الباب نفسه مغطى بستار داكن وثقيل مثل الستائر الموجودة في المعابد الدينية. واستقبل الضحايا عند المدخل اثنان من الأوكرانيين

توليا تشغيل غرف الغاز أحدهما يدعى إيفان المرعب والآخر يدعى نيكولاج. وكان إيفان يقطع أثداء النساء بسكين البندقية أو سيف الخيالة الذي يحمله. واحتذى رفاقه حذوه في ممارسة القسوة والوحشية، فرجل الوحدة الخاصة المدعو جوزيف هيرترتر Josefh Hievtreiter الذي تخصص في قتل الأطفال الصغار كان يمسكهم من أرجلهم ويهشم رءوسهم على المدرج، كما كان يحلو له إلقاء الرضع على الأرض وسحقهم بحذائه ذي الرقبة. وفي كثير من الأحيان كان الأوكرانيون يتحرشون جنسيًا بالفتيات اليهوديات ويغتصبنهن قبل إرسالهن إلى حتفهن في غرف الغاز.

وتفاديًا للضرب الموجع اضطر السجناء والسجينات إلى الإسراع بدخول غرف الغاز عبر باب ضيق صمم بهذا الضيق حتى يحول دون هرب أي من السجناء. وكانت غرف الغاز شديدة الاكتظاظ بالضحايا لدرجة أن الحارس الأوكراني ألقى بالأطفال فوق رءوس الكبار عندما لم يكن هناك مكان لوقوف هؤلاء الأطفال. وبعد قيام الحارس الأوكراني بإغلاق باب غرفة الغاز الحديدي بإحكام شديد صاح القومندان الألماني بإيفان الذي يتولي تشغيل مضخات الغاز «أعطهم ماء يا إيفان». وبعدها يبدأ تشغيل مضخات الغاز لتحدث صوتًا سرعان ما تلاشى، وحتى قبل أن يتدفق الغاز داخل الغرفة وقع بعض الضحايا مغشيًا عليهم نتيجة الزحام ونقص الهواء النقي. وبعد مرور لحظة واحدة ارتفع صوت موتور مضخة الغاز. وبدأ الدخان الداكن الخانق يخرج من المواسير المقامة فوق رءوسهم. وصرخ الضحايا وقد ملأ الرعب قلوبهم وتلووا من الألم. وعبثًا حاول البعض يائسًا نزع الباب الحديدي أو كسره. وبالتدريج أخذ غاز الكاربون مونوكسيد يملأ الغرفة المكتظة، فأحس الضحايا بانسداد في رقابهم وبضغط هائل يجثم على رئاتهم. ومرت الثواني وكأنها ساعات من العذاب المروع. وعبثًا حاول قرابة ألفي ضحية المقاومة للاحتفاظ بحياتهم. ولكنهم سرعان ما استسلموا للموت خنقًا.

وفي نفس الوقت تولى أحد القياديين اليهود في المعسكر فرز مقتنيات بني جلدتهم من الضحايا تمهيدًا لإرسالها إلى الرايخ الثالث في برلين. وحتى تزداد بشاعة هذه

الصورة نقول إن أصوات الضحايا اليائسة لم تصل إلى آذان الحرس فحسب بل إلى مسامع السجناء الواقفين في الخارج أثناء انتظار دورهم لدخول غرف الغاز.

ويقدّر البعض فترة احتضار السجناء من جراء الاختناق بالغاز في معسكر تريبلينكا بنحو ثلاثين أو أربعين دقيقة. ولكن البعض الآخر يقدرها بمدة أقل. ويقترب أحد رجال الوحدة الخاصة من باب غرفة الغاز ليسترق السمع. وبمجرد أن يطمئن قلبه إلى أن الغرفة يسودها الصمت الكامل يعطي إشارة إلى قائد فرقة الحفارين لفتح باب غرفة الغاز الخلفي ونقل الجثث منها. فإذا وجد قائد هذه الغرفة أن البعض لم يفارق الحياة فإنه يستمر في تشغيل مضخة الغاز حتى يتأكد من وفاة جميع الضحايا.

ثم تقوم فرقة حفاري القبور بفتح الأبواب الخلفية الموجودة في كل غرفة غاز. وبعدها ينتظرون بضعة دقائق لحين تهوية الغرف، ثم يقومون بنقل الجثث. وأحيانا كان الضحايا يضعون أيديهم في أيدي زملائهم في لحظات الاختناق، الأمر الذي جعل فصل الجثث عن بعضها البعض أمراً بالغ الصعوبة مما أدى إلى استخدام العنف لفصلها. فضلاً عن أن البول ودم دورة النساء الشهرية والقيء غطى أجساد الضحايا.

وقام الحفارون بنقل الجثث إلى بقعة خرسانية قريبة من مبنى غرف الغاز. ثم يحضر طبيب الأسنان لفحص أسنان الموتى لانتزاع ما فيها من ذهب وأطقم ذهبية باستخدام شاكوش أو أزميل وغيرهما من الآلات الحادة. وكان طبيب الأسنان يضع الأجزاء المنزوعة في سوائل حمضية. وبعد فحص الجثث على هذا النحو وزيادة تشويهها نتيجة لهذا الدق والطرق قام الحفارون بجرها وإلقائها في الحفر. وعند امتلاء الحفر بالجثث يصبون البترول عليها ويشعلون النار فيها.

وفي بداية الأمر كانت الجرارات تسير على قضبان لتنقل الجثث إلى الحفرات. ولكن النازيين تخلوا عن استخدام هذه الطريقة للتخلص من الجثث بسبب بطئها وتضييعها للوقت. وخاصة عندما ازدادت أعداد الأفواج القادمة. وهكذا لم يستغرق الإجهاز على نحو ألفي ضحية أكثر من تسعين دقيقة. وكان هذا الوقت محسوباً بعناية من جانب إدارة المعسكر حتى يتمشى مع جدول القطارات القادمة إلى معسكر تريبلينكا.

وفي بداية عمل هذا المعسكر كان التخلص من الجثث يتم عن طريق إلقائها في حفرة هائلة الاتساع تقوم الحفارات العملاقة بحفرها ليلاً ونهاراً. ولكن ابتداء من ربيع عام ١٩٤٣ تم حرق الجثث على شوايات عملاقة مصنوعة من القضبان. وتم تنفيذ هذا بناء على الأوامر التي أصدرها هملر. وللتأكد من كفاءة حرق الجثث حضر إلى معسكر تريبلينكا خبير في حرق الجثث من معسكر أوشفيتز هو هوبرت فلوس Herbert Floss.

الخـــــلاصــة

خلاصة القول إن معسكر تريبلينكا ظل يعمل من ٢٣ يولية ١٩٤٢ حتى ١٩ أغسطس ١٩٤٣. ويمكن تقسيم هذه الفترة التي امتدت نحو ثلاثة عشر شهراً والتي تباينت فيها أعداد الأفواج القادمة إلى خمس مراحل:

١- الفترة الممتدة من ٢٣ يونية حتى منتصف ديسمبر ١٩٤٢. وكان المعسكر في تلك الفترة يستقبل يوميًا فوجين أو ثلاثة بخلاف أيام العطلات التي توقف فيها تسيير القطارات. ولهذا يمكن الافتراض أن متوسط الأفواج القادمة في تلك الفترة كان بمعدل فوجين يوميًا.

٢- استقبل المعسكر فوجا واحداً كل أسبوع في الفترة من ١٥ديسمبر ١٩٤٢ حتى ١٥ يناير ١٩٤٣، أي أن إجمالي الأفواج القادمة كان أربعة.

٣- استقبل المعسكر في المتوسط فوجين أسبوعيًا خلال الفترة من ١٥ يناير حتى نهاية مايو ١٩٤٣.

٤- شهدت الفترة في المتوسط في الفترة من مايو حتى ٢ أغسطس ١٩٤٣ قدوم فوج واحد في الأسبوع.

٥- شهدت الفترة من ٢ أغسطس حتى ١٩ أغسطس ١٩٤٣ قدوم فوجين إلى معسكر تريبلينكا.

غير أنه من العسير للغاية الاستيقان من العدد المضبوط والدقيق لكل فوج قادم إلى تريبلينكا نظراً لأن النازيين تعمدوا تدمير معظم وثائق السكة الحديد الألمانية من

برقيات وجداول تسيير القطارات لإخفاء حقيقة ما كان يحدث. كما أنه يستحيل تحديد عدد ضحايا معسكر تريبلينكا بدقة بسبب حرقهم وتصفيتهم ودفنهم في قبور على نحو جماعي. ورغم هذا فإنه يمكن على أساس المعلومات المتوفرة (شهادة شهود العيان ووثائق الشحن) أن نحسب عدد ضحايا المحارق في تريبلينكا على وجه التقريب. وبفرض أن كل عربة قطار قادم من بولندا اشتمل على ١٢٠ شخصًا وأن عربات الركاب (التي استقبلها القادمون من دول غرب أوروبا) احتوت كل منها في المتوسط على ثلاثين شخصًا وأن متوسط عربات كل قطار بولندي كان ٤٥ عربة وأن متوسط عدد عربات القطار القادم من غرب أوروبا عشرون عربة فيمكننا القول أن كل فوج كان يضم نحو ٥٤٠٠ شخص قادمين من حكومة بولندا العامة (أي من الأراضي الشرقية) ونحو ستمائة شخص في كل فوج قادم من غرب أوروبا وجنوبها.

وهكذا يمكن تقدير ضحايا تريبلينكا في الفترات الخمس السالفة الذكر على النحو التالي:

(١) استمر معسكر تريبلينكا في العمل لمدة ١٢٠ يومًا في الفترة من ٢٣ يونية حتى ١٥ ديسمبر ١٩٤٢. وبلغ عدد الأفواج في تلك الفترة نحو ٢٤٠فوجًا وعدد ضحاياها ٧٢٠ ألف ضحية.

(٢) شهدت الفترة من ١٥ ديسمبر ١٩٤٢ حتى ١٥ يناير ١٩٤٣ أربعة أفواج. وبلغ عدد ضحايا هذه الفترة نحو ١٢ ألف شخص.

(٣) بلغ عدد الأفواج في الفترة من ١٥ يناير حتى نهاية مايو ١٩٤٣ ستة وثلاثين فوجًا مات منها نحو ١٠٨ ألف ضحية.

(٤) بلغ عدد الأفواج ثمانية في الفترة من مايو حتى ٢ أغسطس ١٩٤٣ مات منها نحو ٢٤ ألف ضحية.

(٥) كان هناك فوجان في الفترة من ٢ أغسطس حتى ١٩ أغسطس ١٩٤٣ مات فيها نحو ستة آلاف ضحية (ويشمل هذا العدد نحو ٥٥٠ ضحية قُتلوا خلال الثورة). والجدير بالذكر أن هذه الأعداد السالفة لا تشمل الأفواج القادمة إلى معسكر تريبلينكا عن غير طريق السكة الحديد. فضلاً عن أن هذه الأرقام لا تشمل السجناء العاملين في مجال البناء والتشييد البالغ عددهم نحو ألف شخص إلى جانب نحو مائة أو مائتي سجين كانوا موجودين عند تصفية المعسكر. ومن ثم يمكننا أن نفترض أن ما يقرب من ٨٧٠ ألف سجين قضوا نحبهم في معسكر تريبلينكا رقم (٢).

ولكن هناك تقديرات أخرى لأعداد معسكر تريبلينكا. فعلى سبيل المثال يقدر هلموت كروسنيك Helmut Krusnick مدير معهد التاريخ في مدينة ميونيخ وشاهد العيان في المحاكمة التي انعقدت في مدينة دوسيلدورف يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٥ ضحايا تريبلينكا بعدد يتراوح بين سبعمائة ألف وثلاثة ملايين ضحية. فلا غرو إذا وجدنا تضاربًا في أرقام الضحايا من باحث إلى آخر. وهو تضارب طبيعي لعدم توفر وثائق مؤكدة.

وينطبق هذا على معسكرات الاعتقال والإبادة النازية بوجه عام.

أبرز زبانية معسكر تريبلينكا ومصائرهم

أوديلو جلوبوكنيك Odilo Globoenic :

ولد جلوبوكنيك في ٢١ أبريل ١٩٠٤ في تريستا بإيطاليا. وعيِّن في وظيفة رئيس عمليات رينهارد للقتل الرحيم. فضلاً عن تعيينه في وظيفة قومندان في إقليم لوبلن. وأثناء زيارة هملر لجيتو وارسو قام جلوبوكنيك شخصيًا بالإشراف على أمنه وسلامته. وفي التقرير الذي سطره بعد انتهاء عملية رينهارد للقتل الرحيم قدر جلوبوكنيك قيمة المسروقات من السجناء بـ١٧٨ مليون مارك ألماني. وبعد انتهائه من العمليات التي قام بها في الأراضي البولندية أُرسل إلى شمال إيطاليا لمحاربة العصابات المناهضة للقوات النازية هنالك واتخذ من مدينة تريستا مقرًا له حيث أُسند إليه منصب الرئيس الأعلى للشرطة ووحدة البوليس الخاصة وعمل تحت إمرته في ايطاليا نفس الأشخاص الذين سبق لهم أن عملوا تحت قيادته في معسكر الإبادة في بولندا. ولكنه لاذ بالفرار حين شعر باقتراب قوات الحلفاء وهرب إلى كارينثيا Carinthia حيث ألقى الجنود البريطانيون القبض عليه. ولكن سرعان ما انتحر في سجنه في وانسسي Wanssesee يوم ٢١ مايو ١٩٤٥.

فيكتور براك Victor Brack

كان براك رئيسًا للإدارة رقم ٢ التابعة لمكتب هتلر والمسئول عن تنفيذ عمليات القتل الرحيم مما أدى إلى قتل ما يقرب من خمسين ألف ألماني ويهودي معوق ذهنيًا. وفي صيف عام ١٩٤١ أجرى أبحاثًا خاصة بتعقيم اليهود تعقيمًا جماعيًا عن طريق استخدام أشعة إكس تنفيذًا للمخطط النازي الخاص «بالحل النهائي» ومعناه إبادة

اليهود عن بكرة أبيهم. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها صار براك المتهم الرئيسي فيما يعرف بـ«محاكمة الأطباء في نورمبرج». وفي عام ١٩٤٧ حكمت المحكمة العسكرية الأمريكية على براك بالشنق. وتم تنفيذ الحكم فيه بعد مرور عام.

كريستيان فيرث Christian Wirth

عين فيرث مفتشًا على معسكرات عمليات رينهارد للقتل الرحيم التي يرجع الفضل إليه في إنشائها. فضلاً عن أنه كان أول قومندان يعين في معسكري شلمنو وبلزيك. وفي ربيع عام ١٩٤٣ تلقى أمرًا بالإشراف على إنهاء معسكرات الاعتقال وتصفيتها. وبعد إنجازه لهذه المهمة تمت ترقيته. ثم كلفه مكتب هتلر وآخرين معه للإشراف على عمليات رينهارد للمعوقين ذهنيًا والمتخلفين عقليًا.

وفيما بعد أرسلته القيادة الألمانية إلى إيطاليا لقمع الثورة التي أندلعت هناك ولكن العصابات اليوغسلافية المناهضة للنازية هناك نصبت له كمينًا أدى إلى قتله يوم ٢٦ مايو ١٩٤٤، وهو في طريقه إلى بلدة فيوم Fiume بالقرب من تريستا.

الدكتور إرمفايرد إبيرل Irmfired Eberl

لا يعرف الباحثون سوى النذر اليسير عن هذا الطبيب القومندان العامل في معسكرات الإبادة. وبعد استبعاده من وظيفته كقومندان في معسكر تريبلينكا لم يكلفه النازيون بأي عمل آخر. وفي عام ١٩٤٨ أقدم على الانتحار.

فرانز بول ستانجل Franz Paul Stangl

ولد ستانجل يوم ٢٦ مارس ١٩٠٨. وشغل وظيفة قومندان في معسكري صوبيبور وتريبلينكا. وبعد الثورة التي اندلعت في تريبلينكا أشرف على أعمال التطهير والنظافة لبضعة أيام قلائل. ثم انتقل إلى ضواحي تريستا لمحاربة العصابات المناهضة للنازية.

وظل حيًا يرزق بعد الحرب وعاد إلى موطن رأسه في النمسا. ورغم القبض عليه بسبب الجرائم التي اقترفها في قلعة هارتهايم للقتل الرحيم، فإنه تمكن من الهروب من السجن وذهب إلى إيطاليا. وساعده الأسقف ألوا هودال Alois Hudal بأن زوده بجواز سفر صادر من الفاتيكان الأمر الذي مكنه من السفر إلى سوريا حيث عاش ردحًا من الزمن. وفي عام ١٩٥١ هاجر مع عائلته إلى البرازيل حيث التحق بعمل في مصنع نسيج ثم مصنع سيارات فولكس فاجن في سان باولو. وفي البرازيل عاش باسمه الحقيقي مستخدمًا الباسبورت النمساوي. وفي منتصف عقد الستينيات تسلم صائد النازيين الهاربين سيمون فيسنتال Simon Wiesenthal عرضًا من مخبر مجهول يبدي استعداده للإرشاد عن ستانجل مقابل سنت واحد يتقاضاه من كل يهودي مقتول في معسكر تريبلينكا. أي أنه بعبارة أخرى طلب سبعة آلاف دولار.

وقبض البوليس البرازيلي على ستانجل وأرسله إلى ألمانيا في ٢٣يونية ١٩٦٧ لأن الحكومة البرازيلية اشترطت عند ترحيله تقديمه إلى محكمة ألمانية. وبدأت بالفعل محاكمته في ألمانيا في ٢٢ مايو ١٩٧٠. وصدر ضده حكم بالسجن المؤبد في ٢٢ ديسمبر ١٩٧٠. وبينما هو ينتظر سماع النطق بالحكم الذي أصدرته محكمة الاستئناف توفى فجأة في ٢٨ يونية ١٩٧١.

كارل هيوبرت فرانز الملقب بالدمية Karl Hubert Franz :

ولد فرانز عام ١٩١٤ في مدينة دوسيلدورف والتحق بالعمل في معسكر صوبيبور. وأسندت إليه مهمة تصفية معسكر تريبلينكا بوصفه آخر قومندان في هذا المعسكر. وأيضًا قام بنفس المهمة عندما أشرف على تفكيك معسكر صوبيبور. وفي خريف عام ١٩٤٣ تم نقله إلى منطقة تريستا للتصدي للعصابات المناهضة للنازية. ورغم أن الفاتيكان عرض عليه المساعدة فإنه رفضها وآثر العودة إلى موطنه الأصلي في مدينة دوسلدورف حيث تقدم بطلب لتغيير اسمه. وألقى القبض عليه في ديسمبر ١٩٥٩. وفي يوم القبض عليه فتشت الشرطة شقته فوجدت "ألبوم" يحتوي على عدة صور فوتوغرافية من تريبلينكا وصور لستانجل ومناظر المعسكر والكلب باري وآلات الحفر

العملاقة لحفر الحفر التي تلقى فيها الجثث. وكان مكتوباً على ألبوم الصور عبارة «أجمل أيام حياتي». وتمت محاكمته في دوسيلدورف مع تسعة من العاملين بمعسكر تريبلينكا. وبدأت المحاكمة يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٤ وانتهت في ٣ سبتمبر ١٩٦٥. وحكمت المحكمة عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. ونظراً لكبر سنه أطلق سراحه في مايو ١٩٦٣ ليواصل العيش في دوسلدورف.

جوزيف هيرترتير Joseph Hirtreiter الملقب بسب Sepp

بشهادة جميع الشهود تميز هذا الرجل العامل في معسكر تريبلينكا بالوحشية في معاملة الأطفال بوجه خاص. وبعد مغادرته لهذا المعسكر انضم إلى صفوف المحاربين ضد العصابات اليوغسلافية المناهضة للنازية. وبعد انتهاء الحرب عاد إلى ألمانيا. وهو أول عامل في معسكر تريبلينكا يصدر ضده حكم بعد انتهاء الحرب. وفي ٣ مارس ١٩٥١ حكمت عليه محكمة في فرانكفورت بالحبس المؤبد مدى الحياة.

كيرت كوتنر Kurt Kutner الملقب بكييف Kiewe

ألحق كيرت كوتنر، وهو أحد قومندانات معسكر تريبلينكا رقم (١) بالعمل في مجمع الإبادة الواقع في معسكر تريبلينكا رقم (٢). وكان يشرف بنفسه على وصول كل فوج. وأصيب بجرح أثناء اندلاع الثورة في هذا المعسكر وتوفي في ألمانيا بعد انتهاء الحرب بوقت قصير.

أوتو ريتشارد هورن Otto Richard Horn

عمل هورن على إحدى الحفارات وتميز بهدوء الطبع والعطف على اليهود الذين يلقون حتفهم. بقيَ هورن في ألمانيا بعد الحرب. وقُدم للمحاكمة في دوسلدورف عام ١٩٦٥. ولكن المحكمة برأته من التهم الموجهة ضده.

ايـروين لامـبرت Erwin Lambert

ولـد لامبرت عام ١٩١٠ وهو الذي شيد غرف الغاز في مـعسكري صوبيبور وتريبلينكا. وظل يعيش في ألمـانيا بعد الحـرب. وفي عـام ١٩٦٥ حكمت عليـه مـحكمـة دوسلدورف بالحبس لمدة ثلاثة أعوام.

آرثر مـاتيس Arthar Matthes

ولد ماتيس عام ١٩٠٢ وكان أحد قومندانات معسكر تريبلينكا رقم (٢) حيث أقيم مـعسكر الإبادة. وكان مسئولاً عن كفاءة تشغيل غرف الغاز. وقد حكمت عليه محكمة دوسلدورف بالحبس المؤبد مع الأشغال الشاقة عام ١٩٦٥.

ويـلى مينـتز Willy Mentz

عمل مينتز المولود عام ١٩٠٤ رئيسًا لمستوصف تريبلينكا وتسبب في قتل آلاف الضحايا. وكذلك اشترك في تنفيذ الأمر الصـادر بتصفية هذا المعسكر، كما اشترك في تنفيذ آخر عمليات إبادة فيه. وحكمت عليه مـحكمة دوسلدورف بالأشغال الشـاقة المؤبدة عـام ١٩٦٥.

أوغسـط مييت August Miete

ولـد مييت الملقب بمـلاك الموت عام ١٩٠٩، وكان يساعد مينتز في تسيير شئون المستوصف. ويعتبر هذا الرجل (مع رئيسه مينتز) مسئولاً عن قتل آلاف الضحـايا في هذا المكان. وكان يحلو له البحث عن السجناء الضعفاء وكبار السن والمرضي والأطفال والحوامل سواء داخل المعسكر أو ضـمن الأفـواج القادمة للفتك بهم بوحشية بالغـة. وقد حكمت عليه محكمة دوسلدورف بالأشغال الشاقة المؤبدة عام ١٩٦٥.

جوستاف مونزبرجر Gustaw Munzberger

ولد هذا الرجل عام ١٩٠٢ وعمل مساعداً لماتيس في معسكر تريبلينكا رقم (٢) في تشغيل غرفة الغاز. وقد حكمت عليه محكمة دوسلدورف بالسجن لمدة ١٢ سنة.

ألبرت روم Albert Rum

ولد روم في عام ١٨٩٠ وكان يشرف علي مسيرة الضحايا إلى غرف الغاز في معسكر تريبلينكا رقم (٢). وقد حكمت عليه محكمة دوسلدورف بالحبس لمدة ثلاثة أعوام.

أوتو سادى Otto Sadie

ولد أوتو سادي التابع لوحدة البوليس الخاصة في عام ١٨٩٧ وكان مسئولاً عن الحرس الأوكراني العامل في معسكر تريبلينكا. وهو أحد المشتركين في قتل الكابو راكوفسكي Rakowsiki. وقد أصدرت محكمة دسلدورف حكمًا عليه بالحبس لمدة ستة أعوام.

فرانز سوخوميل Franz Suchomel

ولد سوخوميل عام ١٩٠٨. وكان يشغل أحد المراكز القيادية في معسكر تريبلينكا. وتولى مسئولية الإشراف المباشر على فرز نقود الضحايا ومقتنياتهم الثمينة. وقد أصدرت محكمة دوسلدورف عليه حكمًا بالحبس لمدة سبع سنوات.

جداول المرحّلين إلى معسكر تريبلينكا

١- المرَّحلون من منطقة وارسو

اسم القاطعة	اسم المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
وارسو	وارسو		
	كان يوجد في الجيتو أكثر من	٢٢ يولية حتى ٢٨ أغسطس ١٩٤٢	١٩٩٥٠٠
	مائة ألف يهودى مطرود من أقاليم	١٢-٣ سبتمبر	٥٢٠٠٠
	Skierniewice-Lowicz-Grojec	٢١ سبتمبر	٢٢٠٠
	Sochaczew - Bekriel	٢٢-١٨ يناير ١٩٤٣	٦٠٠٠
	فى فبراير – مارس ١٩٤١	١٩ أبريل – ١٥مايو	٧٠٠٠
	Falenica	٢٠-١٩ أغسطس ١٩٤٢	٦٥٠٠
	Otwock	٢٠-١٩ أغسطس	٧٠٠٠
	Rembertow	٢٠-١٩ أغسطس	١٨٠٠
	Ludwisin	٢٠-١٩ أغسطس	٣٠٠٠
	Rodzymin	٢٠-١٩ أغسطس	٣٠٠٠
	Wolomin	٢٠-١٩ أغسطس	٢٢٠٠
	Jadow	٢٠-١٩ أغسطس	٧٠٠
Garwolin	Laskarzew	٢٧ سبتمبر	١٢٤٠
	Parysow	٢ أكتوبر	١٤٤٠
	Sobienie - Jeziory	٢ أكتوبر	٣٦٨٠
	Sobolaw	٢ أكتوبر	١٦٤٠
	Zelechow	٢ أكتوبر	١٠٠٠٠
Minsk - Mazowinki	Minsk - Mazowiecki	٢٢-٢١ أغسطس	٦١٢٠
	Kaluszyn	٢٧-١٥ سبتمبر	٦٠٠٠
	Kolbiel	٢٧-١٥ سبتمبر	١٠٠٠
	Mrozy Kuflew	٢٧-١٥ سبتمبر	١٠٠٠
	Siennica	٢٧-١٥ سبتمبر	٧٠٠
	Stanislawow	٢٧-١٥ سبتمبر	٧٠٠

١- المرَّحلون من منطقة وارسو

اسم المقاطعة	اسم المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرَّحلين
Radom	Radom	٥-١٧ أغسطس ١٩٤٢	٣٠٠٠٠
		١٣ يناير ١٩٤٣	١٥٠٠
	Kozienice	٢٧ سبتمبر ١٩٤٢	١٣٠٠٠
	وتشمل يهوداً من:		
	Glowaczow - Mariarpol		
	Mognuszew - Ryczwol		
	Maniszew - Stromiec		
	Sieciechow - Trzebiem		
	Zwopen وتشمل يهوداً من:	٢٩ سبتمبر	١٠٠٠٠
	Janowice - Garbatka		
	Policana Pianki - Oblassy		
	Gniewoszow - Starnow		
	Szydlowiec	٢٣ سبتمبر	١٠٠٠٠
		١٣ يناير ١٩٤٣	٥٠٠٠
	Gaiewoszow	١٥ نوفمبر ١٩٤٢	١٠٠٠
	(بالإضافة إلى المرَّحلين خلال		
	(Zwelen		
Kielce	Kielce	٢٠-٢٤ أغسطس	٢١٠٠٠
	Checing	سبتمبر؟	٤٠٠٠
	Skarzysko - Kamienna	١٢-٢٢ سبتمبر وبداية أكتوبر	٢٥٠٠
	Suehedniow	٢١-٢٢ سبتمبر	٤٠٠٠
	وتشمل يهوداً من بودزنتين		
	Bodzentyn		
Czestochowa	Czestochowa	٢١ سبتمبر إلى ٥ أكتوبر	٤٠٠٠٠
Radomsko	Radomsko	١٠-١٢ أكتوبر	١٤٠٠
		٦ يناير ١٩٤٣	٤٠٠٠
	Koniecpol	٧ أكتوبر ١٩٤٢	١٦٠٠
	Zarki	٦ أكتوبر	٨٠٠

اسم المقاطعة	اسم المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
Piotkow	Piotkow	١٥-٢٥ أكتوبر ١٩٤٢	٢٢٠٠٠
	Gorzkowice	١٥-٢٥ أكتوبر	١٥٠٠
	Kamiensk	١٥-٢٥ أكتوبر	٥٠٠
	Przyglow	١٥-٢٥ أكتوبر	٢٠٠٠
	Sulejow	١٥-٢٥ أكتوبر	١٥٠٠
Jedrzejow	Jedrzejow	١٦-٢٥ سبتمبر	٦٠٠٠
	Sedziszow	١٦-٢٥ سبتمبر	١٠٠٠
	Szczckooiny	١٦-٢٥ سبتمبر	١٥٠٠
	Wloszczowa	١٦-٢٥ سبتمبر	٥٠٠٠
	Wodzislaw	١٦-٢٥ سبتمبر	٣٠٠٠
Busko	Busko - Zdroj	١-٥ أكتوبر	٢٠٠٠
	Chmielnik	١-٥ أكتوبر	٨٠٠٠
	Nowy Korczyn	١-٥ أكتوبر	٤٠٠٠
	Pacanow	١-٥ أكتوبر	٣٠٠٠
	Pirnzow	١-٥ أكتوبر	٣٠٠٠
	Stopnica	٥-٦ أكتوبر	٥٠٠٠
Konskie	Konsbie	٣-٧ نوفمبر	٩٠٠٠
	Gowarczow	٣-٧ نوفمبر	١٠٠٠
	Przedborz	٩-١٢ أكتوبر	٤٠٠٠
	Radoszyce	٣ نوفمبر	٤٠٠٠
Tomaszow Mazowiecki	Tomaszow - Mazowiecki	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	١٥٠٠٠
	Biala - Rawska	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	٤٠٠٠
	Orzewicz	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	٢٠٠٠
	Koluszki	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	٣٠٠٠
	Nowe Miasto	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	٣٠٠٠
	Opoczno	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	٣٠٠٠
	Przysucha	٢٢ أكتوبر - ٢ نوفمبر	٤٠٠٠
	Rawa Mazowiecka	٣١ أكتوبر	٤٠٠٠
	Zarnow	٣١ أكتوبر	٢٠٠٠
	Ujazd	٣١ أكتوبر	٨٠٠٠
		٦ يناير ١٩٤٣	٢٠٠٠

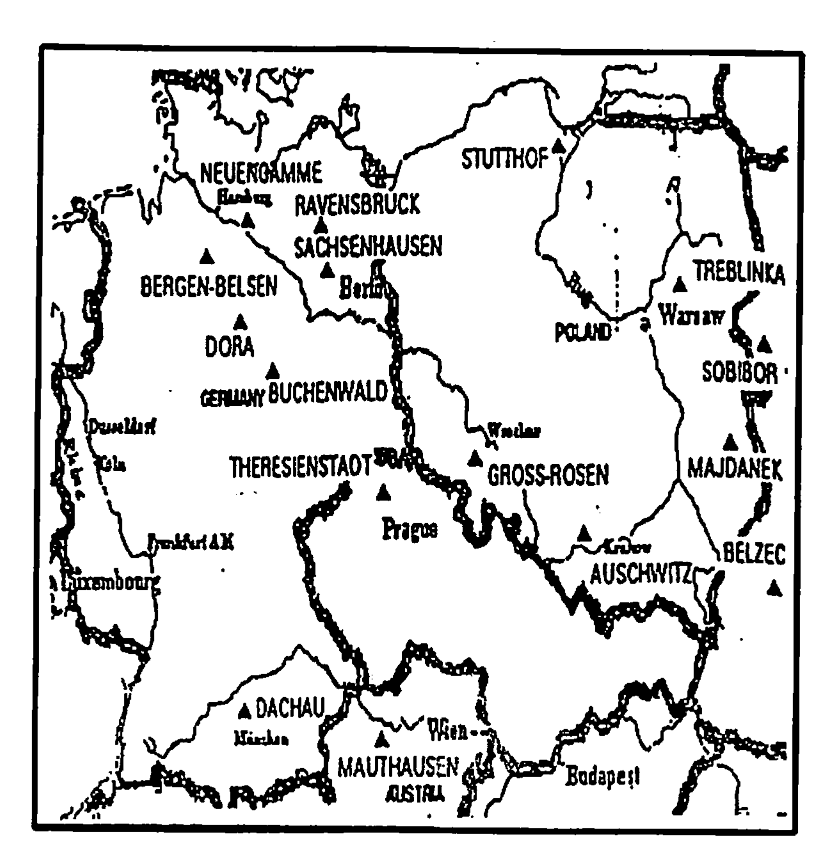
اسم المقاطعة	اسم المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
Starachowice	Starachowice	١٥-٢٩ أكتوبر ١٩٤٢	٤٥٠٠
	Chotcha Nowa	١٥-٢٩ أكتوبر	٤٠٠٠
	Ciepielow	١٥-٢٩ أكتوبر	٦٠٠
	I Lza	١٥-٢٩ أكتوبر	٢٠٠٠
	Lepskow	١٥-٢٩ أكتوبر	٣٠٠٠
	Sienno	١٥-٢٩ أكتوبر	٢٠٠٠
	Tarlow	١٥-٢٩ أكتوبر	٧٠٠٠
	Wierzbnik	١٥-٢٩ أكتوبر	٤٠٠٠
Opatow	Opatow	٢٠ أكتوبر	٦٥٠٠
	Lmielow	نهاية أكتوبر	٩٠٠
	Iwaniska	١٥ أكتوبر	١٦٠٠
	Kunow	نهاية أكتوبر	٥٠٠
	Klimontov	٣٠ أكتوبر	٤٠٠٠
	Koprzywniea	٣١ أكتوبر	١٦٠٠
	Lagow	٧ أكتوبر	٢٠٠٠
	Osiek	٢٥ أكتوبر	٥٠٠
	Ostrowiec	١١-١٢ أكتوبر	١١٠٠٠
	Ogarow	نهاية أكتوبر	٤٥٠٠
	Sraszow	٧ نوفمبر	٦٠٠٠
	Sandomierz	١٠ يناير ١٩٤٣	٦٠٠٠

٣- مقاطعة لوبلن

اسم المقاطعة	اسـم المدينـة	تـاريـخ الـترحيـل	عدد المرحلين
Biala - Podlaska Radzynn	Biela - Podlaske	٢٦ سبتمبر - ٦ أكتوبر ١٩٤٢	٤٨٠٠
	Radzyn	١ أكتوبر	٢٠٠٠
	Lukow	٥-٨ أكتوبر	٧٠٠٠
	(وهي تشمل يهود من Adamov)	٧ نوفمبر	٣٠٠٠
	Miedzyrzee - Podlaski	٢٥-٢٦ أغسطس	١١٠٠٠
	Porezew	١٩-٢٥ أغسطس	٥٥٠٠
	(وهي تشمل يهود من Kock)		

اسم معسكر الجيتو	تفاصيل مجموع المرحلين من معسكر الجيتو	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
Keliosin معسكر مجمعات الجيتو في كيلياسن	Druskieniki ٥٠٠ فرد Jeziory ٢٠٠ فرد Lunna ١٥٠٠ فرد Ostryna ٢٠٠٠ فرد Porzecze ١٠٠٠ فرد Skidel ٣٠٠٠ فرد Sopockinie ٢٠٠٠ فرد Dabrpwa ١٠٠٠ فرد Indura ٢٥٠٠ فرد Janow ٩٥٠ فرد Krynki ٥٠٠٠ فرد Kuznica ١٠٠٠ فرد Korycin ١٠٠٠ فرد Odelsk ١٠٠٠ فرد Sidra ٥٠٠ فرد Sokolka ٣٥٠ فرد Suchowola ٨٠٠٠ فرد Geolao ٥١٠٠ فرد	من ١٠ نوفمبر حتى ١٥ ديسمبر	٣٨٩٠٠
Volkovyst	Jalawke ١٥٠٠ فرد Lyskow ٨٥٠ فرد Mosry ٦٥٠ فرد Porozow ٣٥٠ فرد Ros ١٠٠٠ فرد Rozana ١٠٠٠ فرد Swispocz ٣٠٠٠ فرد Wolkovysk ٧٠٠٠ فرد Wolfa ١٥٠٠ فرد (وتم إرسال ٢٠٠٠ من هذا المعسكر إلى أوشفتس والباقين إلى معسكر تريبلينكا)	١٠ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر	١٦٣٠٠

تم ترحيل ٧٠٠٠ يهودي محلي في جيتو بيلسك - بودلاسكي Bielsk Podlaski وإحضار أربعة آلاف آخرين من كل من Bocki و Bransk و Narew و Orla من مقاطعة بيلسك - بودلاسكي. وقد رحلوا في ١١ فوجًا يحتوي كل فوج من ألف مرحل في الفترة من ٢ نوفمبر إلى ١١ نوفمبر. وبذلك يبلغ إجمالي عدد المرحلين ١١ ألف مرحل. وأيضًا تم ترحيل ٣٣٠٠ يهودي يوم ١٥ أكتوبر من جيتو Ciechanowiec و ٤٣٣٠ من معسكر جيتو Ciemiatycze وذلك في الفترة من ٢ إلى ١٠ نوفمبر.



Concentration Camps, 1933-1945

خريطة بمواقع معسكرات الاعتقال النازية في الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥

كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

كتب باللغة العربية:

١- برتراند راسل الإنسان، الدار القومية، القاهرة ١٩٦١.

٢- برتراند راسل المفكر السياسي، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٦.

٣- دراسات تمهيدية في الرواية الإنجليزية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.

٤- توفيق الحكيم الذي لا نعرفه، مطبعة وهدان، ١٩٧٤.

٥- اتجاهات سياسية في المسرح قبل ثورة ١٩١٩، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.

٦- برتراند راسل، تأليف آلان وود (ترجمة)، الأندلس، بيروت ١٩٨١.

٧- س. ب. سنو والثورة العلمية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١.

٨- موسوعة المسرح المصري البيليوجرافية (١٩٠٠-١٩٣٠)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢.

٩- موقف ماركس، وإنجلز من الآداب العالمية، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٤.

١٠- شكسبير في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

١١- ماذا قالوا عن أهل الكهف، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦.

١٢- جورج أورويل (حياته وأدبه)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

١٣- الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها، الألف كتاب الثاني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.

١٤- وول سوينكا (ترجمة)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.

١٥- أدباء روس منشقون في عهد جوزيف ستالين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١.

١٦- الأدب الروسي والبريسترويكا، دار الهلال، القاهرة ١٩٩١.

١٧- الأدب والجنس، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٣.

١٨- الثالوث المحرم، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤.

١٩- الشذوذ والإبداع، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٥.

٢٠- دراسات في الأدبين الإنجليزي والأمريكي، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٥.

٢١- من ستالين إلى جورباتشوف، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٦.

٢٢- الإلحاد في الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، القاهرة وبيروت ١٩٩٧.

٢٣- الهرطقة في الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، القاهرة وبيروت ١٩٩٧.

٢٤- شكسبير واليهود، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، القاهرة وبيروت ١٩٩٥.

٢٥- العلم والدين، تأليف برتراند راسل (ترجمة)، دار الهلال، ١٩٩٧.

٢٦- الرجل الذي مات، تأليف د. هـ. لورانس (ترجمة)، دار الهلال، يولية ١٩٩٧.

٢٧- ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٨.

٢٨- رباعيات الشذوذ والإبداع، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٨.

٢٩- اليهود والأدب الأمريكي المعاصر، دار الهلال ١٩٩٨.

٣٠- موسوعة الرقابة والأعمال المصادرة في العالم، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة ١٩٩٨.

٣١- في مدح الكسل ومقالات أخري، تأليف برتراند راسل (ترجمة) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨.

٣٢- سيرة حياة برتراند راسل، تأليف ألان وود (ترجمة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.

٣٣- اليهود والأدب الأمريكي المعاصر، دار الهلال، نوفمبر ١٩٩٨.

٣٤- صورة اليهودي في الأدب الإنجليزي، دار الهلال، مارس ١٩٩٩.

٣٥- الهولوكوست بين الإنكار والتأكيد، دار الهلال، ديسمبر ٢٠٠٠.

٣٦- اليهود في الأدب الأمريكي في أربعة قرون، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١.

٣٧- الهولوكوست في الأدب الأمريكي، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١.

٣٨- الهولوكوست في الأدب الفرنسي، دار نهضة الشرق، يناير ٢٠٠٢.

٣٩- اليهود في الأدب الروسي، دار نهضة الشرق، يناير ٢٠٠٢.

٤٠- محاكم التفتيش، دار الهلال ٢٠٠٢.

٤١- محاكم التفتيش في إسبانيا، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة ٢٠٠٢.

٤٢- محاكم التفتيش في إيطاليا، دار الهلال ٢٠٠٣.

٤٣- أبرز ضحايا محاكم التفتيش، الهيئة العامة للكتاب. ٢٠٠٤.

٤٤- محاكم التفتيش في فرنسا (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٥.

٤٥- ألبرت أينشتاين: سيرة حياته. (المجلس الأعلى للثقافة) ٢٠٠٥.

٤٦- ترجمة إنجليزية لكتاب "شكسبير في مصر". مكتبة الإسكندرية (٢٠٠٣).

٤٧- اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين (الهيئة العامة للكتاب) ٢٠٠٥.

٤٨- محرقة اليهود: أوشويتز - بيركينو، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦.

٤٩- من أدب الانشقاق: ألكسندر سولجنتستين، دار الهلال، ٢٠٠٦.

٥٠- الغجر بين المجزرة والمحرقة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦.
٥١- معسكر اعتقال داكاو، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦.
٥٢- معسكر اعتقال برجن - بلسن، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧.
٥٣- معسكر اعتقال رافنزبروك، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧.
٥٤- العرب ومحرقة اليهود، كتاب اليوم ٢٠٠٧.
٥٥- معسكر اعتقال ماثاوزن (المجلس الأعلى للثقافة).
٥٦- معسكر اعتقال دورا (تحت الطبع).
٥٧- معسكر اعتقال بوخنوالد، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٨.
٥٨- هل أنت شيوعي يا مستر شابلن؟ قصور الثقافة، ٢٠٠٩.
٥٩- برنراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية، الهلال، ٢٠٠٩.
٦٠- فلاديمير نابوكوف: حياته وأدبه، الهلال، ٢٠١٠.
٦١- معسكر اعتقال صوبيبور.
٦٢- معسكر اعتقال تريبلينكا (تحت الطبع).
٦٣- محاكمات فنية وأدبية وفكرية (جزءان)، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.
٦٤- "ظلام في الظهيرة" تأليف آرثر كيسلر، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.
٦٥- جيمس جويس أمام المحاكم الأمريكية، الأنجلو - المصرية، ٢٠١١.
٦٦- "رواية الغداء العاري" لوليم بودوز أمام المحاكم الأمريكية، (تحت الطبع).
٦٧- "رواية فيودور دستيوفسكي في المنفى ومحن أخرى".
٦٨- "رواية موجز الغصن الذهبي"

مقال باللغة العربية:

نقد رواية العنقاء، تأليف لويس عوض، المجلة فبراير ١٩٧٠.

كـتب باللغـة الإنجـليزية:

1- Naguib Mahfouz, The Beginning and the End (Translation), The American Univ. in Cairo. 1975.
2- George Orwell as an Ambivalent Writer, National Bookshop, Cairo, 1978.
3- Animal Farm, National Bookshop, Cairo 1978.
4- Nineteen Eighty Four, National Bookshop. Cairo. 1978.
5- Hardy's Tragic and Ironic Vision in Tess, National Bookshop, Cairo, 1978.
6- Shakespeare in Egypt, Rapack, Cairo, 1980.
7- English Literary Criticism, Univ. Book, Tanta, 1985.
8- Macbeth, Anglo Egyptian, Cairo, 1989.
9- The Mayor of Casterbridge, Anglo - Egyptian, Cairo, 1989.
10- Sons and Lovers, Anglo - Egyptian, Cairo, 1989.
11- Joseph Andrews, Anglo - Egyptian, Cairo, 1989.
12- King Lear, Anglo - Egyptian, Cairo, 1989.
13- Merchant of Venice, Anglo - Egyptian, Cairo, 1989.
14- Jane Eyre, Anglo Egyptian, Cairo, 1989.
15- A Passage to India, Anglo - Egyptian, Cairo, 1994.
16- Robinson Crusoe, Anglo - Egyptian, Cairo, 1994.
17- Animal Farm, Anglo - Egyptian, Cairo, 1995.
18- Lord of the Flies, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.
19- As You like It, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.
20- The Adventures of Huckleberry Finn, Cairo, 2004.
21- Oliver Twist, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

22- The Vicar of Wakefield, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

23- Emma, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

24- A Midsummer Night's Dream, Angol - Egyptian. Cairo. 2004.

25- The Tempest, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

26- Julius Caesar, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

27- Hamlet, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

28- Romeo and Juliet, Anglo Egyptian, Cairo, 2004.

29- Twelfth Nighl, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

30- Sense and Sensibility, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

31- To the lighthouse, Anglo - Egyptian, Cairo, 2004.

32- Forthcoming: Egypt in the Modern British Novel: Acollection of Articles on Newby, Ghali. Enright. Forster, Liddell and Olivia Manning. Published in Al-Ahram Weekly in the following issues, 4 July, 5 Septerber, 10, 24 October (1991) and 23, 30 January, 1, 23 April (1992).

مقالات باللغة الإنجليزية:

1- John Wain's "Young Visitors", Faculty of Alsun Journal, 1975.

2- "King Lear as a Religious "Play", Faculty of Alsun Journal, 1976.

3- "Orwell as a Literary Critic", Faculty of Alsun Journal. 1976.

4- "The Development of Liberal Culture in Modern Egypt", a series of articles published in the Egyptian Gazette in the following issues, 23, 30 March, 6.13 20. 27. 28 April. 4. 11 May, 1983.

المؤلف فى سطور

يعد الدكتور رمسيس عوض واحد من طليعة المثقفين المصريين المعاصرين، فهو بالإضافة إلى انجازاته الأكاديمية، تتعدد وتتنوع اهتماماته الثقافية والأدبية، فهو ناقد ومؤرخ أدبى ومترجم ورائد فى مجال البحوث البيلوجرافية، وقد نشر حتى كتابة هذه السطور ما ينيف عن السبعين كتاباً باللغة العربية وبحثاً باللغة الإنجليزية، وكلها تتسم بدفاعها الشديد عن حرية الرأى والتعبير.